



الفصل الثالث

نظم الجمل والأفكار

المبحث الأول : القــصــر .

المبحث الثاني :الإيجاز والإطناب .

المبحث الثالث : الفصل والوصل .

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية اللغة العربية

نموذج رقم : (٨)

إجازةُ أُطروحةٍ علميّةٍ في صيغتها النّهائيّةِ بعدَ إجراء التّعديلات :

الاسمُ الرُّباعيُّ : خديجة محمد أحمد بناني الرّقم الجامعيّ : (٤١٦٩٧٢٢٧)

كلّيّة : اللغة العربيّة قسم : الدّراسات العليا العربيّة فرع : الأدب

الأُطروحةُ مقدَّمةٌ لنيلِ درجة : الدّكتوراه في تخصُّص : البلاغة

عنوانُ الأُطروحةِ : سورة النساء دراسة بلاغية تحليلية

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين،والصّلاةُ والسّلامُ على أشرفِ الأنبياءِ والمرسلين،وعلى آله وصحبه أجمعين ؛ وبعد :

فبعد إجراء التّصويبات المطلوبة التي أوصتْ بها اللجنةُ التي ناقشتْ هذه الأطروحة بتاريخ : ٤ / ٢/ ١٤٢٢ هـ ، توصي اللجنةُ بإجازتها في صيغتها النّهائيّة المرفقة

والله الموفّق ،،،،

أعضاء اللجنة :

المشرف : عبد العزيز أبو سريع ياسين المناقش الدّاخليّ : دخيل الله محمد الصحفي المناقش الخارجيّ : محمد علي الصامل

التوقيع : التوقيع : التوقيع :

يعتمد : رئيس قسم الدّراسات العليا العربيّة

أ.د : سليمان بن إبراهيم العايد

التوقيع :

المبحث الأول

القصر

المطلب الأول : القصر بإنما .

المطلب الثاني : القصر بالنفي والاستثناء .

المطلب الثالث : القصر بأدوات العطف .

المطلب الرابع : القصر بالتقديم ما حقه التأخير .

المبحث الأول : القصر .

مدخل :

القصــــر أحــد الأساليب البلاغية التي يقتضيها المقام ، ويطلبها حال المخـــاطب والمتكلم ، فيُؤتىَ به تلبية لحاجة اقتضاها اختلاف وجهات النظر بينهما ، فهو طريق قوي للإقناع والإيجاز والتأكيد .

وهذه الأهداف البلاغية أدخلته في زمرة الأساليب الرائعة التي حفلت بها لغتنا الحبيبة وصورها القرآن الكريم بأوضح ما يكون عليه الإيضاح .

وأصله في اللغة : الحبس ، وبهذا المعنى ورد في القرآن الكريم في مثل قوله تعالى :

{ وعِندَهُمْ قاصِراتُ الطرفِ عينٌ }[(١)] .

وكذلك قوله : **{ وعِنْدَهُم قاصِراتُ الطَرْفِ أَتْرابٌ }**[(٢)] .

وفــي ســورة الرحمن : **{ فيهِنَّ قاصِراتُ الطرْفِ لم يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُم وَلاَ جانّ }**[(٣)] .

جميعهـــا تدل على نساء أهل الجنة يقصرن الطرف على أزواجهن ، فلا تتعدى نظراتهن غير أولئك الأزواج ويتضح معنى الحبس أكثر في قوله تعالى :

{ حورٌ مَقْصوراتٌ فِي الخيَامِ }[(٤)] .

أي مقيمات فيهن[(٥)] .

١ــ سورة الصافات آية (٤٨) .

٢ــ سورة ص آية (٥٢) .

٣ــ سورة الرحمن آية (٥٦) .

٤ــ سورة الرحمن آية (٧٢) .

٥ــ انظر (لسان العرب) مادة : قَصَرَ .

ومــن هــذا المعنى اللغوي أُخذ المعنى الاصطلاحي فقد عُرِّفَ عند علماء البلاغة بأنه تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص[١] .

وهو حقيقي وغير حقيقي ، ولكل منهما ضربان :

١ــ قصر الموصوف على الصفة ٢ــ قصر الصفة على الموصوف، هذا بحسب الواقع[٢].

وله تقسيمات أخرى بحسب غرض المخاطب[٣] ، وستقوم الدراسة بحول الله وقوته بتوضيح ذلك تطبيقاً على آيات سورة النساء المباركة .

١ــ انظر (الإتقان في علوم القرآن) للسيوطي ، ص ٣٩٣ . تهذيب وترتيب د/ محمد بازمول .

وفــي شروح التلخيص هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص ، وقد عنوا به طرق القصر الأربعة المشهورة ، وهي :

١ــ القصر بإنَّما ٢ــ القصر بالنفي والاستثناء ، مثل : (ما / إلاّ)

٣ــ القصــر بــالعطف ، وحروف العطف التي يمكن أن يكون بها القصر هي : (لا) و (بل) و (لكن) . ٤ــ القصر بتقديم ما حقه التأخير .

وإن كــان للقصــر طرق أخرى كثيرة ، مثل : لفظ (وحده) أو (فقط) . انظر (جواهر البلاغة) للهاشمي ، هامش ، ص ١٤٦ .

٢ــ انظر (الإيضاح في علوم البلاغة) للقزويني ، ص ١٢٣ . والمراد بالصفة الصفة المعنوية لا النعت .

٣ــ هــذا التقســيم يخــتص بالقصر الإضافي ، وهو القصر غير الحقيقي بنوعيه وينقسم حسب حال المخــاطب إلى ثلاثة أنواع : أ ــ قصر إفراد إذا اعتقد المخاطب الشركة ، نحو قوله تعالى : { إنما الله إله واحدٌ }(جزء من الآية (١٧١) سورة النساء) ، رداً على من اعتقد أن الله ثالث ثلاثة .

ب ــ قصر قلب : إذا اعتقد المخاطب عكس الحكم الذي يُثبته القصر ، نحو : ما سافر إلاّ علي ، ــ رداً على من اعتقد أن المسافر خليل لا علي ــ فقد قلبت وعكست عليه اعتقاده .

ج ــ قصر تعيين إذا كان المخاطب يتردد في الحكم كما إذا كان متردداً في كون الأرض متحركة أو ثابتة فتقول له : الأرض متحركة لا ثابتة . انظر (جواهر البلاغة) للهاشمي ، ص ١٥١ ، ١٥٢ .

المطلب الأول : القصر بـ (إنما) .

ظهـر هذا الأسلوب في سورة النساء في خمس مواضع فقط ، أول هذه المواضع قوله تعالى :

{ إِنَّ الذينَ يأكُلونَ أَمْوالَ اليَتامَى ظُلماً إنَّما يأكُلونَ في بُطُونِهِم ناراً وَسَيَصلَوْنَ سَعيراً }[١] .

فقد قصر المولى عز وجل أكلَهُم على النار فهم لا يأكلون شيئاً آخر غيرها ، أي قُصرت صفة الأكل على الموصوف بها وهي النار .

تنفيراً من هذا الأكل الذي قد يكونون سعداء به في الدنيا ولا يعلمون أنهـم يلـتهمون نـاراً تـأجج في أحشائهم ويخرج وهجها من أفواههم يوم يُبعثون[٢] .

والتعبير بـ (إنما) دون النفي والإثبات يدل على دقة مسلك القرآن في محاجة هذه الفئة الباغية لأن (إنما) يعبر به عن ما هو معروف مسلم بـه لـدى المخـاطب بعكـس (ما) و(إلاّ) فاستعمالها يدل على الجحود والنكران والجهل[٣] عنده ، فكأن السياق يقول إن حرمة أكل مال اليتيم مما لا يخـفى عـلى أحـد ومـا قاموا به تجرؤ على حدود الله واتباعٌ للهوى والشـيطان ، وهكذا استحقوا ذلك العذاب المخزي . وقد حمل هذا الأسلوب قـوةً في التصوير وإيجازاً في المعنى وتأكيداً عليه ؛ ذلك لأن جملة القصر جمـلة في قوة جملتين ، الأولى منها منطوقة مثبتة وهي (إنما يأكلون في بطونهم ناراً) والأخرى مفهومة منفية مقدرة بقولنا : لا شيء آخر .

ومنه قوله تعالى :

١ــ الآية (١٠) .

٢ــ انظر تفسير أبي السعود ، ج ١ ، ص ٤٨٨ .

٣ــ انظر (دلائل الإعجاز) للجرجاني ، ص ٣٢٩ وما بعدها .

{ إنَّمـــا التَوبَةُ عَلى اللهِ للَذينَ يَعمَلونَ السُوءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ يَتوبونَ مِنْ قَـــريبٍ فَأولــئكَ يَتوبُ اللهُ عَلَيهِمْ وكانَ اللهُ عليماً حكيماً * ولَيست التَوبَةُ للذينَ يَعمَلونَ السيئاتِ حتّى إذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ المَوتُ قالَ إنِّي تُبْتُ الآنَ ولا الذينَ يَموتونَ وَهُمْ كُفارٌ أولئكَ أعتدْنا لَهُم عَذاباً أَليماً }[١] .

قُصرت التوبة المقبولة وهي (صفةٌ) على (المتصفين بها) ، وهم الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ، أما الذين يعملون السيئات حتى الموت فليس لهم حظ في ذلك .

في هذا المثال تظهر ميزة معنوية أخرى للقصر بـــ (إنما) ، حيث يصـــح أن يؤتى بعدها بالنفي المتمثل في قوله تعالى : { وليست التوبة } ، هذا بخلاف (ما) و(إلا)[٢] ، وقد سَـــوغ ورود هذا النفي ذلك العموم[٣] المفهـــوم من الآية الأولى ، وهو دليل رحمة ، وكل من عمل السوء بجهالة ثـــم تاب من قريب فاحتمال توبته وارد ومتعلق بمشيئة الله سبحانه وتعالى ، مـــع ملاحظـــة إفراد السوء في الأولى المعبر عن القلة وجمعه الدال على الكثرة في الثانية .

ومنه قوله تعالى :

{ ومَـــنْ يكسِـــبْ إثمــاً فإنّمـــا يكسِـــبُهُ على نفسِهِ وكانَ اللهُ عليماً حكيماً }[٤] .

قصـــرت صفة كسب الإثم على مَنْ يعود عليه الضمير المتصل في قو ـــله (نفسه) ، وهو قصر صفة على موصوف قصراً حقيقياً لأنه يطابق الواقـــع ، فمكاســـب الإنســـان من أجر وإثم تعود عليه لا ريب ، وأبرز ما

١ـــ الآيتان (١٧ – ١٨) .

٢ـــ انظر (دلائل الإعجاز) ، ص٣٤٧ . وما بعدها .

٣ـــ انظر (البلاغة فنونها وأفنانها) ، ج١ ، ص٣٧١ .

٤ـــ الآية (١١١) .

وفي الآية (١٧١) ورد هذا النوع من القصر مرتين ، في قوله تعالى { إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله ... } ، وقوله تعالى : { إنما الله إله واحد سبحانه ... } .

يحمـل هـذا القصـر مـن المعـاني البلاغية مع الإيجاز والتأكيد غرض التعريض ، وهو هدف من أهداف القصر بإنما ، حيث يعني هذا التعريض كافة فئات المنافقين والكافرين .

ومن أمثلة قصر الموصوف على الصفة بإنما قوله تعالى :

{ يا أهلَ الكتابِ لا تغلوا في دينِكُمْ ولا تقولوا على اللهِ إلا الحقَّ إنّما المسـيحُ عيسـى ابنُ مريمَ رسولُ اللهِ وكلمتُهُ ألقاها إلى مريمَ وروح منهُ فآمـنوا بـاللهِ ورُسُلِهِ ولا تقولوا ثلاثةٌ انتهوا خيراً لكُمْ إنما اللهُ إلهٌ واحدٌ سـبحانَهُ أن يكونَ لهُ ولدٌ له ما في السموات وما في الأرض وكفى باللهِ وكيلاً }[1] .

فـي هـذه الآية شاهدان على قصر الموصوف على الصفة ، الأول مـنهما قصر إضافي في قوله تعالى : { إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمـته ألقاها إلى مريم وروح منه } فقد قصر الموصوف وهو المسيح عـلى تـلك الصـفات الواردة في الآية مع إمكانية ورود صفات أخرى له إضافية مثل كونه بشراً أو آية من آيات الله ونحو ذلك ، ووجه استعمال إنما دون غيرها من طرق القصر أن أهل الكتاب بين إفراط وتفريط في نظرتهم لمكانـة المسـيح عـليه السلام ، فالنصارى يرفعونه إلى درجة الألوهية ، واليهـود ــ عـليهم غضـب الله ــ يستهينون به إلى أدنى حد فأنزلوا بهذا الأسـلوب منزلة العالم بمكانته الحقيقية إشعاراً بأن أمره مما لا يخفى على عاقل . كما يحمل هذا الأسلوب التعريض بسخفهم وقلة تبصرهم .

أما الموضع الثاني للقصر في هذه الآية فهو قوله تعالى : { إنما الله إله واحد } وهو أيضاً قصر موصوف على صفة قصراً حقيقياً ، فقد قُصِرَ الحق تبارك وتعالى على وحدانية ألوهيته ، وكان وجه استعمال إنما ما سبق والله أعلم وأحكم .

١ــ الآية (١٧١) .

المطلب الثاني : القصر بالنفي والاستثناء .

كان عدد مرات وروده في هذه السورة تسع عشرة مرة ، من أمثلته قوله تعالى :

{ وما أرسلنا مِنْ رسولٍ إلاّ ليطاعَ بإذنِ اللهِ ... }[١] .

قُصِر الهدف من إرسال الرسل – وهو الموصوف – على أمر الطاعة بإذن الله – وهي الصفة – قصراً حقيقياً ، ولو تساءلنا عن الحاجة المعنوية لاختيار هذا الأسلوب دون إنما نجد أن الآية تنعي عليهم غفلتهم بهذا الأمر البيِّن ، فأنزلوا منزلة الجاهل الذي يناسبه استخدام ما وإلا لأن حالهم تشهد عليهم بذلك .

ومن قصر الموصف على الصفة قوله تعالى :

{ يعدُهُمْ ويمنِّيهِمْ وما يعدُهُمُ الشيطانُ إلاّ غروراً }[٢] .

فقد قصر وعد الشيطان وهو(موصوف) على كونه غروراً وهو (صفة) قصراً حقيقياً ، لأن الخبيث لا يملك من أمره شيئاً فضلاً عن أن يعد غيره ، ووجه اختيار (ما) و(إلا) بيِّنٌ واضح وإن كانت النفس الأمارة بالسوء تغالبه جحوداً واستعلاءً ، لأن للشيطان معها جولات لا يملها ،وهكذا حمل هذا القصر التأكيد على أمر ينبغي أن يستقر في نفوس الناس صالحهم وطالحهم .

ومن قصر الصفة على الموصوف قوله تعالى :

{ ولولا فضل الله عليكَ ورحمتُهُ لهمَّتْ طائفة منهُمْ أن يُضِلُّوكَ وما يُضِلّون إلا أنفسَهُمْ وما يضرّونَكَ من شيءٍ وأنزلَ اللهُ عليكَ الكتابَ والحكمة وعلّمَكَ ما لمْ تكُنْ تعلمُ وكانَ فضلُ اللهِ عليكَ عظيماً }[٣] .

١ـ جزء من الآية (٦٤) .

٢ـ الآية (١٢٠) .

٣ـ الآية (١١٣) .

قُصِـــر الضلال (وهو صفة) عليهم (وهم المتصفون به) قصراً إضافياً ، فقد أخبر سبحانه بأن ضلالهم لا يتعداهم ضرره إلى رسوله الكريم بفضـــل مـــن الله ، (لاقتصار وبال مكرهم عليهم من غير أن يصيبك منه شـــيء)[١] ، وهـــو قصـــر قـــلب بالنسبة لغرض المخاطب ، فقد كان في اعـــتقادهم اســـتطاعتهم تضليل الرسول بما عرضوه عليه عند مبايعته بألاّ يكسِّـــر أصـــنامهم فردهم – صلى الله عليه وسلم – إعلاءً لكلمة التوحيد ، بفضل من الله على رسوله الأمين[٢] .

ومن قصر الصفة على الموصوف قوله تعالى :

{ إنْ يدعونَ مِنْ دونِهِ إلاّ إناثاً وإنْ يدعونَ إلاّ شيطاناً مريداً }[٣] .

قصـــرت دعوتهم (وهي صفة) بمعنى عبادتهم واتخاذهم لهم آلهة على الأوثان – وهو ما عبر عنه القرآن بـــ (إناثاً) استخفافاً واستحقاراً لما يعبدون من دون الله – ، وقد زيد هذا القصر تأكيداً بأسلوب قصر آخر في قوـــله تعالى : { وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً } تحقيقاً على أن كل أعمالهم الضالة من تهيئة الشيطان وغوايته ، فهم منصاعون له إلى الحد الذي يسمى عـــبادة . وقـــد أتى القصر بالنفي (إن) والاستثناء (إلا) تأكيداً على شدة جحودهم وإصرارهم على الكفر وتمسكهم به . هذا ما مهّد له سياق الآيات الواردة قبل هذه الآية[٤] . وكذلك ما أكدته الآية الواردة من بعد[٥] .

١ـــ انظر تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٥٨٣ .

٢ـــ المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

٣ـــ الآية (١١٧) .

٤ـــ قوله تعالى : { ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى ونصله جهنم وساءت مصيراً ، إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً } الآيتان (١١٥، ١١٦) .

٥ـــ قوله تعالى : { لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً } الآية (١١٨) .

المطلب الثالث : القصر بأدوات العطف .

مما جاء به في سورة النساء قوله تعالى :

{ وقولهم إنَّا قتلنا المسيحَ عيسى ابن مريم رسولَ اللهِ وما قتلوه وما صلبوه ولكنْ شُبِّهَ لهم وإن الذينَ اخْتَلَفوا فيه لفي شكٍ منه ما لهم به من علمٍ إلاَّ اتباعَ الظَّنِّ وما قتلوه يقيناً }[١] .

القصر المعني هنا (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) فقد قُصر القتل والصلب وهما صفتان على شبيه عيسى عليه السلام[٢] وهو موصوف بطـريق القصر الحقيقي وذلك لأن موضع المقصور عليه بهذه الأداة يأتي بعدها مباشرةً[٣] ، ويظهر إعجاز هذا النظم في عمق أداء هذا المعنى بأوجز عبارة مع ما تحمله من التأكيد في قلب هذا المفهوم الذي أدّى الخطأ فيه إلى ضلال النصارى .

ومما جاء فيه القصر بـ (بل) تأكيداً على المعنى السابق قول الحق تبارك وتعالى :

{ وما قتلوه يقيناً * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً }[٤] .

قصر المولى تبارك وتعالى حال عيسى وما آل إليه أمره على الرفع إلى السماء دون غيره وهو قصر موصوف على صفة قصراً حقيقياً بحرف العطف (بل) ، وبلاغة هذا القصر تكمن فيما يحمله من تأكيد على الحدث مع شدة الإيجاز .

١ـ الآية (١٥٧) .

٢ـ انظر (تفسير الدر المصون) للسمين الحلبي ، ج ٢ ، ص ٤٥٧ .

٣ـ انظر (علم المعاني) للدكتور عبد العزيز عتيق ، ص ١٥١ .

٤ـ جزء من الآية (١٥٧) ، والآية (١٥٨) .

المطلب الرابع : القصر بتقديم ما حقه التأخير .

أمثلــته في هذه السورة المباركة متعددة ومتنوعة حسب موقع المقدم الأصلي من الجملة .

١ ــ تقديم الخبر لإرادة القصر :

ومن ذلك قواه تعالى :

{ لــلرجال نصيبٌ مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيبٌ مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً }[١] .

ومثله قوله تعالى :

{ للرجال نصيبٌ مما اكتسبوا وللنساء نصيبٌ مما اكتسبن }[٢] .

قــدم الخــبر (للرجال) على المبتدأ (نصيب) في كلا الموضعين لإرادة اختصاص كلٍ من الفئتين الرجال والنساء بهذا النصيب ، مما يشعر بالاســتحقاق الــذي تــدل عليه اللام ، وبالعدل الذي يفيده التقسيم وغرضه الــبلاغي قلب ذلك المفهوم الخاطئ الذي كان سائداً زمن الجاهلية ، كما أنه يحــتمل التعيين عند المؤمنين الذين يتلهفون على تلقي أمور دينهم ودنياهم من هذا القرآن .

ومما جاء فيه القصر بتقديم الخبر أيضاً قول الحق تبارك وتعالى :

{ ولله مــا فــي الســماوات ومــا في الأرض وكان الله بكل شيءٍ محيطاً }[٣] .

وقــد تكررت هذه العبارة عدة مرَّات في هذه السورة[٤] تأكيداً على قصر ملك ما في السموات وما في الأرض وهو (صفة) على الله سبحانه

١ــ الآية (٧) .

٢ــ جزء من الآية (٣٢) .

٣ــ الآية (١٢٦) .

٤ــ انظر الآيات منها (٣١، ٣٢) .

وتعالى وهو (موصوف) قصراً حقيقياً فضلاً عن ما تحمله العبارة من قوة وإيجاز .

٢ـ تقديم معمولات الجملة :

أ ـ تقديم الجار والمجرور على متعلقه :

ومنه قوله تعالى :

{ ولكلٍ جعلنا مواليَ مما ترك الوالدان والأقربون ..... }[١] .

تقديم الجار والمجرور (لكل) يدل على قصر هذا الحدث عليه وهو قصر صفة على موصوف قصراً إضافياً ، وباعتبار غرض المخاطب قصر تعيين إذا كان احتمال التردد والشك وارداً وهو الغالب على معنى السياق ، وبلاغة هذا القصر في التنبيه إلى أهمية هذا الجعل وإلزامهم بحكمه فهو من الأمور التي لم تعتدها العرب في جاهليتها مع ما يحمله من إيجاز شديد وتأكيد قوي. ومثله قوله تعالى :

{ فبظلم من الذين هادوا حرَّمنا عليهم طيبات أُحِلَّتْ لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً }[٢] .

فتقديم الجار والمجرور قصر سبب التحريم على ظلمهم ، و روعته وجماله في البدء بدلالة الحقيقة القائمة الحجة عليهم قبل ذكر حكم التحريم ، فقد قدم المولى الحجة والبرهان بين يدي الأمر المنوط بهما تبكيتاً للمكابر والمحتج ، وهو قصر حقيقي يحمل مع الإيجاز نبرة الاستعلاء والتأكيد .

ب ـ تقديم الجار والمجرور على بعض معمولات الجملة :

في هذا التركيب يظهر معنى القصر جلياً وإن اختلفت صورته قليلاً عمَّا هو مقرر . ومنه قوله تعالى :

١ـ جزء من الآية (٣٣) .

٢ـ الآية (١٦٠) .

{ ومـــا أرسـلنا من رسول إلاّ ليُطاع بإذن اللهِ ولو أنهم إذ ظلموا أنفســهم جــاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً }[١] .

القصـــر موضـــع الدراســـة : (واستغفر لهم الرسول) قُدم الجار والمجــرور (لهــم) عــلى الفــاعل (الرسول) لإرادة حصر منفعة هذا الاســتغفار العظيم عليهم ، فقد قصر استغفار الرسول وهو (صفة) عليهم وهــم متصــفون بــه قصــراً إضافياً مما فيه زيادة ترغيب لهم في طلبه والحرص عليه ، كما يدل على عِظم منفعتهم به .ومنه قوله تعالى :

{ أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً }[٢] .

تقديم الجار والمجرور (للكافرين) على المفعول به (عذاباً مهيناً) يدل على اختصاصهم بهذا العذاب المهين وقصره وهو (صفة) عليهم وهم (الموصــوفون) قصــراً إضــافياً باعتبار غيرهم ممن يستحق مثلهم ذلك العذاب المهين واستحقاقهم له.ومنه قوله تعالى :

{ يســألُكَ أهــلُ الكتابِ أن تُنَزّلَ عليهِم كتاباً من السماءِ فقد سألوا موسى أكبر من ذلك.....}[٣] .

تقديــم الجار والمجرور (عليهم) على المفعول به (كتابا) أعطى معــنى القصر ، حيث عبر هذا التقديم عن شدة طمعهم وغرورهم وتعاليهم عــلى الخلائــق فــأرادوا قصـــر إنزال الكتاب وهو (صفة) عليهم وهم (المتصــفون) به بزعمهم ولكن الله فضحهم بهذا التقديم وعيَّرهم بسؤالهم الأكــبر لموسى عليه السلام في قولهم أرنا الله جهرة ، وما جلبه عليهم هذا السؤال من ويلات عظيمة .

١ــ الآية (٦٤) .

٢ــ الآية (١٥١) .

٣ ــ جزء من الآية (١٥٣) .

المبحث الثاني

الإيجاز والإطناب

المطلب الأول : الإيجاز .

المطلب الثاني : الإطناب .

المبحث الثاني : الإيجاز والإطناب .

مدخل :

الإيجـــاز والإطناب مقياسان للكلام الجيد ، عرفا عند البلاغيين منذ البوادر الأولى لعلم البلاغة ، (ففي الوقت الذي كان فيه العرب يميلون إلى الإيجـــاز ، ويـــرون فيه مقياساً بلاغياً لا ينازعه غيره ، ظهر مقياس آخر عـــرف بالإطناب ، ووجد له أنصاراً)[١] . وقد كان لكل فريق منهم أسبابه فـــي هـــذا الاعـــتقاد الخـــاص ، لخصها العسكري بقوله : (قال أصحاب الإيجـــاز : الإيجاز قصور البلاغة على الحقيقة ، وما تجاوز مقدار الحاجة فهـــو فضل داخل في باب الهذر والخطل ، وهما من أعظم أدواء الكلام ، وفيهمـــا دلالـــة عـــلى بلادة صاحب الصنعة)[٢] . وقال في حجة أصحاب الإطناب : (قال أصحاب الإطناب : المنطق هو بيان ، والبيان لا يكون إلا بالإشـــباع ، والشـــفا لا يقع إلا بالإقناع ، وأفضل الكلام أبينه ، وأبينه أشده إحاطـــة بالمعـــنى ، ولا يحـــاط بالمعـــنى إحاطة تامة إلا بالاستقصاء ، والإيجـــاز لـــلخواص ، والإطـــناب مشترك فيه الخاصة والعامة ، والغبي والفطن ، والريّض والمرتاض)[٣] .

وقد نسي أو تناسى الفريقان أن المزية في الملاءمة ، وأنها المقياس الأوحـــد الـــذي بـــه تكون فضيلة الكلام ، وهي مبدأ قديم نوه به كثير من الـــبلاغيين القـــدامى مـــثل الجاحظ ، الذي بالرغم من أنه (كثيراً ما يبدو منتصراً للإيجاز ما يلبث أن يقر بمبدأ الملائمة بين الكلام والمقام)[٤] ، لذا

١ــ انظر (مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء) للدكتور حامد صالح خلف الربيعي ، ص٤٠٦ ، منشورات معهد البحوث العلمية مركز بحوث اللغة العربية ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .

٢ــ انظر (كتاب الصناعتين) لأبي هلال العسكري ، ص١٧٩ ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم ، مكتبة عيسى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية .

٣ــ انظر المرجع السابق ، ص١٩٦ .

٤ــ انظر (مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء) ، ص٤٠٧ .

نجـــده يقول : (للإطالة موضع وليس ذلك بخطل ، وللإقلال موضع وليس ذلك عن عجز ... ورأينا الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب ، أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف ، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حـــكى عـــنهم ، جعله مبسوطاً وزاد في الكلام . فأصوب العمل اتباع آثار العلماء ، والاحتذاء على مثال القدماء ، والأخذ بما عليه الجماعة)[١] .

وقـــال في موضع آخر : (وجملة القول في الترداد أنه ليس فيه حد ينـــتهى إليـــه ولا يؤتى على وصفه ، وإنما ذلك على قدر المستمعين ومن يحضره من العوام والخواص)[٢] .

وقـــد فصـــل الرماني[*] في هذا بقوله : (الإيجاز بلاغة والتقصير عـــيّ . كما أن الإطناب بلاغة والتطويل عيّ ... فإن لكل واحد من الإيجاز والإطناب موضعاً يكون به أولى من الآخر ؛ لأن الحاجة إليه أشد والاهتمام به أعظم)[٣] .

فالمقياس الأساسي لجودة الكلام هو الملاءمة (فقد يكون الاتساع فيه مـــن باب الإيجاز ، وقد يكون الكلام قصيراً ومع ذلك يعد مطنباً ، فالعبرة بالمواقف والمقامات)[٤].

١ـــ انظـــر (الحيوان) ، ج١ ، ص٩٢ – ٩٤ . تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة مصطفي البابي الحلبي ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٥ هـ .

٢ـــ انظـــر (الـــبيان والتبيين) ، ج١ ، ص١٠٥ . تحقيق عبد السلام هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر ، الطبعة ارابعة .

* سبق ترجمته في الفصل التمهيدي، ص١٦ .

٣ـــ انظـــر (النكت في إعجاز القرآن) ضمن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ، ص٧٨ ، ٧٩ ، تحقيـــق محمـــد خـــلف الله والدكتور محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الرابعة .

٤ـــ انظر (البلاغة تطور وتاريخ) لشوقي ضيف ، ص٤٨ . دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الثامنة .

ومـــع الاعتقاد التام بأن الملاءمة هي ملاك الأمر وأساسه للأسلوب الجيـــد وأنه لا داعي إلى تقسيمه إلى إيجاز وإطناب إلا أن الدراسة ستتناول هذا البحث مقسماً إلى مطلبين : إيجاز وإطناب ؛ تمشياً مع ما اعتادته كتب البلاغة العربية ، وقصداً إلى محاولة إبراز مناسبتهما للمقام . والله من وراء القصد .

المطلب الأول : الإيجاز .

لـــم يحـــز موضـــوع - من موضوعات البلاغة - الحظوة والاهتمام وقصـــب السبق[١] مثل موضوع الإيجاز[٢] ، وذلك لما له من علاقة وطيدة بطـــبيعة اللغة العربية وفطرة أهلها ، وناهيك عن أسلوب القرآن الكريم وما فيه من روائع هذا الفن العجيب ، ولا غرو فهو المورد والمصدر للإيجاز . ورحم الله الثعالبي[*] حيث قال : (من أراد أن يعرف جوامع الكلم ، ويتنبه

---

١ ــ الإيجـــاز مصـــطلح بلاغي قديم جرى على ألسنة الكتاب والنقاد القدامى مجرى عاماً سبقه إلى وجـــود مصطلح أعم وأوسع وهو المجاز . تلاه مصطلح الاستعارة ثم التشبيه فالإيجاز ، والتكرار والسجع والتجنيس والكناية .

انظر (كشف الغموض) ، ص١١٩ .

وكـــذا (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ، تحقيق محمد خلف الله ومحمود زغلول سلام ، ص١٦١ .

٢ ــ انظر (البيان والتبيين) ، ج١ ، ص١٠٧ .

وكذا (النكت في إعجاز القرآن) للرماني ضمن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ، ص ٧٦ .

وكذا (الصناعتين) لأبي هلال العسكري ، ص١٧٩ .

وكـــذا (العمدة) لابن رشيق وذكره باسم الإشارة ، ص ٢١٢ ، تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـــ ، ١٩٨٣م .

وهكذا اسماه أيضاً ابن سنان الخفاجي ، انظر (سر الفصاحة) ، ص١٩٩ .

وانظـــر (نهايـــة الإيجـــاز فـــي دراية الإعجاز) لفخر الدين الرازي ، ص١٧٦ ، تحقيق د/ السامرائي .

وكـــذا (المـــثل الســـائر) لابن الأثير ، وقد أسهب في بحثه كثيراً وقسمه إلى عدة أقسام ، ج٢ ، ص٢٥٥-٣٤١ .

* العلامـــة أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل شيخ الأدب ، مصنف كتاب (يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر) ، وكتاب (فقه اللغة) ، مات سنة ثلاثين وأربعمائة للهجرة .

انظر (تهذيب سير أعلام النبلاء) ، ج١ ، ص٣٠٧ .

عـــلى فضـــل الإعجاز والاختصار ، ويحيط ببلاغة الإيماء ، ويفطن لكفاية الإيجاز فليتدبر القرآن ، وليتأمل علوه على سائر الكلام)[١] .

وحـــدُّه قـــلة الـــلفظ مع وفرة المعنى ، وهو قسمان : إيجاز حذف ، وإيجاز قصر .

أولاً : إيجاز الحذف :

وهـــو مـــا يُحـــذف مـــنه المفرد والجملة لدلالة فحوى الكلام على المحـــذوف ولا يكـــون إلا فيما زاد معناه على لفظه[٢] . ويُتنبه له من غير كبير كلفة[٣] .

١ــ حذف المفرد[٤] :

ومن أمثلته قوله تعالى :

{ إنّمـــا التوبةُ على اللهِ للذينَ يعملونَ السوءَ بجهالةٍ ثمَّ يتوبونَ مِنْ قريبٍ فأولئكَ يتوبُ الله عليهِمْ وكانَ اللهُ عليماً حكيماً }[٥] .

في الآية عدة مواضع للحذف ، منها قوله تعالى : { إنّما التوبة على الله } ، أي : إنمـــا قبول التوبة مترتب على فضل الله[٦] ، فيكون المحذوف الأول : المبتدأ (قبول) ، وقد استغنى عنه بذكر المضاف إليه (التوبة) . والثاني : خبر هذا المبتدأ (مترتب) ، ودل عليه سياق الآية . أما الثالث : فهـــو المجرور (فضل) في التركيب : (على فضل الله) ، وهو مضاف

---

١ ــ انظـــر (الإعجاز والإيجاز) لأبي منصور الثعالبي ، ص١٥ . تخريج حواشي للدكتور محمد التونجي ، جامعة حلب ، دار النفائس ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

٢ ــ انظر (المثل السائر) لابن الأثير ، ج٢ ، ص٢٦٤ .

٣ ــ المرجع السابق نفس الصفحة .

٤ ــ كـــل ما ورد في حذف المسند والمسند إليه والمتعلقات في الفصل الثاني المبحث الأول المطلب الأول صالح للتمثيل به هنا .

٥ ــ الآية (١٧) .

٦ ــ انظر (البحر المحيط) ، ج٣ ، ص١٩٧ .

أيضـــاً وقد كان الوصول إلى هذه المحذوفات ميسوراً بدلالة العقل والنقل ، والفــائدة الــبلاغية المستوحاة من هذا الحذف قوة التأكيد على قبول التوبة ترغيباً فيها وتعظيماً لشأنها .

وثَمَّة حذف رابع في الآية في قوله تعالى : { ثُمَّ يتوبون من قريب } أي : مـــن زمـــان قـــريب[١] ، حذف لقوة دلالة صفته عليه ، وهذا الزمان القريب (هو ما قبل حضور الموت لما ينبئ عنه ما سيأتي من قوله تعالى : { حـــتّى إذا حضرَ أحدَهُمُ الموتُ } فإنه صريح في أن وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة ، فبقي ما وراءه في حيز القبول)[٢] .

ومن حذف المضاف أيضاً قوله تعالى :

{ فمــالكُمْ فــي المــنافقينَ فئتينِ ... }[٣] . أي : في شأن المنافقين وأمرهم[٤] .

وكما يحذف المضاف يحذف أيضاً المضاف إليه ومثاله قوله تعالى :

{ ولكــلٍّ جعلــنا مواليَ ممّا تركَ الوالدانِ والأقربونَ والذينَ عقدتْ أيمانُكُمْ فآتوهُمْ نصيبَهُمْ إنَّ اللهَ كانَ على كلِّ شيءٍ شهيداً }[٥] .

والحذف الأول في قوله تعالى : { ولكل جعلنا } حيث أن (كل) لا بـد لها من مضاف إليه بدليل التنوين الذي أغنى عن الإضافة ، وقد اختلف فـــي تقديره ، فمنهم من قال : لكل إنسان أو قوم أو أهل أو تركة[٦] ومنهم مـــن قال : لكل الرجال والنساء جعلنا موالي ، أو لكل تارك جعلنا موالي ،

---

١ ــ انظر (البحر المحيط) ، ج٣ ، ص١٩٩ .

٢ ــ انظر تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٤٩٧ .

٣ــ جزء من الآية (٨٨) .

٤ــ انظر تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٥٦١ .

٥ ــ الآية (٣٣) .

٦ ــ انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٥ ، ص٢١ .

وكذا (الدر المصون) للسمين الحلبي ، ج٢ ، ص٣٥٧ .

وكذا (الكشاف) ، ج١ ، ص٢٦٥ .

أو لكـــل أحد أو شيء جعلنا موالي[١] . وربما يكون تعدد المقدر هو السبب البلاغي لهذا الحذف حيث تتناسب الآية مع أوضاع شتى في المواريث .

وفـــي الآيـــة حـــذف آخر في قوله تعالى : { عقدت أيمانكم } ، قُدِّرَ بمعنى : عقدت عهودهم أيمانكم[٢] ، لكن المحذوف ظاهر بيّن بدليل السياق والعقل ، وذكره يخرج الكلام من درجته الرفيعة في البلاغة .

ومن حذف الصفة قوله تعالى :

{ يـــا أيُّها الذينَ آمنوا لا تأكلوا أموالَكُمْ بينَكُمْ بالباطِلِ إلاّ أنْ تكونَ تجارةً عن تراضٍ منكُمْ ولا تقتلوا أنفسَكُمْ إنَّ اللهَ كانَ بكُمْ رحيماً }[٣] .

موضـــع الحـــذف قولـــه تعالى : { إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم } ، حيث إن: { عن تراض } متعلق بمحذوف وقع صفة لـــ (تجارة) إلا أن تكـــون التجارة تجارة صادرة عن تراض[٤] ، وقد أغنت شبه الجملة (عن تراض) عن هذه الصفة المحذوفة إيجازاً لدلالة السياق عليها .

٢ ــ حذف الجملة :

كل ما سبق كان الحذف فيه لا يتعدى المفرد ، ولكن الحذف لا يقف عـــند هـــذا الحد ، بل يتعداه إلى حذف الجملة أو شبهها وأحياناً عدة جمل ، ومما جاء فيه حذف الجملة قوله تعالى :

{ آباؤكُمْ وأبناؤكُمْ لا تدرونَ أيُّهُمْ أقربُ لكُمْ نفعاً فريضةً من اللهِ إنَّ اللهَ كانَ عليماً حكيماً }[٥] .

---

١ ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص٣٣ .
وكذا تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٥١٦ .

٢ ــ انظر (الكشاف) ، ج١ ، ص٢٦٦ .

٣ ــ الآية (٢٩) .

٤ ــ انظر تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٥١٣ .

٥ ــ جزء من الآية (١١) .

موضع الشاهد قوه تعالى (فريضة) ، فهو مصدر لفعل محذوف ، أي : فرض الله ذلك فريضة[١] ، ولكن إيجازاً استغني عن هذه الجملة الطويلة بكلمة وفّت المعنى وأكدته معاً .

ومثله قوله تعالى :

{ من بعدِ وصيةٍ يوصى بها أو دينٍ غيرَ مضارٍّ وصيةً منَ اللهِ واللهُ عليمٌ حليمٌ }[٢] .

وتقدير الجملة المحذوفة : أوصى الله بذلك[٣] ، وهذا كثير في هذه السورة وفي القرآن بشكل عام . وفي الجزء المذكور من هذه الآية حذف آخر دل عليه تنوين كلمة (مضار) ، إذ التقدير : غير مضار بورثته[٤] ، والوصول إلى هذا المحذوف ظاهر وميسور ؛ لأن الضرر إن وقع لا يقع إلاّ على الورثة ، لذا كان الحذف هو البلاغة .

ومما يجتمع فيه أكثر من حذف قوله تعالى :

{ فلا وربِّكَ لا يؤمنونَ حتّى يحكِّموكَ فيما شجرَ بينهُمْ ثمَّ لا يجدوا في أنفسِهِمْ حرجاً ممّا قضيتَ ويسلِّموا تسليماً }[٥] .

الحذف الأول دل عليه عطف جملة : { ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً } أي : حتى يحكموك فتقضي بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت . والثاني ما يطلبه فعل قضيت من معمول ، أي : قضيت به ، أو من قضائك . والقيمة البلاغية من ذلك تكمن في دلالة الكلام بعضه على

---

١ ــ انظر (التبيان) للعكبري ، ج١ ، ص٣٣٥ .

جعلها ابن عطية مصدراً مؤكداً إذ معنى يوصيكم : يفرض عليكم ، فهو مؤكد للفعل يوصي لأنه بمعناه .

انظر (المحرر الوجيز) ، ج٢ ، ص١٨ .

٢ ــ جزء من الآية (١٢) .

٣ ــ انظر (التبيان في إعراب القرآن) ، ج١ ، ص٣٣٧ .

٤ ــ المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

٥ ــ الآية (٦٥) .

بعــض بحيــث يبدوا المحذوف ظاهراً محققاً في الذهن ، فلا حاجة معنوية لذكره .

ومنه قوله تعالى :

{ يــريدُ اللهُ ليبيّنَ لكُمْ ويهديَكُمْ سُنَنَ الذينَ مِن قبلِكُمْ ويتوبَ عليكُمْ واللهُ عليمٌ حكيمٌ }[١] .

مفعول (يبين) محذوف ، ويقدر بجمل ، أي : يريد الله أن يبين لكم مــا هــو خفي عنكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم ، أو ما تعبدكم به من الحلال والحرام[٢] .

ومن روائع الإيجاز بالحذف آية الكلالة في آخر السورة :

{ ويســتفتونكَ قلِ اللهُ يفتيكُمْ في الكلالةِ إنِ امرؤٌ هلكَ ليسَ لهُ ولدٌ ولهُ أختٌ فلها نصفُ ما تركَ وهو يرثُها إنْ لمْ يكُنْ لها ولدٌ ... } [٣] .

والــتقدير : يَرِثُ الأخت امرؤ إنْ هلكَتْ أخته ولم يكن لها ولد[٤] . ومع إيجازه فهو في غاية الوضوح .

ومنه قوله تعالى :

{ لنْ يستنكِفَ المسيحُ أنْ يكونَ عبداً للهِ ولا الملائكةُ المقربونَ ومنْ يستنكِفْ عن عبادتهِ ويستكبرْ فسيحشُرُهُمْ إليهِ جميعاً }[٥] .

المحذوف المكمل لجملة { ولا الملائكة المقربون } : أن يكونوا عبيداً لله[٦] . ولكن العطف أغنى عن إعادة هذه الجملة ، ولا شك أن الذهن يصل إليها دون كد .

ومن أنواع حذف الجملة حذف الشرط وجملته في مثل قوله تعالى :

---

١ ــ الآية (٢٦) .

٢ ــ انظر تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٥١١ .

٣ ــ جزء من الآية (١٧٦) .

٤ ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٦ ، ص٦٧ .

٥ ــ الآية (١٧٢) .

٦ ــ انظر (التبيان في إعراب القرآن) ، ج١ ، ص٣١٣ .

{ وقـدْ نــزَّلَ عــلكُمْ فــي الكتابِ أنْ إذا سمعتُمْ آياتِ اللهِ يُكْفَرُ بها ويُستَهْزأُ بها فلا تقعدوا معَهُمْ حتَّى يخوضوا في حديثٍ غيرِهِ إنَّكُمْ إذاً مثلُهُمْ إنَّ اللهَ جامعُ المنافقينَ والكافرينَ في جهنَّمَ جميعاً }[١] .

الكــلام المحــذوف دل عليه النهي عن القعود معهم ، وتقديره : إن قعدتــم معهم[٢] { إنّكُمْ إذاً مثلُهُمْ } . ووقوع (إذنْ) جزاء لكلام مقدر شائع في كلام العرب ، كقول لقيط بن أنيف العنبري :

لــو كنتُ من مازنٍ لمْ تَستَبِحْ إبِلِي بــنو الــلّقيطَةِ من ذهل بن شيبانا
إذنْ لَقــامَ بنصْــري معشرٌ خُشُنٌ عــندَ الحفيظــةِ إنْ ذو لوثــةٍ لانا

وتقدير الشرط المحذوف وجملته : إذ لو كانوا قومي ، لقام بنصري معشر خشن[٣] .

وقد يُحذف الشرط دون (إذن) وذلك مثل قوله تعالى :

{ وليخْــشَ الذيــنَ لــو تَركُوا منْ خَلْفِهِمْ ذُرّيةً ضِعَافَاً خافُوا عَلَيْهِمْ فلْيَتقُوا الله وليَقُولوا قولاً سَديداً }[٤] .

فقوله تعالى : { فليتقوا الله } في محل جزم جواب شرط مقدر ؛ أي : إن دخلت الخِشْيَةُ قلوبهم فليتقوا الله[٥] .

ومنه قوله تعالى :

---

١ ــ الآية (١٤٠) .

٢ ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص٢٣٦ .

٣ ــ انظر (البلاغة فنونها وأفنانها) ، ج١ ، ص٤٦٦ .

والبيتان في (خزانة الأدب) للبغدادي ، ج٨ ، ص٤٤٦ . تحقيق عصام شعيتو ، دار مكتبة هلال ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م .

وانظر كذا (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص٢٣٦ .

٤ ــ الآية (٩) .

٥ ــ انظر (الجدول في إعراب القرآن وصرفه) تصنيف محمود صافي ، ج٤ ، ص٣٥٧ .

{ أولـــئكَ الذينَ يعلمُ اللهُ ما في قلوبِهِمْ فأعرِضْ عنْهُمْ وعِظْهُمْ وقُلْ لهُمْ في أنفسِهِمْ قولاً بليغاً }[1] .

موضع الشاهد : { فأعرض عنهم } ، جواب شرط محذوف (أي : إذا كـــان حـــالهم كذلـــك فأعـــرض عن قبول معذرتهم ، وقيل عن عقابهم لمصـــلحة في استبقائهم ، ولا تظهر لهم علمك بما في بواطنهم ، ولا تهتك سترهم حتى يبقوا على وجل وحذر)[2] . وحذف الشرط وجملته دليل تأكيد حصوله ، فهو من المُسلَّمات التي يصل إليها الذهن ولا حاجة إلى ذكرها ، فالأمر بالإعراض عنهم يشير إلى ذلك .

وقد يُذكر الشرط ويُحذف الجواب لوجود ما يدل عليه ، وذلك مثل قوله تعالى :

{ ومَنْ تولَّى فما أرسلْناكَ عليهِمْ حفيظاً }[3] .

وتقديـــر الكلام : ومن أعرض عن الطاعة فأعرض عنه[4] ، ولكن اكـــتفى بتعـــليل الجـــواب بدلاً عنه في قوله تعالى : { فما أرسلناك عليهم حفيظاً } ، أي : فأعرض عنه لأنك لم تُرسل إلا مبلغاً لا حفيظاً[5] .

ومما جاء منه قوله تعالى :

{ وللهِ مـــا فـــي السمواتِ وما في الأرضِ ولقدْ وصَّيْنا الذينَ أوتوا الكـــتابَ مِنْ قبلِكُمْ وإيَّاكُمْ أنِ اتقوا اللهَ وإنْ تكفروا فإنَّ للهِ ما في السمواتِ وما في الأرضِ وكانَ اللهُ غنياً حميداً }[6] .

وتقديـــر الجـــواب المحذوف : وإن تكفروا فإنَّ الله غني عن تقواكم وإيمـــانكم ؛ فـــإن له ما في السموات وما في الأرض ، وكان الله ولا يزال

---

١ ــ الآية (٦٣) .

٢ ــ انظر تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٥٤٣ .

٣ ــ جزء من الآية (٨٠) .

٤ ــ انظر تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٥٥٥ .

٥ ــ انظر المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

٦ ــ الآية (١٣١) .

غــنياً حميــداً[١] . ولكــن اكتفيَ في الآية بتعليل الجواب : { فإن لله ما في السموات وما في الأرض } عنه ؛ لأن لإيضاح العلة حاجة نفسية ملحة هي إقــناع العقل وطمأنة القلب ، والقرآن قائم على ذلك ، وذكر الجواب وعلته حشو لا طائل من ورائه . ومثله الآية :

{ مَنْ كانَ يريدُ ثوابَ الدُّنيا فعندَ اللهِ ثوابُ الدُّنيا والآخرةِ وكانَ اللهُ سميعاً بصيراً }[٢] .

فجــواب الشرط محذوف تدل عليه علته ، والتقدير : من كان يريد ثــواب الدنيــا فــلا يعرض عن دين الله ، أو فلا يصد عن سؤاله ، أو فلا يقتصر على سؤاله ، أو فلا يحصّله عن وجوه لا ترضي الله تعالى[٣] .

ومنه قوله تعالى :

{ يــا أيُّهــا الذينَ آمنوا كونوا قوّامينَ بالقسطِ شهداءَ للهِ ولو على أنفسِــكُمْ أو الوالديــنِ والأقربينَ إنْ يكُنْ غنياً أو فقيراً فاللهُ أولى بهما فلا تتــبعوا الهوى أنْ تعدلوا وإنْ تَلْووا أو تُعْرِضوا فإنَّ اللهَ كانَ بما تعملونَ خبيراً }[٤] .

{ فالله أولى بهما } (ليس هو الجواب ولكنه دليله وعلته ، والتقدير : فلا يهمكم أمرهما عند التقاضي ، فالله أولى بالنظر في شأنهما ، وإنما عليكم الــنظر في الحق)[٥] ؛ لأن هذه هي مهمة القضاء ، ولو ضاع ذلك لفسدت الحياة .

ومن ذلك قوله تعالى :

---

١ ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص٢٢١ .

٢ ــ الآية (١٣٤) .

٣ ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص٢٢٤ .

٤ ــ الآية (١٣٥) .

٥ ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص٢٢٥ .

{ ولــنْ تستطيعوا أنْ تعدلوا بينَ النساءِ ولوْ حرَصْتُمْ فلا تميلوا كلَّ الميــلِ فــتذروها كالمعــلَّقةِ وإنْ تصــلحوا وتــتقوا فإنَّ اللهَ كانَ غفوراً رحيماً }[1] .

موضــع الحذف : { فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة } ، أي : فــلا تميــلوا كل الميل إلى إحداهن فتذروا الأخرى كالمعلقة[2] . وهو من روائــع الإيجاز الذي اعتمد على فطنة المتلقي في فهم السياق وربط أجزائه بعضها ببعض .

ثانياً : إيجاز القصر :

قسَّــمه ابــن الأثير قسمين : أحدهما : ما يدل لفظه على محتملات مــتعددة[3] . والإيجاز في هذا اللون يخص كل لفظة منفردة ؛ لأنك تجد لها عدة معان ترادفها أو تكون قريبة منها - وإن تعذرت المطابقة الكلية لما في ألفاظ القرآن من دقة متناهية في الاختيار - .

أمــا القســم الثاني منه : فالمعنى الموجز يخص التراكيب وهو أبعد شــأواً مــن ســابقه ، ووجوده في كلام الناس نادر[4] عدا كلام المصطفى – صلى الله عليه وسلم – مع فارق بينه وبين كلام الله سبحانه وتعالى .

هــذا مــا ارتآه ابن الأثير ، لكن باستقراء أمثلته التي ضربها لهذين النوعين يتضح أنهما نوع واحد . انظر مثلاً ماذا قال في قوله تعالى :

---

١ ــ الآية (١٢٩) .

٢ ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص٢١٨ .

٣ ــ انظر (المثل السائر) ، ج٢ ، ص٣٣٥ – ٣٤١ .

وكذا (كشف الغموض عن فوائد البلاغة والعروض) ، ص١٢٩ – ١٣١ .

٤ ــ انظر (المثل السائر) ، ج٢ ، ص٣٣٨ . تحقيق الدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، مصر ، الطبعة بدون .

{ ولقـدْ أوحينا إلى موسى أنْ أسْرِ بعبادي فاضربْ لهُمْ طريقاً في الـبحرِ يَبَساً لا تخافُ دَرَكاً ولا تخشى * فأتبعَهُمْ فرعونُ بجنودِهِ فغشيَهُمْ منَ اليمِّ ما غشيَهُمْ * وأضلَّ فرعونُ قومَهُ وما هدى }[1] .

قـال ابـن الأثيـر(*) : (فقوله : { فغشيهم من اليم ما غشيهم } من جوامـع الكـلم الـتي يستدل على قلتها بالمعاني الكثيرة ، أي : غشيهم من الأمـور الهائـلة والخطـوب الفادحة ما لا يعلم كنهه إلا الله ولا يحيط به غيره)[2] .

ومثَّلَ للنوع الثاني من إيجاز القصر بقوله تعالى :

{ ولكُمْ في القصاصِ حياةٌ }[3] .

ثم قال : (فإن في قوله تعالى : " ولكم في القصاص حياة " لا يمكن التعـبير عنه إلا بالألفاظ الكثيرة ؛ لأن معناه أنه إذا قُتِل القاتلُ امتنع غيره عن القتل ، فأوجب ذلك حياة الناس)[4] .

فهـل يوجـد فـرق بين التحليلين نوعاً وكمّاً ؟ أظن أنهما من معدن واحد ، وكذلك بقية الأمثلة .

نخـلص مـن ذلك أن إيجاز القصر : هو ما تزيد فيه المعاني على الألفاظ الدالة عليها بلا حذف[5] . ومن أمثلته في سورتنا قوله تعالى :

{ أولـئكَ الذينَ يعلمُ اللهُ ما في قلوبِهِمْ فأعرضْ عنهُمْ وعظهُمْ وقُلْ لهُمْ في أنفسِهِمْ قولاً بليغاً }[6] .

---

١ ــ الآيات (٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩) ، سورة طه .

* العلامـة ضـياء الديـن أبـو الفتح نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشـيباني ، صـاحب (المـثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) ، مات سنة سبع وثلاثين وستمائة للهجرة ، انظر (تهذيب سير أعلام النبلاء) ، ج٣ ، ص٢٥٢ .

٢ ــ انظر (المثل السائر) ، ج٢ ، ص٣٣٦ .

٣ ــ جزء من الآية (١٧٩) ، سورة البقرة .

٤ ــ انظر (المثل السائر) ، ج٢ ، ص٣٣٨ ، ٣٣٩ .

٥ ــ انظر (علوم البلاغة) للمراغي ، ص١٧١ .

٦ ــ الآية (٦٣) .

ففي قوله تعالى : { فأعرض عنهم } أي عن معاقبتهم وكذا عن شغل البال بهم وكذا عن قبول أيمانهم الكاذبة[١] . وفي قوله تعالى :{ في أنفسهم } أي : خاليـــاً بهم ليس معهم غيرهم[٢] ، أما قوله تعالى : { قولاً بليغاً } أي : مؤثـــراً فيهـــم يبـــلغ مـــنهم مـــا يزجرهم عن العودة إلى ما فعلوا[٣] بالغاً إلى أنفســـهم متغلغلاً فيها[٤] ، وقيل هو الزجر والردع والكف بالبلاغة من القـــول ، وقيـــل هو التوعد بالقتل إن استداموا على حالة النفاق[٥] . وتعدد الاحتمالات هو الإيجاز الذي أتت عليه ألفاظ هذه الآية الكريمة .

ومن ذلك قوله تعالى :

{ يـــا أيُّهـــا الذيـــنَ آمـــنوا خـــذوا حذرَكُمْ فانفروا ثُباتٍ أوِ انفروا جميعاً }[٦]

فقولـــــه تعالى : { خذوا حذركم } معناه : احزموا أمركم واستعدوا بـــأنواع الاســـتعداد ، فيدخل فيه أخذ السلاح[٧] ، والتنبيه والتيقظ[٨] وإعداد الخطط المحكمة ، ومحاولة كشف نوايا العدو ببث العيون والآذان ، وتدريب الجيـــوش ، وتحصين المنافذ . إلى غير ذلك من تدابير واستعدادات لملاقاة العدو .

ومـــن إيجاز القصر ما يكون في مجموع الآية أو في معظمها ، ولا يمكن أن تفي به أي كلمات مهما كثرت ، وذلك مثل قوله تعالى :

---

١ ـــ انظر (المحرر الوجيز) ، ج٢ ، ص٧٣ .
٢ ـــ انظر تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٥٤٣ .
٣ ـــ انظر (البحر المحيط) ، ج٣ ، ص٢٨١ .
٤ ـــ انظر ((التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص١٠٦ .
٥ ـــ انظر (المحرر الوجيز) ، ج٢ ، ص٧٣ .
٦ ـــ الآية (٧١) .
٧ ـــ انظر (المحرر الوجيز) ، ج٢ ، ص٧٧ .
٨ ـــ انظر تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٥٤٧ .

{ مَــنْ يُطِــعِ الرسولَ فقدْ أطاعَ اللهَ ومَنْ تولَّى فما أرسلْناكَ عليهِمْ حفيظاً }[١] .

هــذه الآيـــة عجيبة في إيجازها ، فقد جمعت من أمر الطاعة كل ما جـاءت به الشريعة الإسلامية بمصدريها : الكتاب والسنة . كما دلت على مــنزلة المطيــع ؛ لأن الطاعة يتبعها رضا الله سبحانه وتعالى ، ويتبع ذلك الفوز بالنعيم المقيم .

كمــا نجدهــا قــد جمعــت بالمقابل كافة أنواع المنحرفين عن الملة الصــحيحة فــي أوجــز عــبارة : { ومَنْ تولّى } ، أجناس عدة من يهود ونصارى ومجوس وملاحدة ومشركين وعصاة وغيرهم من الضالين ، مع ما فيها من تصوير بليغ ينطق بحركة الإعراض والمباغضة والجفاء .

ذلك غير إيجاز الحذف في جواب الشرط : { من تولى } الذي سبقت دراسته ، فسبحان رب هذا الأسلوب المعجز . ومنه قوله تعالى :

{ وللهِ ما في السمواتِ والأرضِ وكفى باللهِ وكيلاً }[٢] .

فهــل يســعف البيان حصر ما لله سبحانه وتعالى في ملكوته (خلقاً ومــلكاً يتصرف فيهم كيفما يشاء إيجاداً وإعداماً وإحياءً وإماتة)[٣] . ويزيد هــذه المعاني عمقاً تذييل الآية بقوله تعالى : { وكفى بالله وكيلاً } في تدبير أمــور ذلــك المــلكوت الذي لا يحيط بسعته وحجمه أحد سواه . وفي هذا التذييل تنبيه على وجوب التوكل التام عليه سبحانه مع الأخذ بالأسباب . وقد تكــرر هــذا المعنى كثيراً في القرآن الكريم بعامة وفي سورة النساء ثلاث مرات[٤] غير هذا الموقع ، وجميعها كانت تعليلاً للتسليم في أمور عظام من قدرة الله وعظمته .

---

١ ــ الآية (٨٠) .

٢ ــ الآية (١٣٢) .

٣ ــ انظر تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٥٩٣ .

٤ ــ في الآية (١٢٦) ، وفي الآية (١٣١) مرتين ، والآية موضع الدرس .

المطلب الثاني : الإطناب .

وهــو قسيم الإيجاز ارتبط به ارتباط العضو بالعضو يتكاملان ليؤلفا هيئة أدبية سوية البنية والملامح[١] بدءاً بحديهما ؛ فإذا كان حد الإيجاز هو : قــلة اللفظ مع وفرة المعنى فإن حد الإطناب هو : زيادة اللفظ على المعنى لــلفائدة[٢] ، هــذه الفــائدة أخرجته عن التطويل والحشو وأدخلته في زمرة الأســاليب الأدبية المثمرة . فمادة الكلمة تحمل معنى الزيادة[٣] لكنها زيادة تهدف إلى أغراض بلاغية دقيقة يكاد يطلبها الموقف ويلح عليها .

وقــد وقــف عــلماء البلاغة أمامها باحثين متأملين لتلك الأغراض وخلصوا إلى جملة منها[٤] . ستقف الدراسة بعون الله على أكثرها لوجودها في سورة النساء المباركة ، ومن بين تلك الأغراض :

---

١ ــ انظر (كشف الغموض عن فوائد البلاغة والعروض) د/ الأيوبي و د/ ديب ، ص١٣٢ .

٢ ــ انظر (المثل السائر) لأبن الأثير ، ج٢ ، ص٣٤٤ .

٣ ــ جاء في لسان العرب : الإطناب هو : البلاغة في المنطق والوصف مدحاً كان أو ذماً . وأطنب في الكلام : بالغ فيه ، والإطناب : المبالغة .

وقــال ابــن الأنباري : أطنب في الوصف إذا بالغ واجتهد . وأطنبت الريح إذا اشتدت في غبار .

مادة (طنب) ، ج١٠ ، ص٥٦٢ .

٤ ــ هــي : الإيضــاح بعــد الإبهام ، وذكر الخاص بعد العام ، وذكر العام بعد الخاص ، والتكرير لفائدة ، والإيغال ، والتذييل ، والاحتراس ، والتتميم ، والاعتراض .

انظر (شروح التلخيص) ، ج٣ ، ص٢٠٩ وما بعدها .

وانظر كذا (البلاغة فنونها وأفنانها) للدكتور فضل حسن عباس ، علم المعاني، ص٤٨٢ .

وكذا (كشف الغموض عن فوائد البلاغة والعروض) د/ الأيوبي و د/ ديب ، ص١٣٦ .

أولاً : الإيضاح بعد الإبهام .

وهو تقديم المعنى الواحد في صورتين مختلفتين ، الأولى إجمال وإبهام ، والثانية تفصيل وتوضيح ، والهدف من ذلك تمكين المعنى في النفس بإثارة الشوق إليه وتنبيه المتلقي إلى أهميته[١] .

ومن أمثلته الكثيرة في سورة النساء نختار هذه الآيات المباركات .

يقول المولى تبارك وتعالى :

{ أم يَحسُدونَ الناسَ على ما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فقدْ آتينا آلَ إبْراهيمَ الكِتَابَ والحِكْمَةَ وآتيْناهُمْ مُلْكاً عَظيماً }[٢] .

أجمل المعنى في قوله تعالى : { ما آتاهم الله من فضله } ثم فسر هذا الفضل بضرب مثل توضيحي لما آتاه الله أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، فقال تعالى : { فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً } وهل أعظم من هذا الفضل الذي خص به الأنبياء عليهم السلام وزاد آل إبراهيم عليه الملك . وإن كانت النبوة لا يعظمها شيء حتى ولو كان ملكاً عظيماً ، يدل على هذا تكرير العامل (آتيناهم) وذلك لما يقتضيه مقام التفصيل مع الإشعار بما بين النبوة والملك من المغايرة[٣] ولذا قدم ما يدل على النبوة إشعاراً بفضلها على الملك .

ومن ذلك قوله تعالى :

{ إلاّ المستضعفينَ مِنَ الرجالِ والنساءِ والولدانِ لا يستطيعونَ حيلةً ولا يهتدونَ سبيلاً }[٤] .

فسّر المستضعفين بنوعين من التفسير : أولهما جنس المستضعفين وهم الرجال والنساء والولدان ، وثانيهما سبب استضعافهم فهم { لا

١ــ انظر (كشف الغموض

وكذا (علم المعاني) للدكتور عبد العزيز عتيق ، ص١٨٨ .

٢ ــ الآية (٥٤) .

٣ ــ انظر تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٥٣٧ .

٤ ــ الآية (٩٨) .

يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلاً } وهذا منتهى الدقة في وصف الاستضعاف ولذا استثنوا عن الذين توفتهم الملائكة ظالمي أنفسهم[١] لعجزهم الحقيقي عن الهجرة .

ولا يشترط في الإيضاح أن يكون في آية واحدة بل قد يأتي في آيتين أو أكثر أيضاً ، اسمع قوله تعالى :

{ لا يستوي القَاعِدونَ مِنَ المُؤمنينَ غيرُ أُولي الضررِ والمجاهدونَ في سبيلِ اللهِ بأموالِهِمْ وأنفسِهِمْ فضَّلَ اللهُ المجاهدينَ بأمْوالِهِم وأنْفُسِهِمْ على القَاعِدينَ درَجَةً وكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الحُسْنى وفضَّلَ اللهُ المُجَاهِدينَ على القَاعِدينَ أجراً عظيماً * درَجَاتٍ منه ومغْفِرةً ورحْمَةً وكانَ اللهُ غفوراً رحيماً }[٢] .

في هاتين الآيتين عدة أنواع من الإطناب[٣] ولكن حسبنا ما نحن بصدده من الإيضاح ، ففي قوله تعالى : { لا يستوي القاعدون من

---

١ ــ انظر تفسير (روح المعاني) ، م٢ ، ج٥ ، ص١٣٧ .

والآية الدالة على ذلك قوله تعالى :

{ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً } ، (٩٧) ، سورة النساء.

وقد جاء مثل هذا البيان في قوله تعالى :

{ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ... } ، جزء من الآية (٧٥) ، سورة النساء .

انظر تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٥٤٩ .

وقد درست الآية في التكرير لغاية الإطناب .

٢ ــ الآيتين (٩٥ ، ٩٦) .

٣ ــ أولاً : الاحتراس ، في قوله تعالى: { غير أولي الضرر } حتى لا يفهم خلاف المقصود فيظن أصحاب الأعذار أنهم داخلون في حكم عدم الاستواء في الأجر .

وثانياً : الاعتراض ، في قوله تعالى : **{ وكلاً وعد الله الحسنى }** وأحسب أن غرضه البلاغي المسارعة في طمأنة المسلمين بما لهم من أجر عند الله سبحانه وتعالى جميعهم .

وثالثاً : التذييل ، في قوله تعالى : **{ وكان الله غفوراً رحيماً }** . لتأكيد مضمون الآيتين معاً .

المؤمنين ... } إبهام بعد ذكر حد هذا التفاوت المشار إليه بعدم الاستواء[١] ثم يـأتي البيان في قوله تعالى : { فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القـاعدين درجـة } وأكد هذا المعنى بقوله تعالى : { وفضل الله المجاهدين عـلى القاعدين أجراً عظيماً } هذا في داخل الآية الأولى ، ثم تأتي الأخرى لتوضـح مـا أجمل في قوله : { أجراً عظيماً } وتفسره ب { درجاتٍ منه ومغفـرةً ورحمـةً } وهذا هو الأجر العظيم . والغرض الأساسي من هذه المـتابعة هـو تعقيـب النذارة التي كانت فيما سبق من آيات بهذه البشارة المسهبة ؛ دفعاً لليأس من الرحمة عن أنفس المسلمين[٢] .

ومن ذلك قوله تعالى :

{ بَشِّـرِ المُـنافِقينَ بأنَّ لهُمْ عذَاباً أليمَاً * الذينَ يتّخذُونَ الكَافِرينَ أوْلِياءَ منْ دونِ المُؤمِنينَ أيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ العِزّةَ فإنَّ العزّةَ للهِ جميعاً }[٣] .

فقد جاء بيان نفاقهم وتعليل بشارتهم بالعذاب بأنهم هم الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، وهذا الوصف أصدق برهان على نفاقهم ولو كانوا مؤمنين لعلموا أن العزة لله جميعاً .

وربما يأتي التوضيح في جملة مفسرة للقول أو ما ينوب عنه ، مثل قوله تعالى :

{ يسـألُكَ أهـلُ الكتابِ أنْ تُنَزّلَ عليْهِمْ كتَاباً منَ السمَاءِ فقدْ سَألُوا مُوسـى أكْبَرَ مِن ذَلك فقالُوا أرِنَا اللهَ جَهْرَةً فَأخَذَتْهُمْ الصَاعقَةُ بظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتّخَـذُوا العجْـلَ مِن بَعْدِ ما جاءَتْهُمْ البَيّنَاتُ فعَفَوْنا عنْ ذَلِكَ وآتَيْنَا موسى سُلْطَانَاً مُبِيناً }[٤] .

---

١ ــ يقول العرب : " لا يستوي " و " ليس سواءً " بمعنى أن أحد المذكورين أفضل من الآخر .
انظر (التحرير والتنوير) للطاهر بن عاشور ، ج٥ ، ص١٦٩ .

٢ ــ المرجع السابق الصفحة نفسها .

٣ ــ الآيتان (١٣٨ ، ١٣٩) .

٤ ــ الآية (١٥٣) .

فمـــاذا كـــان ســـؤالهم الـــذي وُصِف بأنه أكبر من سؤال معاصري الرســـول ؟ لقد وضحه المولى بقوله تعالى : { فقالوا أرنا الله جهرة } فأتى الأســـلوب فيـــه بالإبهام ثم بالإيضاح ؛ تنبيهاً على عظم هذا السؤال وعظم جـــرم سائليه . ولذا استحقوا أخذهم بالصاعقة وتعديد جرائمهم للناس كافة عل مدى الزمان في قرآن يُتْلَى ؛ ليتعظ بحالهم المتعظون .

وقد يكون الإيضاح ضمنياً بمعنى أن يكون أقرب إلى التلميح منه إلى التصريح وذلك مثل قوله تعالى :

{ يا أهلَ الكتابِ لا تَغْلوا في دِينِكُمْ ولا تَقُولوا على اللهِ إلاّ الحَقَّ إنّمَا المَسَـــيحُ عِيســـى ابنُ مَرْيَمَ رسولُ اللهِ وكَلِمَتُهُ أَلْقَاها إلى مَرْيَمَ ورُوحٌ مِنْهُ فآمِـــنُوا بِـــاللهِ ورُسُلِهِ و لا تَقُولوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إنّما اللهُ إلَهٌ واحِدٌ سُـــبْحَانَهُ أنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ ما في السماواتِ وما في الأرْضِ وكَفَى باللهِ وَكيلاً }[1] .

فقولـــه تعالى : { إنما المسيح عيسى ابن مريم } جملة وضحت الحد الذي كان الغلو عنده[2] . والمعنى أن غلوهم رفع المسيح من صفته الحقيقية – وهي كونه رسول الله وكلمته التي ألقاها إلى مريم وكونه روحاً من عند الله – إلى منزلة جعلته إلهاً يُعبد في عُرفهم وملتهم وذلك هو الغلو فلم يذكره المـــولى مباشـــرة ولكـــن ذكر ما يبطله بتحقيق صفات المسيح التي ينبغي معرفـــتها والاعتراف والوقوف عند حدها وذلك هو الحق الذي طُلب منهم قوله .

---

١ ــ الآية (١٧١) .

٢ ــ انظر (التحرير والتنوير) للطاهر بن عاشور ، ج٦ ،ص٥١ .

ثانياً : ذكر الخاص بعد العام :

من أسباب الإطناب ذكر الخاص بعد العام[١] ، وذلك لما للخاص من مــزيّة وزيادة فضل تجعله كأنما هو شيء آخر مميز عما قبله ، ومن ذلك قوله تعالى :

{ إنّا أوْحَيْنَا إليْكَ كما أوْحَيْنَا إلى نُوحٍ والنبيينَ مِنْ بعدهِ وأوْحيْنَا إلى إبْــراهِيمَ وإسْــمَاعيلَ وإسْحاقَ ويعْقُوبَ والأسْبَاطِ وعِيسى وأيوبَ ويُونُسَ وهارُونَ وسُلَيْمانَ وآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً }[٢] .

أخــبر سبحانه أنه أوحى إلى النبيين فجمعهم بهذه اللفظة جميعاً ، ثم ذكــر بعضـــهم (مع انتظامهم في سلك النبيين تشريفاً لهم وإظهاراً لفضلهم على ما هو معروف في ذكر الخاص بعد العام في مثل هذا المقام ، وتكرير الفعــل لمــزيد تقرير الإيحاء والتنبيه على أنهم طائفة خاصة مستقلة بنوع مخصوص من الوحي)[٣] .

ومثله قوله تعالى :

{ يــا أهــلَ الكِــتابِ لا تغْــلوا فــي دينِكُمْ و لا تَقُولوا على الله إلاّ الحَقَّ ... }[٤] .

قــال ابــن عاشور : (وقوله { لا تقولوا على الله إلاّ الحق } عطف خاص على عام للاهتمام بالنهي عن الافتراء الشنيع)[٥] ، فجعل القول جزءً

---

١ ــ انظر (البلاغة فنونها وأفنانها) للدكتور فضل حسن عباس ، علم المعاني ، ص٤٨٦ .

٢ ــ الآية (١٦٣) .

وقد ذكر في الآية نوع آخر من الإطناب وهو ذكر العام بعد الخاص وذلك عند ذكره للنبي صلى الله عليه وسلم في كافة الخطاب وذكر نوح عليه السلام ثم ذكرهما ضمن النبيين تنبيهاً على ما لهما من فضل عظيم .

٣ ــ انظر (روح المعاني) للألوسي ، م٢ ، ج٦ ، ص١٦ .

٤ ــ جزء من الآية (١٧١) . درست هذه الآية في الإيضاح الضمني ، ص٣٣٦ .

٥ ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٦ ، ص٥١ .

من الغلو لما كان يتردد على ألسنتهم من الافتراءات الكاذبة على الله تعالى وعلى عيسى عليه السلام .

ومنه قوله تعالى :

{ فكيف إذا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وجِئْنَا بِكَ على هَؤُلاءِ شَهِيداً * يومَئذٍ يوَدُّ الذينَ كفَرُوا وعَصَوُا الرسولَ لو تُسَوّى بِهِمُ الأرضُ ولا يكْتُمون اللهَ حَديثاً}[1] .

في الآية الكريمة موضعين لذكر الخاص بعد العام أولهما في قوله : { جئنا بك } بعد قوله تعالى : { جئنا من كل أمة بشهيد } فخصه عليه الصلاة والسلام بمجيء ليس كمثله مجيء تنويهاً على مكانته وشرفه ونفعه لكل الأمم .

وثانيهما في قوله تعالى :{ كفروا وعصوا الرسول } لأن كفرهم يدخل فيه عصيانهم له – صلى الله عليه وسلم – فلو أطاعوه ما كفروا ، ولكن ذكر الخاص وهو عصيانهم للرسول بعد العام وهو كفرهم تشريفاً له – صلى الله عليه وسلم - وكأن عصيانهم له يعادل كل كفرهم ؛ لبيان عظم مكانته .

ثالثاً : التكرير لفائدة بلاغية .

وللتكرير أسباب بلاغية كثيرة[2] يحددها المقام وتطلبها حاجة معنوية في السياق فقد يكون التكرير لتأكيد الإنذار ، أو الردع وذلك مثل قوله تعالى :

---

١ ــ الآية (٤١ ، ٤٢) .

وفي الآية إطناب آخر في تكرير الفعل (جئنا) .

٢ ــ انظر (البلاغة فنونها وأفنانها) للدكتور فضل حسن عباس ، علم المعاني ، ص٤٨٧ .

{ يا أيّها الذينَ آمنُوا أطيعوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَسولَ وأُولِي الأمْرِ منْكُمْ فــإنْ تنازَعْــتُمْ فــي شيءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللهِ والرَسولِ إن كُنْتُمْ تؤمِنونَ باللهِ واليَومِ الآخرِ ذلكَ خيرٌ وأحسنُ تأْويلاً }[١] .

والــتكرير فــي الفعــل (أطيعــوا) في قولــه تعالى : { وأطيعوا الرســول } ، وإنمــا أُعيــد مع أنّ حرف العطف يغني عن إعادته إظهاراً للاهــتمام بتحصيل طاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – ؛ لتكون أعلى مرتبة من طاعة أولي الأمر ، ولينبه على وجوب طاعته فيما يأمر به ، ولو كــان أمره غير مقترن بقرائن تبليغ الوحي[٢] ؛ أي في كل أمر حتى ولو لم يكن وحياً .

ويــأتي الــتكرير فــي باب الدعاء مبالغة في التضرع والابتهال ، وإظهــاراً لشــدة الحاجة وتعلق القلب بها وبمن سيقضيها ، ومثل ذلك قوله تعالى :

{ ومــا لكُــمْ لا تقاتــلونَ في سبيلِ اللهِ والمستضعفينَ منَ الرجالِ والنســاءِ والوِلْدانِ الذينَ يَقُولونَ ربَّنا أخرجْنَا من هذهِ القَرْيَةِ الظالمِ أهْلُهَا وأجْعَلْ لنا من لَدُنْكَ وليّاً واجْعَل لنا من لَدُنْكَ نَصيراً }[٣] .

لقــد استجاب الله عز وجل دعاءهم حتى صاروا أعز أهل مكة بعد فــتحها عــلى يد خير ولي وأعز ناصر[٤] محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

---

١ ــ الآية (٥٩) .

٢ ــ انظر (التحرير والتنوير) للطاهر بن عاشور ، ج٥ ، ص٩٧ .

٣ ــ الآية (٧٥) .

وفي الآية نوع آخر من الإطناب وهو الاحتراس في قوله تعالى : { الظالمِ أهلها } احتراساً عــن أن يفسر طلب خروجهم من مكة لكرههم لها ــ شرفها الله ــ بل كان هرباً من ظلم أهلها حين كانوا يومئذ كفاراً قبل الفتح .

٤ ــ انظر تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٥٥٠ .

ومما جاء فيه التكرير لتأكيد الردع قوله تعالى :

{ يــا أيّهــا الذينَ آمنُوا إذا ضَرَبْتُمْ في سَبيلِ اللهِ فَتبيَّنوا ولا تَقُولوا لِمَــن ألــقى إليْكُمْ السّلامَ لستَ مُؤمِناً تبْتغونَ عَرَضَ الحَياةِ الدُّنيا فعِنْدَ اللهِ مغــانِمُ كــثيرةٌ كذلِــكَ كُنْتُمْ من قبلُ فمَنَّ اللهُ عليكُم فتبيّنُوا إنّ اللهَ كانَ بما تعملونَ خبيراً }[1] .

دلّــت الآية على حكمة عظيمة في حفظ الجماعة الدينية ، وهي بثّ الثقة والأمان بين أفراد الأمة ، وطرح ما من شأنه إدخال الشك لأنه إذا فتح هذا الباب عَسُرَ سدّهُ . ومن أجل ذلك أعاد الله الأمر فقال (فتبينوا) تأكيداً لــ (تبينوا) المذكورة قبله ، وذيله بقوله { إن الله كان بما تعملون خبيراً } وهو يجمع وعيداً ووعداً[2] .

ومن التكرير البلاغي قوله تعالى :

{ فبما نقضِهِمْ ميثاقَهُمْ وكفرِهِمْ بآياتِ اللهِ وقتلِهِمُ الأنبياءَ بغيرِ حقٍّ وقولِهِــمْ قلوبُــنا غُــلْفٌ بَلْ طبعَ اللهُ عليها بكفرِهِمْ فلا يؤمنونَ إلاّ قليلاً * وبكفرِهِمْ وقولِهِمْ على مريمَ بهتاناً عظيماً }[3] .

فقد كرر لفظ (كفرهم) تأكيداً على تأصل الكفر في نفوسهم وإيذاناً بِــتكرر كفــرهم في كل جيل ، حيث كفروا بموسى ثم كفروا بعيسى ، ثم كفــروا بمحمد - عليهم الصلاة والسلام -[4] ، ثم لا يزال كفرهم يتجدد عبر الأجيال إلى أن يلقوا ربهم وهم على ذلك .

---

١ ــ الآية (٩٤) .

٢ ــ انظر (التحرير والتنوير) للطاهر بن عاشور ، ج٥ ، ص١٦٩ .

٣ ــ الآيتان (١٥٥ ، ١٥٦) .

٤ ــ انظر تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٦٠٣ .

رابعاً : التذييل .

هــو تعقيب الجملة بجملة أخرى متفقة معها في المعنى تأكيداً للجملة الأولى[١] ، وهــو ضــربان : لــم يخرج مخرج المَثَل بأن لم يستقل بإفادة المراد ، بل يتوقف على ما قبله نحو قوله تعالى :

{ ذلكَ جزيناهُمْ بما كفروا وهَلْ نُجازي إلاّ الكفورَ }[٢] .

وضــرب أخــرج مخرج المثل وذلك بأن يقصد بالجملة الثانية حكم ـحــلي منفصــل عمّــا قــبله جــار مجرى الأمثال في الاستقلال وكثرة الاستعمال[٣] ، ومثاله قوله تعالى :

{ وقُلْ جاءَ الحَقُّ و زَهَقَ الباطِلُ إنَّ الباطِلَ كانَ زهوقاً }[٤] .

ومن أمثلته الضرب الأول من سورة النساء قوله تعالى :

{ ألمْ ترَ إلى الذينَ قِيلَ لهم كُفّوا أيديكُمْ وأقِيمُوا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ فــلمّا كُتِبَ عليهِم القِتَالُ إذا فريقٌ منهُمْ يَخْشَوْنَ النّاسَ كخَشْيةِ اللهِ أو أشَدَّ خشْــيَةً وقــالوا ربَّــنا لِمَ كَتَبْتَ علينَا القِتَالَ لولا أخَّرْتَنَا إلى أجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ متاعُ الدُنْيَا قليلٌ والآخِرَةُ لمن اتّقى ولا تُظْلَمونَ فتيلاً }[٥] .

تــتحدّث الآيــة عن فِئة من الناس طلبوا القِتال حين لم يكتب عليهم وجــزعوا مــنه بعد ذلك[٦] فاستنكر المولى صنيعهم هذا ووبخهم عليه بهذا التذييل[٧] : { قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً }

---

١ ــ انظر (البلاغة فنونها وأفنانها) للدكتور فضل حسن عباس ، علم المعاني ، ص٤٩٢ .

٢ ــ الآية (١٧) من سورة سبأ .

٣ ــ انظر (شروح التلخيص) ، ج٣ ، ص٢٢٥ وما بعدها .

٤ ــ الآية (٨١) من سورة الإسراء .

٥ ــ الآية (٧٧) . ومن التذييل الآية (١٠٧) .

٦ ــ انظر (الكشاف) للزمخشري ، ج١ ، ص٢٨٢ .

وكذا (التحرير والتنوير) لابن عاشور ، ج٥ ، ص١٢٥ .

٧ ــ انظر المرجع السابق ، ص١٢٧ .

فكـــان بمثابة (تسلية لهم عن الدنيا وترغيب لهم في الآخرة وتحريض لهم على الجهاد)[١] .

ومثله قوله تعالى :

{ مَـــنْ يشْفَعْ شفاعةً حسنةً يكُنْ له نصيبٌ منْها ومَنْ يشفَع شفاعةً سيئةً يكُنْ لهُ كفلٌ منها وكانَ اللهُ على كُلِّ شيءٍ مُقيتاً }[٢] .

فالتذييل { وكان الله على كل شيء مقيتاً } لإفادة أن الله يجازي على كـــل عمـــل بمـــا يناسبه من حسن أو سوء[٣] ، وهذا نفسه معنى الآية من بدايـــتها . وغرضه البلاغي التنبيه والتركيز على تنزيه الحق تبارك وتعالى عن الظلم ، وأنه يجازي بجنس العمل ، ويتفضل بالرحمة والمغفرة فوق كل ذلك .

وقريب منه في الصورة والغرض قوله تعالى :

{ ليـــسَ بأمانيِّكُمْ ولا أمانيِّ أهلِ الكتابِ مَنْ يعملْ سوءً يُجزَ بهِ ولا يجدْ لهُ مِنْ دونِ اللهِ ولياً ولا نصيراً }[٤] .

فكـــأن التذييل قد زاده تأكيداً لرد عقيدة من يتوهم أن أحداً يحمي أو يُغني من عذاب الله[٥] .

ومنه قوله تعالى :

{ إنَّمـــا اللهُ إلهٌ واحدٌ سبحانَهُ أن يكونَ لهُ ولدٌ لهُ ما في السمواتِ وما في الأرضِ وكفى باللهِ وكيلاً }[٦] .

فجملة { له ما في السموات وما في الأرض } تذييل يفيد التعليل لقوله تعالى : { سبحانه أن يكون له ولد } ؛ لأن الذي له ما في السموات وما في

---

١ ـــ انظر تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص٥٢٧ .

٢ ـــ الآية (٨٥) .

٣ ـــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص١٤٤ .

٤ ـــ الآية (١٢٣) .

٥ ـــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص٢٠٩ .

٦ ـــ جزء من الآية (١٧١) .

الأرض قد استغنى عن الولد ، ولأن مَن يُزعَمُ أنه ولدٌ له هو مما في السموات والأرض كالملائكة أو المسيح ، فكلٌّ عبيده وليس الابن بعبد[1] .

ومثل هذا اللون كثير جداً في القرآن الكريم عامة ، وسورة النساء خاصة .

ولا يقتصر التذييل على وروده في آخر الآية الواحدة ، بل يأتي أحياناً في آية كاملة من بدايتها ، وتكون تذييلاً لمعنى ورد في آية أو آيات سابقة ؛ ذلك أن المعول عليه هو تأكيد المعنى . وأمثلته في سورتنا كثيرة نختار منها قوله تعالى :

{ ومَنْ أحسنُ ديناً ممَّنْ أسلمَ وجهَهُ للهِ وهوَ محسنٌ واتَّبَعَ ملَّةَ إبراهيمَ حنيفاً واتَّخَذَ اللهُ إبراهيمَ خليلاً * وللهِ ما في السمواتِ وما في الأرضِ وكانَ اللهُ بكلِّ شيءٍ محيطاً }[2] .

الآية الثانية مع ما فيها من بيان أن جميع ما في السموات والأرض لا يخرج عن ملكوته سبحانه إلا أنها تذييل للآية قبلها ؛ لبيان أن اتخاذه عز وجل لإبراهيم - عليه السلام - خليلاً ليس لاحتياجه سبحانه إلى ذلك في شأن من شؤونه كما هو دأب الآدميين ، بل لمجرد تكريمه وتشريفه عليه السلام [3] .

ومنه قوله تعالى :

{ ما يفعلُ اللهُ بعذابِكُمْ إنْ شكرتُمْ وآمنتُمْ وكانَ اللهُ شاكراً عليماً }[4]

فهي تذييل لكلتا الآيتين :

{ إنَّ المنافقينَ في الدركِ الأسفلِ منَ النارِ ولنْ تجدَ لهُمْ نصيراً * إلاّ الذينَ تابوا وأصلحوا واعتصموا باللهِ وأخلَصوا دينَهُمْ للهِ فأولئكَ معَ المؤمنينَ وسوفَ يؤتِ اللهُ المؤمنينَ أجراً عظيماً }[5] .

---

١ ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٦ ، ص٥٨ .

٢ ــ الآيتان (١٢٥ ، ١٢٦) .

٣ ــ انظر تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٥٨٩ .

٤ ــ الآية (١٤٧) .

٥ ــ الآيتان (١٤٥ ، ١٤٦) .

ويتضـــح تذييل الآية السابقة أكثر بانتهائها بقوله تعالى : { وكان الله شاكراً عليماً } ، حيث هي إعلام بأن الله لا يعطل الجزاء الحسن عن الذين يؤمنون به ويشكرون نعمه ، والإيمان بالله وصفاته أول درجات شكر العبد لربه[١] .

ومن أمثلة الضرب الثاني من التذييل في سورة النساء المباركة قوله تعالى :

{ يريدُ اللهُ أنْ يُخففِّفَ عنكُمْ وخُلِقَ الإنسانُ ضعيفاً }[٢] .

فالجملة الأخيرة في الآية (تذييل مسوق لتقرير ما قبله من التخفيف بالرخصة في نكاح الإماء)[٣] . ومع ما فيها من قوة صلة بموضوع الآيات التي قبلها إلا أن هذا القول { وخلق الإنسان ضعيفاً } مستقل الفائدة والذكر .

ومما هو جار مجرى المثل قوله تعالى :

{ فــإذا قضيتُمُ الصلاةَ فاذكروا اللهَ قياماً وقعوداً وعلى جنوبِكُمْ فإذا اطمأننـــتُمْ فأقيموا الصلاةَ إنَّ الصلاةَ كانَتْ على المؤمنينَ كتاباً موقوتاً }[٤]

تتحدث الآية عن صلاة الخوف[٥] ، وتؤكد على وجوب أداء الصلاة فـــي أوقاتها في كافة الأحوال وبأوضاع مختلفة حسب الاستطاعة ، ثم يأتي التذييل { إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً } ليعلل الحرص على أدائها في أوقاتها[٦] في جميع الأحوال . وهذا التذييل رغم قوة علاقته بسياق

---

١ ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص٢٤٥ .

٢ ــ الآية (٢٨) .

٣ ــ انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٥ ، ص١٤ .

والتذييل في الآية يعود إلى عدة آيات سابقة عليها ابتداءً من قوله تعالى : **{ ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات ... }** ، الآية (٢٥) وما بعدها .

٤ ــ الآية (١٠٣) .

٥ ــ انظر (الكشاف) ، ج١ ، ص٢٩٦ .

٦ ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص١٨٩ .

الآيــة كــلها إلا أنه حكم مستقل عمّا قبله ، كامل الأركان ويتردد على كل لسان في كل زمان .

وقريب منه قوله تعالى :

{ والذينَ آمنوا وعملوا الصالحاتِ سندخلُهُمْ جنَّاتٍ تجري من تحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها أبداً وعْدَ اللهِ حقاً ومَنْ أصدقُ منَ اللهِ قيلاً }[١] .

فآخــر جمــلة فــي الآيــة { ومن أصدق من الله قيلاً } تذييل مؤكد لمضــمون الآية ، والمقصود بها معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعــد الله الصــادق لأوليائــه ، والمــبالغة في تأكيده ؛ ترغيباً للعباد في تحصــيله[٢] ، ومع كل ما لها من تأثير معنوي على الآية إلاّ أنها يمكن أن تستقل بنفسها لتكون مثلاً على ألسنة المؤمنين .

ومثله قوله تعالى :

{ وإنِ امرأةٌ خافَتْ مِنْ بعلِها نشوزاً أو إعراضاً فلا جُناحَ عليهما أنْ يُصلِحا بينَهُما صُلحاً والصلحُ خيرٌ ... }[٣] .

فالمقصود من هذا التذييل إثبات أن مادة الصلح خير للناس ؛ ترغيباً فيه ، وهو كثير التردد كلما دعت إليه الحاجة .

خامساً : الاحتراس .

أســماه الخطيب التكميل وقال : (هو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه)[٤] ، ولا فرق بين أن يكون متوسطاً للنص أو في آخره ومن أمثلته في سورة النساء قوله تعالى :

---

١ ـــ الآية (١٢٢) .

٢ ـــ انظر تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٥٨٧ .

وقوله : معارضة مواعيد الشيطان ... إلخ ، تعقيباً على الآية التي سبقت الآية موضع الدراسة في قوله تعالى : **{ يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً }** ، الآية (١٢٠) ،

٣ ـــ جزء من الآية (١٢٨) .

٤ ـــ انظر (شروح التلخيص) ، ج٣ ، ص٢٣٣ .

{ إنَّ الذينَ يأكلونَ أموالَ اليتامى ظلماً إنَّما يأكلونَ في بطونِهِمْ ناراً وسيصلونَ سعيراً }[١] .

هذه الآية العجيبة تحمل ألواناً شتى من الجمال البلاغي ، وما يخص الموضوع هنا قوله تعالى : { يأكلونَ أموالَ اليتامى ظلماً } ، احترس الأسلوب القرآني بكلمة (ظلماً) من أن يفهم التحريم المطلق لأكل أي شيء من مال اليتيم مثل أكل الولي المحتاج بالمعروف أو قبول المخالطة أو الهدية ونحوه . قال الألوسي : (وإنّما علق الوعيد على الأكل بذلك لأنه قد يأكل مال اليتيم على وجه الاستحقاق كالأجرة والقرض مثلاً فلا يكون ظلماً)[٢] .

ومن الاحتراس ما جاء في هذه الآية المباركة :

{ يا أيُّها الذينَ أوتوا الكتابَ آمنوا بما نزَّلنا مُصدِّقاً لما معَكُمْ مِنْ قبلِ أنِ نطمِسَ وجوهاً فنرُدَّها على أدبارِها ... }[٣] .

الاحتراس في قوله تعالى : { مصدقاً لما معكم } جاء تأكيداً على أن ما نزّله الله لا يخالف الحق الصادق في دينهم ؛ لوحدة الأديان الصحيحة في المصدر والمبادئ ، إذن لا مبرر لجفائكم له فهو مصدق لما معكم .

ومنه قوله تعالى :

{ لا يستوي القاعدونَ مِنَ المؤمنينَ غيرُ أولي الضررِ والمجاهدونَ في سبيلِ اللهِ بأموالِهِمْ وأنفُسِهِمْ ... }[٤] .

---

١ ــ الآية (١٠) .

٢ ــ انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٤ ، ص٢١٥ .

٣ ــ جزء من الآية (٤٧) .

٤ ــ جزء من الآية (٩٥) . ومما جاء على شاكلته قوله تعالى :

{ ولو أنَّا كتبنا عليهِمْ أنِ اقتلوا أنفسكُمْ أو اخرجوا مِنْ ديارِكُمْ ما فعلوه إلاّ قليل منهم ولو أنّهم فعلوا ما يوعظونَ بهِ لكانَ خيراً لهُمْ وأشدَّ تثبيتاً } . الآية (٦٦) ، والاحتراس في قوله تعالى : { إلاّ قليل منهم } . ومثله أيضاً قوله تعالى :

{ ربَّنا أخرجنا من هذه القريةِ الظالمِ أهلُها ... } ، الآية (٧٥) ، تنزيهاً لمكة شرفها الله عن الظلم وتشريفاً لها .

الاحـــتراس فـــي قوله تعالى : { غير أولي الضرر } حتى لا يكلف أصحاب الضرر أنفسهم ما لا طاقة لهم به لعجزهم عن الأهبة ، ويؤيد هذا مـــا جـــاء عـــن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - أنه قال : كنت إلى جنب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حـــتى خشيت أن تَرُضَّها ، ثم سري عنه فقال : " اكتب " فكتبت لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون . فقال ابن أم مكتوم - وكان أعمى - : يـــا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين ؟ فغشيته السكينة كذلك ، ثم سري عنه فقال : " اكتب { لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون }[١]

سادساً : التتميم .

وهـــو أن يـــؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكتة كالمبالغة[٢] . ومن أمثلته في سورة النساء قوله تعالى :

{ إنَّما يأكلونَ في بطونِهِمْ ناراً ... }[٣] .

وكذلك قوله تعالى :

{ لياً بألسنَتِهِمْ ... }[٤] .

وأيضاً في قوله تعالى :

{ سوفَ نصليهِمْ ناراً ... }[٥] .

فـــي كل ما سبق نجد أن هذه الأجزاء زيدت بغرض إخراج المعنى بصـــورة أوضح وأعمق ؛ مبالغة في الإفهام . فالأولى معلوم فيها أن الأكل لا يكون إلا في البطون ، وذكرها يرسم أبشع صور الجشع وأقوى ما يكون

---

١ ــ انظر تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٥٧٠ ، ٥٧١ .

٢ ــ انظر (الإيضاح) ، ص١٩٦ .

٣ ــ جزء من الآية (١٠) .

٤ ــ جزء من الآية (٤٦) .

٥ ــ جزء من الآية (٥٦) .

عـــليه الانتقام . أما الثانية ذكر فيها دليل على أن " اللي " يخص الكلام في قوله تعالى :

{ مِنَ الذينَ هادوا يحرِّفونَ الكَلِمَ عنْ مواضعِهِ ويقولونَ ... } .

الآيـــة . فعـــلم أن الـــلي المقصود هو إخراج الكلام على طريقة مقصودة لإيقـــاع الشبهة التي ترضي نفوسهم المريضة ، وهذا لا يكون إلا باللسان . أمّـــا الزيادة البلاغية في قوله تعالى : { نصليهم ناراً } فمعلوم أن الإصلاء بالـــنار ، ولكن زيدت كلمة (ناراً) تتميماً للمعنى لإخراجه بأكثر ما يكون عليه غلظة وتفجعاً ؛ تخويفاً للكافرين وتوعداً لهم ، وتنفيراً لغيرهم حتى لا يصيبهم ما أصاب أعداء الله الكافرين .

سابعاً : الاعتراض .

وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة سوى ما ذكر في تعريف التكميل[١] .

ومن أبسط أمثلته في سورة النساء قوله تعالى في آية المواريث :

{ فإنْ لمْ يكُنْ لهُ ولدٌ وورثهُ أبواهُ فلأمِّهِ الثُّلثُ ... }[٢] .

فجمـــلة : { وورثه أبواه } جملة اعتراضية[٣] سيقت لغرض بلاغي توضيحي هو انفراد أبوي المُوَرِّث بالإرث ، فحكم لهما بجميع المال ، للأم الثلث وللأب الباقي[٤] على مراعاة قاعدة : للذكر مثل حظ الأنثيين .

---

١ ــ انظر (شروح التلخيص) ، ج٣ ، ص٢٣٧ .

وقوله لنكتة سوى ما ذكر في تعريف التكميل يقصد أن الاعتراض لا يفيد الاحتراس عن أن يفهـــم خلاف المقصود ؛ لأن ذلك غير وارد في السياق أصلاً ، وإنما قد يكون للدعاء أو الاستعطاف أو للتنبيه على أمر ما ، أو التأكيد ، وغير ذلك كثير .

٢ ــ جزء من الآية (١١) .

٣ ــ انظر (الجدول في إعراب القرآن وصرفه) لمحمود الصافي ، ج٤ ، ص٣٦١ ، دار الرشيد ، دمشق ، سوريا ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩هـــ – ١٩٨٨م .

٤ ــ انظر (البحر المحيط) ، ج٣ ، ص١٨٤ .

وكذا (نظم الدرر للبقاعي) ، ج٥ ، ص٢٠٦ .   =

ومما جاء فيه الاعتراض جامعاً لمعان شتى قوله تعالى :

{ ومَــنْ لــمْ يستطِعْ منكُمْ طَولاً أنْ ينكِحَ المُحصَنَاتِ المؤمناتِ فممَّا مــلكَتْ أيْمانُكُمْ مِنْ فتياتِكُمُ المؤمناتِ واللهُ أعلمُ بإيمانِكُمْ بعضُكُمْ مِنْ بعضٍ فــانكحوهُنَّ بــإذنِ أهــلِهِنَّ وآتوهُــنَّ أجورَهُنَّ بالمعروفِ مُحصَنَاتٍ غيرَ مُسافِحاتٍ ... }[1] .

موضع الاعتراض قوله تعالى : { والله أعلم بإيمانكم }[2] ، جمع هذا الاعــتراض (معاني شتى ، منها : أنه أمر ، وقيد للأمر في قوله تعالى : { ومــن لم يستطع منكم طولاً ... } ، وقد تحول الشهوة والعجلة دون تحقيق شروط الله تعالى فأحالهم على إيمانهم المطلع عليه ربهم . ومن تلك المعاني أنه تعالى أمر بنكاح الإماء عند العجز عن الحرائر ، وكانوا في الجاهلية لا يرضون بنكاح الأمة وجعلها حليلة ، ولكن يقضون منهن شهواتهم بالبغاء ، فــأراد الله إكرام الإماء المؤمنات جزاء على إيمانهن ، وإشعاراً بأن وحدة الإيمــان قربت الأحرار من العبيد ، فلما شرع ذلك كله ذيله بقوله : { والله أعلم بإيمانكم } أي بقوته)[3] ومقدار تمسككم به .

ومما يمثله أيضاً قوله تعالى :

{ ألَــمْ تــرَ إلى الذيــنَ أوتــوا نصيباً من الكتابِ يشترونَ الضلالة ويــريدونَ أنْ تضِلُّوا السبيلَ * واللهُ أعلمَ بأعدائِكُمْ وكفى باللهِ ولياً وكفى باللهِ نصيراً * مِنَ الذينَ هادوا يحرِّفونَ الكلِمَ عنْ مواضعِه ويقولونَ سمعنا وعصينا واسمعْ غيرَ مُسْمَعٍ وراعِنا لياً بألسِنَتِهِمْ ... }[4] .

= وكــذا (المواريث في الشريعة الإسلامية) للصابوني ، دار الصابوني ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

١ ـــ جزء من الآية (٢٥) .

٢ ـــ انظر (الجدول في إعراب القرآن وصرفه) ، ج٥ ، ص١١ .

٣ ـــ انظر (التحرير والتنوير) ، للطاهر بن عاشور ، ج٥ ، ص١٥ .

٤ ـــ الآيات (٤٤ ، ٤٥) ، وجزء من الآية (٤٦) .

فجمـــلة :{ من الذين هادوا } بيان لقوله تعالى :{ الذينَ أوتوا نصيباً مـــن الكـــتاب } ، فيكون قوله تعالى :{ والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكـــفى بالله نصيراً } اعتراضاً بيّن البيان والمُبَيَّن . وقد تكون جملة :{ من الذيـــن هادوا } بيان لـــ (أعدائكم) ، ويكون قوله تعالى :{ وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً } هو الاعتراض[1] . وأياً ما يكون فغرضه البلاغي شدة الـــتحذير منهم مع التأكيد على الاكتفاء بولاية الله سبحانه وتعالى ونصرته وعدم المبالاة بهم[2] .

وفي الآية الأخيرة موضع آخر للاعتراض هو :{ اسمع غير مسمع } عـــلى أن (غيـــر مسمع) دعاء (ذو وجهين محتمل للشر بأن يحمل على معـــنى : اســـمع حال كونك غير مسمع كلاماً أصلاً بصمم أو موت ، أي مدعواً عليك بلا سمعت ، أو غير مسمع كلاماً ترضاه ... وللخير بأن يحمل على : اسمع منا غير مسمع مكروهاً ، كانوا يخاطبون به النبي – صلى الله عـــليه وســـلم - استهزاءً به مظهرين له عليه السلام إرادة المعنى الأخير ، وهم مضمرون في أنفسهم المعنى الأول مطمئنون به)[3] .

ومن روائع الاعتراض قوله تعالى :

{ اللهُ لا إلـــهَ إلاّ هـــوَ لَيَجْمَعَـــنَّكُمْ إلى يومِ القيامةِ لا ريبَ فيهِ ومَنْ أصدقُ مِنَ اللهِ حديثاً }[4] .

الاعـــتراض جمـــلة { لا إله إلا هو } ، معترضة بين المبتدأ (الله) والخبر جملة (ليجمعنكم) ؛ تمجيداً لله سبحانه وتعالى ، وتحقيقاً لصفة من صفاته جل جلاله ؛ وذلك لأن الخبر يحمل أمراً من أكثر الأمور إنكاراً من الكافرين وهو البعث ، لذا نجد جملة (ليجمعنكم) جواب قسم محذوف وقع

---

١ ــ انظر (شروح التلخيص) ، ج٣ ، ص٢٤٥ .

٢ ــ انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٥ ، ص٤٥ .

٣ ــ انظر تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٥٢٩ .

٤ ــ الآية (٨٧) .

جميعــه موقــع الخبر عن اسم الجلالة ، وأكد هذا الخبر بلام القسم ونون الــتوكيد وبــتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي لتقوية تحقيق هذا الخبر ؛ إبطالاً لإنكار الذين أنكروا البعث[١] .

ثــم قيد بجملة { لا ريب فيه } التي إمّا تكون حالاً من اليوم أو صفة للمصدر ، أي : جمعاً لا ريب فيه[٢] .

ومثله قوله تعالى :

{ ومَــنْ يعمــلْ مِنَ الصالحاتِ مِنَ ذكرٍ أو أنثى وهوَ مؤمنٌ فأولئكَ يدخلونَ الجنَّةَ ولا يظلمونَ نقيراً }[٣] .

الجمــلة الاعتراضــية { وهو مؤمن } مؤكدة على أن أسباب الفوز والنجاة متوافرة في الدين وصحته ، لا بالأماني[٤] والأحلام .

ومنه قوله تعالى :

{ ومَــنْ أحســنُ ديناً ممّنْ أسلمَ وجهَهُ للهِ وهوَ مُحسِنٌ واتَّبعَ مِلَّةَ إبراهيمَ حنيفاً واتَّخَذَ اللهُ إبراهيمَ خليلاً }[٥] .

والاعــتراض في قوله تعالى :{ وهو محسن } ؛ تنبيهاً على أن هذه العبادة أعلى درجات الإخلاص ؛ لأنه يعبد الله كأنه يراه . والله أعلم وأحكم.

---

١ ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص١٤٨ .

٢ ــ انظر تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٥٦١ .

٣ ــ الآية (١٢٤) .

٤ ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص٢٠٩ .

٥ ــ الآية (١٢٥) .

تعقيب :

هذه أهم أنواع الإطناب[١] التي وجدَتْ في سورة النساء ، ونخرج من مبحث الإيجاز والإطناب بفكرة تؤكدها وتلح عليها كل المواضع التي درست فيه ، وهي أن القرآن الكريم يستثمر دائماً أقل ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني ، يستوي في ذلك مواضع إيجازه ومواضع إطنابه ، ولذلك يمكن أن نقول مطمئنين أنه إيجاز كله ؛ لأنه في كلا المقامين لا يجاوز سبيل القصد ولا يميل إلى الإسراف ، وأن مراميه في كلا المقامين لا يمكن تأديتها كاملة العناصر والحُلى بأقل من ألفاظه ولا بما يساويها[٢] .

وهذا ما يدعو إلى إعادة النظر في تلك التقسيمات التي قسم عليها الأسلوب القرآني خاصة من إيجاز وإطناب وإرجاع الفضيلة إلى المقدار الذي يؤدى به المعنى بأكمله بأصله وحليته على حسب ما يدعو إليه المقام من إجمال أو تفصيل بغير إجحاف ولا إسراف[٣] . وهذا – لعمر الله - عين الإيجاز الذي أوصى به سيد البلغاء - صلوات الله وسلامه عليه - لجرير بن

---

١ ــ هناك نوع من الإطناب اسمه (التوشيع) ، وهو فرع من الإيضاح لم يعثر على مثاله في سورة النساء . أما (الإيغال) وهو قريب من (التتميم) وأظن أنه بغنى عنه إلا في الشعر . وذكر فضيلة الدكتور فضل حسن عباس أن وضع الظاهر مكان المضمر ضرب من الإطناب ، وأحسبه كذلك لأن المظهر حين يذكر يحمل معه زيادة فضل في المعنى ؛ لأنه يكون كما قال عبد القاهر الجرجاني أقوى وأبين لكونه كلاماً مستأنفاً لا يحتاج إلى ما قبله .

انظر (البلاغة فنونها وأفنانها ، علم المعاني) ، ص٥٠٤ .

وانظر كلام الشيخ عبد القاهر في (دلائل الإعجاز) ، ص٢٣٦ .

٢ ــ انظر (النبأ العظيم) للدكتور محمد دراز ، دار القلم ، الكويت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٨م .

وقد ناقش هذه القضية المهمة في هامش كتابه ، وهو على حق وصواب دون مراء . ولكنّ دراسةً تتناول قضية الإطناب بذلك التبويب والتفصيل الذي وضعه علماء البلاغة الأول يسهل على المبتدئين معرفة مواطن الجمال سواء في القرآن الكريم أو في غيره من النصوص الأدبية مع مراعاة التأكيد على أن كلمة (إطناب) إذا كانت تعني عندهم الزيادة فهي لا تليق بأسلوب القرآن خاصة ، وإن استدركوا وقالوا أنها زيادة لفائدة .

٣ ــ انظر (النبأ العظيم) ، هامش ص١٢٩ .

عبد الله البجلي(*) إذ قال : " يا جرير إذا قلت فأوجز ، وإذا بلغت حاجتك لا تتكــلف " . فمدار الأمر إذن بلوغ الحاجة ، وهي ولا شك تلك الفائدة التي ســوّغوا بها الإطناب ، ولكن طالما أنها حاجة فهي أصل لا يمكن الاستغناء عــنه . إذن لا إطــناب في أسلوب القرآن ، وإنما هو إيجاز كله ، وللناقش بعض مواضع الإطناب دليلاً على ذلك .

إن من أكثر أنواع الإطناب شبهة بالزيادة التكرار . ولنا أن نقف مع هذه الآية الكريمة نتلمس الزيادة فيها إن وجدت ، قال الحق تبارك وتعالى :

{ لــلرجالِ نصــيبٌ ممّا تركَ الوالدانِ والأقربونَ للنساءِ نصيبٌ ممّا تركَ الوالدانِ والأقربونَ ممّا قلَّ منهُ أو كثُرَ نصيباً مفروضاً }[1] .

فــي هذه الآية المباركة كُررت جملة كاملة بكل ما فيها من أركان وقيــود في قوله تعالى :{ وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون } ، أليــس هو المعنى الأول نفسه مع اختلاف جنس الوارث ؟ وهل كان يغني عــنه لو جاء السياق : للرجال وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ممــا قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً ؟ كان يغني ذلك لو لم تكن هذه الآية أول ما طرق آذان القوم في استحقاق النساء للإرث ، فهي فاتحة ذلك الحكم الــذي قلب موازين الجاهلية وأدهشهم أشد الدهش . كان يغني ذلك لو كان الخطــاب مــع جماعــة ليسوا قوماً لُداً . وكان يغني ذلك لو كان النصيبان متماثــلين . وكــان يغــني ذلك لو كانت لدى النساء الجرأة على المطالبة بحقوقهن في ذلك المجتمع الذي اعتبر المرأة جزءً من الإرث . ولكن المقام غيــر ذلــك ! إذن فالحاجة إلى هذا التكرار ماسة لأنه أهم عنصر في هذه

---

* هــو ابــن جابر أبو عبد الله جرير بن عبد الله بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جشم بن عوف البجــلي القسري ، من أعيان الصحابة ، روى نحو مائة حديث ، ومات سنة إحدى وخمسين ، رضي الله عنه .

انظر (تهذيب سير أعلام النبلاء) ، ج١ ، ص٧٧ .

١ ــ الآية (٧) .

الآيــة ؛ لأن العرب قبل الإسلام كانت تُوَرِّث الرجال وترِث النساء ، ومن هنا فلا إطناب بالتكرار ولا زيادة في الأسلوب . والله أعلم .

ومثله قوله تعالى :

{ ولا تتمنَّوا ما فضَّلَ اللهُ بهِ بعضَكُمْ على بعضٍ للرجالِ نصيبٌ ممّا اكتسبوا وللنساءِ نصيبٌ ممّا اكتسَبْنَ واسألوا اللهَ مِنْ فضلِهِ إنَّ اللهَ كانَ بكُلِّ شيءٍ عليماً }[١] .

الـتكرار كمـا هـو بيِّـن فـي قوله تعالى : { وللنساء نصيب مما أكتسـبن } ، ذكر في سبب نزولها روايات كثيرة متقاربة منها ما جاء عن قـتادة : (كـان أهـل الجاهـلية لا يورثون النساء إلاّ الصبيان ، يجعلون الميـراث لـذوي الأسـنان ، وقـال النساء : لو جعل نصيبنا من الميراث كنصـيب الرجال ، وقال الرجال : إنا لنرجو أن نفضل بحسناتنا كما فُضِّلنا فـي مواريثـنا . فأنزل الله : { ولا تتمنوا .. الآية } يقول إن المرأة تجزى بحسنتها كما يجزى الرجل)[٢] .

ولـو لم تستقل النساء بجملة تامة في ذلك لظلت شبهة النقص قائمة اعـتماداً عـلى مضاعفة نصيب الرجل في الميراث ، ولكن الله العدل بدد مخاوفهن بهذا التكرار ؛ لإثبات حقوقهن التامة في الثواب كالرجال ، وربما كانت في بعض الأمور أعظم[٣] ، والله أعلم وأحكم .

وانظر قيمة أخرى لما يعدونه زائداً في قوله تعالى :

{ حرِّمَتْ عليكم أمهاتُكُمْ وبناتُكُمْ وأخواتُكُمْ ... } إلى قوله تعالى :

---

١ ــ الآية (٣٢) .

٢ ــ انظـر (العجـاب فـي بيان الأسباب) للحافظ بن حجر العسقلاني ، م٢ ، ص٨٦٣ ، ٨٦٤ . تحقيـق عـبد الحكيـم محمد الأنيس ، دار ابن الجوزي ، السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م .

٣ ــ لمـا تقاسيه في الحمل والوضع والتربية ورعاية مصالح أفراد الأسرة وحمل الكثير من أعبائها منفردة وغير ذلك كثير .

{ وحلائلُ أبنائكُمُ الذينَ مِنَ أصلابِكُمْ ... }[١] .

قـــال فيهـــا ابـــن كثير : (أي حرمت عليكم زوجات أبنائكم الذين ولدتموهم من أصلابكم ، يحترز بذلك عن الأدعياء الذين كانوا يتبنونهم في الجاهـــلية)[٢] . والاحـــتراز لون من الإطناب أي زيادة لفائدة الاحتراز ، ولكن لو لم يذكر هذا الجزء { من أصلابكم } فقد يغمض على القوم المعنى ويعـــدوا الـــتحريم ممتداً إلى مطلقة الابن بالتبني وهو عرف سائد في زمن نزول القرآن ، وقد أبطله المولى بصورة تطبيقية في حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - إذن ذكر هذا الجزء ضرورة ملحة هنا حتى لا يُظن أن نبي الله وقـــع فـــي هـــذا المحظور عندما تزوج بأم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش بعد طلاقها من زيد بن ثابت رضي الله عنه ، وقد نزل في هذا قرآن يتلى :

{ فلمَّا قضى زيدٌ منها وطراً زوجْناكَها لكيْ لا يكونَ على المؤمنينَ حرجٌ في أزواجِ أدعيائهِمْ إذا قضوا منهُنَّ وطَراً ... }[٣] .

وعـــليه فـــإن لهذا الجزء المذكور احترازاً أهمية عظمى في إبطال معـــتقد خـــاطئ عند العرب ، وفي رد مزاعم المشركين عندما تكلموا على رســـول الله - صـــلى الله عـــليه وسلم - في هذا الشأن ، فبرأه الله سبحانه وتعالى ، وكل ذلك في أوجز عبارة على الإطلاق .

ومما اعتبر زائداً لإطنابه قوله تعالى :

{ ومَـــنْ يهاجرْ في سبيلِ اللهِ يجدْ في الأرضِ مراغماً كثيراً وسَعَةً ومَـــنْ يخرجْ مِنْ بيتهِ مهاجراً إلى اللهِ ورسولِهِ ثمَّ يدركْهُ الموتُ فقدْ وقعَ أجرُهُ على اللهِ وكانَ اللهُ غفوراً رحيماً }[٤] .

---

١ ــ جزء من الآية (٢٣) .

٢ ــ انظر تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص٤٧٢ ، ٤٧٣ .

٣ ــ جزء من الآية (٣٧) ، سورة الأحزاب .

٤ ــ جزء من الآية (١٠٠) .

الجـــزء الـــذي هو مظنة الزيادة قوله تعالى :{ مِنْ بيتِهِ } لأن الفعل (يخـــرج) يغني ظاهرياً عنه ، وقد يظن أن المعنى كامل مستقيم لو جاء : من يخرج مجاهداً إلى الله ورسوله . فالجزء الذي حذف من باب التتميم أو الإيغـــال وربما يكون احتراساً حتى لا يظن أن خروجه من معسكر حربي يقاســـي فيه لواعج الاستعداد ، ولذا فإن وقع هذا الجزء على النفس عظيم ؛ لأن خـــروج المـــرء من بيته يرمز إلى تضحيات عظيمة ، فالبيت هو كد السنين ، وهو الأمل ، وهو الأمان والراحة والدفء والمتعة والألفة والأهل والجيران والعشيرة . وأشياء كثيرة تعني الحياة برمتها . وخروجه من بيته فـــي سبيل الله يعني إيثار ما عند الله على كل ما تغري به الحياة ، ومن هنا كان جزاء المهاجر عظيماً في حالة حياته أو موته .

وبعـــد نخـــلص إلى الجـــزء الذي اعتبر زائداً قد رأينا أنه لا يمكن الاســـتغناء عـــنه بل ربما يكون أهم عناصر التركيب ، وأشد صلة بمعناه العام . إذن الإطناب ليس زيادة في اللفظ على المعنى وإنما هو زيادة عمق في المعنى ، وقد قالت العرب قديماً :" أطنبت الريح " إذا اشتدت[١] وظهرت آثارها على الأشياء عياناً .

١ ـــ انظر (لسان العرب) ، مادة (طنب) .

المبحث الثالث

الـفـصـل والـوصـل

المطلب الأول : الفصل .

المطلب الثاني : الوصل .

المبحث الثالث : الفصل والوصل .

مدخل :

نال هذا الموضوع قسطاً عظيماً من العناية والاهتمام حتى إن بعض البلاغيين الأول أرجعوا معرفة البلاغة برمتها له[١] ، مشيرين بذلك إلى أن الـــذي يُحسن حد الفصل من الوصل في الكلام لابد أن يكون صاحب دراية عميقـــة ومعرفة كبيرة بأسرار اللغة وعلومها متمرساً بأساليبها ، ومرد ذلك – كما قال الشيخ عبد القاهر الجرجاني – يعود إلى (غموضه ودقة مسلكه وأنـــه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة)[٢] . ولقــد أحسنَ أحد الباحثين المحدثين حين وصفه بالخيوط الدقيقة التي تربط أجـــزاء الكـــلام ، وتخرجه هيئة بينة الملامح قوية الركائز ، مثل العروق والخلايا في الجسم تعرفها ولا تكاد تبصرها بالعين المجردة[٣] .

تعريف الفصل والوصل :

الوصـــل عطف بعض الجمل على بعض ، والفصل تركه[٤] . معنى هذا أن هذا الفن يقوم على علاقة الجمل بعضها مع بعض ، فحال الجملة مع التي قبلها على ثلاثة أضرب :

---

١ ــ انظر (البيان والتبيين) للجاحظ ، ج١ ، ص٨٨ .

وكذا (مفتاح العلوم) للسكاكي ، ص١٢١ .

والقائل هو أبو علي الفارسي . انظر (الصناعتين) لأبي هلال العسكري ، ص ٤٥٨ .

وكذا (عروس الأفراح) لبهاء الدين السبكي ضمن (شروح التلخيص) ، ج٣ ، ص٢ .

وكـــذا (ســـر الفصاحة) لابن سنان الخفاجي ، ص٥٠ . وقد علق على المقولة بالرفض ، شـــرح وتصـــحيح عبد المتعال الصعيدي ، مطبعة محمد علي صبيح ، الطبعة بدون ، ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م .

٢ ــ انظر (دلائل الإعجاز) ، ص٢٢٢ .

٣ ــ انظر (كشف الغموض) للدكتور الأيوبي والدكتور ديب ، ص١١٥ .

٤ ــ انظر (الإيضاح في علوم البلاغة) ، ص١٤٩ .

١ــ جمــلة حالهــا مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف ، والتأكيد مع المؤكد ، فلا يكون فيها العطف البتة ؛ لأنه بمثابة عطف الشيء على نفسه .

٢ــ وجمــلة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله ، إلا أنه يشاركه في حكم ، ويدخل معه في معنى ، مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً إليه ، فيكون حقها العطف .

٣ــ وجمــلة ليســت في شيء من الحالين ، بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاســم مع الاسم لا يكون منه في شيء ، فلا يكون إياه ولا مشاركاً له في معــنى ، بل هو شيء إن ذكر لم يذكر إلا بأمر ينفرد به ، وحق هذا ترك العطف البتة[١] .

وقــد فصَّــل عــلماء البلاغة في هذه الأضرب الثلاثة ووضعوا لها حدوداً ستتناولها الدراسة بحول الله وقوته في مطلبين : الفصل ثم الوصل ، ممثلة لهما بآيات سورة النساء المباركة .

---

١ ــ انظر (دلائل الإعجاز) ، ص٢٤٣ .

المطلب الأول : الفصل .

هـــو عدم عطف الجمل بعضها على بعض . وما يوجب ذلك أسباب ثلاثة هي :

أولاً : كمال الاتصال :

ويعـــنون بهـــذا الاصطلاح أن تكون الثانية متصلة بالأولى اتصالاً كاملاً تاماً في المعنى ، ويندرج تحته صور متعددة[١] منها :

١ـ أن تتـــنزل الجملة الثانية من الأولى منزلة التأكيد المعنوي من متبوعه فـــي إفادة التقرير مع الاختلاف في المعنى[٢] ، أي : باختلاف مفهوميهما ، ولكن يلزم من تقرير معنى إحديهما تقرير معنى الأخرى ، أو تتنزل الثانية مـــنزلة التأكيد اللفظي بأن يكون مضمون الثانية هو مضمون الأولى فيؤتى بالثانية بعد الأولى لدفع توهم تجوز أو غلط[٣] .

ومما يمثل التوكيد المعنوي في سورة النساء المباركة قوله تعالى :

{ ألَـــمْ تـــرَ إلى الذيـــنَ يُزكّونَ أنفُسَهُمْ بلِ اللهُ يُزكي مَنْ يشاءُ ولا يُظْـــلمونَ فـــتيلاً * انْظُـــرْ كيـــفَ يفـــتَرونَ على اللهِ الكذبَ وكفى بهِ إثماً مبيناً }[٤] .

ففي قوله تعالى { انظر كيف يفترون على الله الكذب } تأكيد لما جاء في الآية الأولى ، فالآيتان تحملان غرضاً بيانياً واحداً هو شدة التعجب من حـــال اليهود إذ يقولون : { نحن أبناء الله وأحباؤه }[٥] ، وقالوا كذلك { لن يدخـــل الجـــنة إلا من كان هودا }[٦] ونحو ذلك[١] . (وقيل ناس من اليهود

---

١ ـ انظر (البلاغة فنونها وأفنانها) ، ص٤٠٥ .

٢ـ انظر (الإيضاح) ضمن شروح التلخيص ، ج٣ ، ص٣١ .

٣ـ انظر (مواهب الفتاح) لابن يعقوب المغربي ضمن (شروح التلخيص) ، الصفحة السابقة .

٤ ـ الآيتان (٤٩ ، ٥٠) .

٥ ـ جزء من الآية (١٨) ، سورة المائدة .

٦ ـ جزء من الآية (١١١) ، سورة البقرة .

جـــاءوا بأطفالهم إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالوا : هل على هؤلاء ذنب ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : لا ، قالوا : ما نحن إلا كهيئتهم ، مـــا عملـــنا بالنهار كُفِّرَ عنا بالليل ، وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار)[٢] .

فـــلما كانت الآية الثانية تحمل معنى الأولى من حيث أنها تأكيد على تعجب المـــولى ســـبحانه واستنكاره لادعائهم الباطل – كان الفصل بينهما . وفي الآيتين تحذير من إعجاب المرء بنفسه وبعمله .

ومما جاء على طريقة التأكيد المعنوي قوله تعالى :

{ **والمحصـــناتُ من النساءِ إلاّ ما ملكتْ أيمانُكُمْ** } ثم قال سبحانه : {**كـــتابَ اللهِ عـــليكمْ وأُحِــلَّ لكُــمْ ما وراءَ ذلِكُمْ ...** }[٣] . وذلك بعد تعداد المحرمات في الآية السابقة : { **حُرِّمتْ علَيكُمْ أمهاتُكُمْ وبناتُكُمْ ...** }[٤] .

وموجـــب الفصل تأكيد هذا التحريم وبيان أنه من الأمور المقررة في الدين الســـماوي مع كل نبي ، فقد قال أبو حيان : ({ كتاب الله عليكم } انتصب بإضمار فعل ، وهو فعل مؤكد لمضمون الجملة السابقة من قوله : { حرمت عليكم } وكأنه قيل : كتب الله عليكم تحريم ذلك كتاباً)[٥]

ومن روائع الفصل ما جاءت به هذه الآية العظيمة :

{ **ولا تقولـــوا ثلاثةٌ انتهوا خيراً لكمْ إنّما اللهُ إلهٌ واحدٌ سبحانَه أنْ يكونَ لهُ ولدٌ له ما في السمواتِ وما في الأرضِ وكفى باللهِ وكيلاً** }[٦] .

---

١ ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص٨٤ .
وكذا تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٥٣٤ .
٢ ــ انظر تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٥٣٤ .
٣ ــ جزء من الآية (٢٤) .
٤ ــ جزء من الآية (٢٣) .
٥ــ انظر (البحر المحيط) ، ج٣ ، ص٢١٤ .
٦ ــ جـــزء مـــن الآيـــة (١٧١) . والآيـــة بها نوعين من الجمل ، الأوليان إنشائيتان والأخريان خبريتان.

فـــي هذه الآية عجيبة التركيب عدة مواضع للفصل ، تهدف جميعها إلى التأكيد ، ففي قوله تعالى (انتهوا) جملة فصلت عما قبلها { ولا تقولوا ثلاثـــة } ؛ لأنها تحمل نفس معنى النهي ولكن بلهجة أشد وأغلظ . ثم يردف هـــذا الزجر بقوله تعالى { إنما الله إله واحد } ، فهل هذا إلا تكذيب للتثليث وتحقيـــق الوحدانية بنفيه ؟ ثم تأتي جملة (سبحانه) لتنزهه جل جلاله عن عقيدة النصارى الفاسدة ، وتختم الآية بنفس الغرض تأكيداً على ما ورد فيها مـــن أعظم أمر يقوم عليه ديننا الحنيف ، وهو وحدانية الله سبحانه وتعالى بقولـــه { له ما في السموات وما في الأرض } . ومثل هذه الجمل المؤكدة كثير جداً في هذه السورة .

٢ــ ومـــن كمال الاتصال أيضاً أن تقع الجملة الثانية بدلاً من الجملة الأولى لأنها أدل على الغرض الذي تحمله الجملة الأولى ، والمقام يقتضي الاعتناء بشـــأن هذا المعنى للتنبيه على نكتة معينة كالتعجب أو التفظيع أو اللطف أو المـــنة ونحـــوه[١] . والبدل على ثلاثة أنواع : بدل مطابق وهو بدل كل من كل ، والثاني بدل بعض من كل ، أي أن المبدل جزءً من المبدل منه ، فلو قيل : صرفت المال نصفه ، كان نصفه بدل بعض من كل من المال ، وهو جـــزء منه . والثالث بدل الاشتمال ، أي أن البدل ليس جزء من المبدل منه بـــل صـــفة عارضـــة فيـــه يمكن أن يتصور المبدل منه بدونها[٢] ، مثل : أعجبني الطالب ذكاؤه . ومن أمثلة النوع الأول[٣] من سورة النساء المباركة قوله تعالى :

---

١ ــ انظر (الإيضاح) للقزويني ضمن (شروح التلخيص) ، ج٣ ، ص٣٩ وما بعدها .
وكذا (البلاغة فنونها وأفنانها) ، ص٤٠٨ .

٢ ــ المرجع السابق ، بتصرف .

٣ــ لـــم يعتد السكاكي بالبدل المطابق في الجمل لدخوله في باب التأكيد ، ولا يفارقه إلا باعتبار نقل النســـبة إلى مضمون الثانية في البدلية دون التأكيدية . وهذا المعنى لا يتحقق في الجمل التي لا محل لها من الإعراب إذا لا نسبة تنقل .

{ ألــمْ تــرَ إلى الذيــنَ قيلَ لهُمْ كفُّوا أيديَكُمْ وأقيموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ ... }

إلى قوله تعالى :

{ قُــلْ متاعُ الدنيا قليلٌ والآخرةُ خيرٌ لمنْ اتقى ولا تظلمونَ فتيلاً * أينما تكونوا يدرِكْكُمُ الموتُ ولوْ كنتُمْ في بروجٍ مشيدةٍ ... }[١] .

الآيــة الثانية { أينما تكونوا يدرككم الموت } فُصلت عما قبلها { قل متاع الدنيا قليل } ، لأنها تحمل معناها فهي بدل مطابق منها . فهما يؤكدان عــلى أنه مهما طال عمر الإنسان في هذه الدنيا فهو متاع قليل بالنسبة لما عــند الله ، والموت طالبه لا محالة ؛ لذا فإن طلبهم التأخير إلى أجل مسمى باطل ، ولا يدل إلا على جبنهم[٢] .

والضرب الثاني من البدل بدل اشتمال ، تمثله الآية الكريمة الآتية :

{ وإنْ أردتُــمُ استبدالَ زوجٍ مكانَ زوجٍ وآتيتُمْ إحداهُنَّ قنطاراً فلا تأخذوا منْهُ شيئاً أتأخذونهُ بهتاناً وإثماً مبيناً }[٣] .

الفصل في قوله تعالى : { أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً } جملة مسوقة لــتقرير النهي ، والتنفير عن المنهي عنه[٤] بوصف هذا الأخذ المنهي عنه ببعض صفاته منها أنه أخذ باطل يجلب الإثم لآخذه .

ومن قوله تعالى :

وبعضهم اعتبره ، ونزّل قصد استئناف إثباتها منزلة نقل النسبة فأُدخل في كمال الاتصال ، ومثلوا له بقول القائل : " اقتنعنا بالأسودين اقتنعنا بالتمر والماء " .

انظر (مواهب الفتاح) ، ج٣ ، ص٣٩ .

١ ــ الآيتان (٧٧ ، ٧٨) .

٢ ــ انظر (التحرير والتنوير) للطاهر بين عاشور ، ج٥ ، ص١٢٨ .

٣ ــ الآية (٢٠) .

٤ ــ انظر تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٥٠٠ .

{ واللهُ يـــريدُ أنْ يــتوبَ عـــليكُمْ ويريدُ الذينَ يتبعونَ الشهواتِ أن تميلوا ميلاً عظيماً * يريدُ اللهُ أنْ يخفِّفَ عنكُمْ وخُلِقَ الإنسانُ ضعيفاً }[١] .

الجمـــلة المستأنفة[٢] قوله تعالى :{ يريد الله أن يخفف عنكم } وهي البدل عن قوله تعالى :{ والله يريد أن يتوب عليكم } لأن هذا التخفيف صفة تشملها التوبة وتمتاز بها توبته جل جلاله على المسلمين دون الأمم السابقة ، فمـــنهم مـــن كـــان شرط توبته قتل أنفسهم[٣] ، وهذا التمييز ما يرشح كون الجملة بدلاً لأن البدل يذكر لفضل عناية بشأنه[٤] .

ومن أمثلة بدل الاشتمال قوله تعالى :

{ إنَّ اللهَ يأمُرُكمْ أنْ تؤدوا الأماناتِ إلى أهلِها وإذا حكمْتُم بينَ الناسِ أنْ تحكموا بالعدلِ إنَّ اللهَ نعِمَّا يعظُكم بهِ إنْ اللهَ كانَ سميعاً بصيراً }[٥] .

فقولـــــه تعالى { إن الله نعما يعظكم به } هو نفسه الوعظ في تأديـــة الأمانـــات إلى أهـــلها والحكم بين الناس بالعدل ، والغرض البلاغي

---

١ ــ الآيتان (٢٧ ، ٢٨) .

٢ ــ انظر تفسير (روح المعاني) ، م٢ ، ج٥ ، ص١٤ .

لقـــد تعـــارف البلاغيون المتأخرون على أنه إذا أتى الكلام مستأنفاً فإنه يكون من قبيل شبه كمـــال الاتصـــال ، وذلك خلاف ما قصده الإمام عبد القاهر حين أطلق ذلك بقوله : اعلم أن العلم بما ينـــبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف الواحدة منها بعد الأخرى من أسرار البلاغة ، ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخلص وإلا قوم طبعوا على البلاغة وأوتوا فناً من المعرفة في ذوق الكلام .

انظر (دلائل الإعجاز) ، ص٢٢٢ .

والشـــاهد في كلامه أن الجمل المفصولة جميعها تكون مستأنفة ، وليس الاستئناف مقصوراً عـــلى شبه كمال الاتصال . والآية المذكورة أعلاه تحتمل بدل الاشتمال وإن كان هناك من يرى أنها مستأنفة .

٣ ــ إشـــارة إلى قوله تعالى : **{ وإذا قـــال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم }** الآية (٥٤) ، سورة البقرة .

٤ ــ انظر (شروح التلخيص) ، ج٣ ، ص٤٠ .

٥ ــ الآية (٥٨) .

التنبيه على عظم شأن الأمانة عنده سبحانه ، فقد عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً ، وكذلك أمر العدل ، فكان هذا التفصيل لحثهم على المبادرة في حسن الامتثال[1] .

٣ـ ومن كمال الاتصال أن تقع جملة الفصل عطف بيان لما قبلها ، وهو قريب من البدل ، إلاّ أن الفرق بينهما يكمن في تفاضل الجملتين في الأهمية ، فجملة البدل تحمل نكتة بلاغية تجعلها أهم ، أما في عطف البيان فالمبيَّن هو المقصود بالحكم ، وله فضل عناية واهتمام ، ولذا يعطف عليه ما يزيده تحقيقاً في ذهن المتلقي[2] .

ويتضح الفرق بينهما بهذه الأمثلة من سورة النساء المباركة ، قال تعالى :

{ وما لكُمْ لا تقاتلونَ في سبيلِ اللهِ والمستضعفينَ منَ الرجالِ والنساءِ والولدانِ الذينَ لا يقولونَ ربَّنا أخرجْنا منْ هذهِ القريةِ الظالمِ أهلُها واجعلْ لنا منْ لدُنْكَ ولياً واجعلْ لنا منْ لدُنْكَ نصيراً * الذينَ آمنوا يقاتلونَ في سبيلِ اللهِ والذينَ كفروا يقاتلونَ في سبيلِ الطاغوتِ فقاتلوا أولياءَ الشيطانِ إنَّ كيدَ الشيطانِ كانَ ضعيفاً }[3] .

الآية الأولى المعطوف عليها بيانياً :{ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله } بدأت باستنكار شديد اللهجة لعدم نصرة المسلمين لإخوانهم المستضعفين المذكورين في الآية ، وصورت حال تضرعهم إلى الله بأدقِّ ما يكون عليه التضرع ، فاستجاب لهم ربهم المجيب ، وجاءت الآية التالية ترشد إلى ذلك ، فقد بينت (أنه استجاب لهم دعوتهم وهيّأ لهم النصر بيد

---

١ ـ انظر (نظم الدرر) للبقاعي ، ج٤ ، ص٣٠٩ .

٢ ـ انظر (البلاغة فنونها وأفنانها ، علم المعاني) ، ص٤١١ .

٣ ـ الآيتان (٧٥ ، ٧٦) .

المؤمنين فقال : { الذين آمنوا يقاتلون في سبيل اله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت } أي فجنَّد الله لهم عاقبة النصر)[١]

وهكذا بينت الآية الثانية أنه من أوجب ما يجب على المسلم قتاله في سبيل الله لنصرة المستضعفين من المسلمين ، ودحر أولياء الطاغوت .

ومنه قوله تعالى :

{ إلاّ المستضعفينَ منَ الرجالِ والنساءِ والولدانِ لا يستطيعونَ حيلةً ولا يهتدونَ سبيلاً }[٢] .

فالقول الكريم :{ لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً } بيان وتفسير لجهة الاستضعاف النافع في التخلف عن الهجرة ، وهي عدم استطاعة الحيلة وعدم اهتداء السبيل[٣] .

ومنه قوله تعالى :

{ لكنِ اللهُ يشهدُ بما أنزلَ إليكَ أنزلَهُ بعلمِهِ والملائكةُ يشهدونَ وكفى باللهِ شهيداً }[٤] .

فجملة { أنزله بعلمه } عطف بيان على جملة { الله يشهد بما أنزل إليك } (فهي بيان للشهادة وأن شهادته بصحته أنه أنزله بالنظم المعجز الفائق للقدرة . وقيل أنزله وهو عالم بأنك أهل لإنزاله إليك وأنك مبلغه ، وقيل أنزله بما علم من مصالح العباد مشتملاً عليه ، ويحتمل أنه أنزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملائكة)[٥] .

---

١ ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص١٢٣ .

٢ ــ الآية (٩٨) .

٣ ــ ذكر ذلك أبو حيان في (البحر المحيط) ، ج٣ ، ص٣٣٥ . وهو الأرجح .

وكذا ذكره أبو السعود ، ج١ ، ص٥٧٥ .

أما الزمخشري فقد ذكر أن جملة { لا يستطيعون } صفة للمستضعفين . انظر (الكشاف) ، ج١ ، ص٢٩٢ .

٤ ــ الآية (١٦٦) .

٥ ــ انظر (الكشاف) ، ج١ ، ص٣١٥ .

والجملة الأولى { لكن الله يشهد بما أنزل إليك } هي مقصود الكلام ؛ لأنها استدراك أثاره الكلام السابق الذي يوضح تعنت أهل الكتاب ومكرهم ، حتى أبوا أن يشهدوا بصدق رسالة محمد – صلى الله عليه وسلم – وهو حق ثابت في كتبهم ، فكان هذا التعقيب لرفع ما يتوهم ثبوته أو نفيه ، والمعنى : لم يشهد أهل الكتاب لكن الله شهد وشهادة الله خير من شهادتهم[١] ، ثم احتاج المقام إلى مزيد عناية وتأكيد فجاء عطف البيان ليسد تلك الحاجة بأوضح وأبلغ وأوجز عبارة { أنزله بعلمه } .

ومنه قوله تعالى :

{ إنَّ الذينَ كفروا وصدّوا عن سبيلِ اللهِ قدْ ضلُّوا ضلالاً بعيداً * إنَّ الذينَ كفروا وظلموا لمْ يكُنِ اللهُ ليغفِرَ لهُمْ ولا ليَهديَهُمْ طريقاً * إلاّ طريقَ جهنَّمَ خالدينَ فيها أبداً وكانَ ذلكَ على اللهِ يسيراً }[٢] .

فقوله تعالى : { إنَّ الذينَ كفروا وظلموا لمْ يكُنِ ... } إلى قوله تعالى: { إلاّ طريقَ جهنَّمَ خالدينَ فيها } فُصِل لأنه بيان من قوله تعالى : { قد ضلوا ضلالاً بعيداً } .

ثانياً : شبه كمال الاتصال :

وهو كون الجملة الثانية قوية الارتباط بالأولى لوقوعها جواباً عن سؤال يفهم من الجملة الأولى ، فتفصل عنها كما يفصل الجواب عن السؤال[٣] . قال السكاكي فيه : (ولا يصار إليه إلا لجهات لطيفة ، إما

وقد عقب على هذا الرأي الطاهر بن عاشور ولم يعجبه ، وقدر أن في الآية تحويلاً في تركيبها بقصد الإجمال الذي يعقبه التفصيل وجعلها على النحو التالي : يشهد بإنزال ما أنزله إليك ، أنزله بعلمه . فتكون جملة { أنزله بعلمه } مكملة معنى الشهادة ، ثم قال : وما ذكرته أعرق في البلاغة .

انظر (التحرير والتنوير) ، ج٦ ، ص٤٥ .

١ ــ المرجع السابق ، ص٤٤ .

٢ ــ الآيات (١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩) .

٣ ــ انظر (جواهر البلاغة) للهاشمي ، ص١٦٤ .

لتنـــبيه السامع على موقعه أو لإغنائه أن يسأل أو لئلاّ يسمع منه شيء ، أو لـــئلاّ يـــنقطع كلامك بكلامه ، أو القصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ وهو تقدير السؤال وترك العاطف أو غير ذلك ممّا ينخرط في هذا المسلك)[١] .

ونخـــتار مـــن أمثلته المتعددة في هذه السورة هذه المواضع للطف موقعها وحسن موضعها من الاستئناف[٢] . قال تعالى :

{ وإنْ خِفتُمْ ألاّ تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكُمْ منَ النساءِ مثـــنى وثُلاثَ ورُباعَ فإنْ خفتُمْ ألاّ تعدلوا فواحدةً أو ما ملكتْ أيمانُكُمْ ذلكَ أدنى أنْ لا تعولوا }[٣] .

والجمـــلة المقصـــودة قولـــــه تعالى :{ ذلك أدنى أن لا تعولوا } ، والعول هو الميل من قولهم : عال الميزان عولاً إذا مال . وعال في الحكم أي : جار ، ومدار الأمر في التقليل أو الاكتفاء بواحدة هو عدم العول[٤] . فهو جواب لسؤال ملح في نفوس الرجال ، كأنه قيل لماذا الالتزام بالواحدة ؟ فكان الجواب : { ذلك أدنى ألا تعولوا } .

ومنه قوله تعالى :

{ ولا تتمنَّوا ما فضَّلَ اللهُ بهِ بعضَكُمْ على بعضٍ للرجالِ نصيبٌ ممَّا اكتسبوا وللنساءِ نصيبٌ ممّا اكتسبْنَ واسألوا اللهَ منْ فضلِهِ إنَّ اللهَ كانَ بكلِّ شيءٍ عليماً }[٥] .

ذكر في سبب نزول هذه الآية عدة روايات كلها تتقارب في المعنى ، فقـــال مجـــاهد (عن أم المؤمنين أم سلمة – رضي الله عنها – أنها قالت : يغزو الرجال ولا تغزو النساء وإنما لنا نصف الميراث . فأنزلَ اللهُ : { ولا

---

١ ــ انظر (مفتاح العلوم) ، ص١٢١ .
٢ ــ انظر (البلاغة فنونها وأفنانها) ، ج١ ، ص٤١٢ .
٣ ــ الآية (٣) .
٤ ــ انظر تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٤٨٢ .
٥ــ الآية (٣٢) .

تتمنوا ما فضل الله ... })[١] وفي رواية أخرى عن قتادة : (كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء إلا الصبيان ، يجعلون الميراث لذوي الأسنان ، وقال النساء : لو جعل نصيبنا من الميراث كنصيب الرجال . وقال الرجال : إنّا لنرجو أن نفضل بحسناتنا كما فضلنا بمواريثنا . فأنزل الله : { ولا تتمنوا .. الآية } يقول أن المرأة تجزى بحسناتها كما يجزى الرجل)[٢] .

فالحكم الأساسي المقصود بالآية نهي المؤمنين عن تمني ما فضل الله بعضهم على بعض ، وجملة الفصل : { للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن } حملت تعقيباً على المعنى السابق ، (وتعليلاً لهذا النهي وقطعاً لعذر المتمنين)[٣] .

ومنه قوله تعالى :

{ ألمْ ترَ إلى الذينَ أوتوا نصيباً من الكتابِ يشترونَ الضلالةَ ويريدونَ أنْ تضلّوا السبيلْ }[٤] .

وقوله سبحانه :

{ ألمْ ترَ إلى الذينَ أوتوا نصيباً منَ الكتابِ يؤمنونَ بالجبتِ والطاغوتِ ... }[٥] .

وفي آية ثالثة :

{ ألمْ ترَ إلى الذينَ يزعمونَ أنّهُمْ آمنوا بما أُنزِلَ إليكَ وما أُنزِلَ منْ قبلِكَ يريدونَ أنْ يتحاكموا إلى الطاغوتِ ... }[٦] .

١ـ انظر (العجاب في بيان الأسباب) لابن حجر العسقلاني ، ج٢ ، ص٨٦١ .
والحديث في الترمذي ، ج٨ ، ص٢١٣ . وأخرجه الطبري ، حديث رقم ٩١٣٣ .

٢ـ انظر (العجاب في بيان الأسباب) ، ج٢ ، ص٨٦٣ .

٣ـ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص٣١ .

٤ ـ الآية (٤٤) .

٥ ـ جزء من الآية (٥١) .

٦ ـ جزء من الآية (٦٠) .

فـــأنت تـــرى أن هذه الآيات الثلاث ابتدأت بهذا الاستفهام التقريري الذي يقصد التعجب من شأن أولئك ، فكأنه قيل : ما شأن هؤلاء الذين أوتوا نصـــيباً من الكتاب ؟ وماذا يفعلون ؟ فقال : { يشترون الضلالة } في الآية الأولى ، و{ يؤمـــنون بالجـــبت والطاغوت } في الآية الثانية ، أما في الآية الثالـــثة فكأنــــه قيل فيها : ماذا يفعل هؤلاء ؟ وما الحجة على أنهم يزعمون الإيمـــان وليســـوا بمؤمنين في الحقيقة ؟ فقيل : { يريدونَ أن يتحاكموا إلى الطـــاغوت }[١] . ويكـــون الغرض البلاغي لهذا الفصل التنبيه على عجيب حالهم الذي هم متمسكون به بجعلهم عبرة لمن يعتبر .

ومـــن مواطـــن الفصـــل لشبه كمال الاتصال ما جاءت فيه الجملة المفصولة مصدّرة بفعل قول[٢] ، ومثال ذلك من سورة النساء الحبيبة قوله تعالى :

{ أيـــنَما تكونـــوا يدرِكْكُـــمُ الموتُ ولو كنتُمْ في بروجٍ مشيدةٍ وإنْ تُصـــبهُمْ حسنةٌ يقولوا هذهِ مِنْ عندِ اللهِ وإنْ تصبهُمْ سيئةٌ يقولوا هذهِ من عندِكَ قُلْ كلٌّ من عندِ اللهِ فمالِ هؤلاءِ القومِ لا يكادونَ يفقهونَ حديثاً }[٣] .

نلاحـــظ في الآية السابقة أن كل جملة بدأت بفعل القول فصلت عما قبـــلها ، وعلة ذلك الفصل أنها جواب لسؤال نشأ عنها ، فجملة : { قل كل من عند الله } ، أمر الله فيها نبيه أن يخبرهم أن كلاً من الحسنة والسيئة إنما هو من عند الله ، لا خالق ولا مخترع سواه ، فليس الأمر كما زعمتم ، فالله تعالى وحده هو النافع الضار ، وعن إرادته تصدر جميع الكائنات[٤] .

---

١ ــ انظر هذا التحليل في (البلاغة فنونها وأفنانها) ، ص٤١٢ .

٢ ــ انظر (دلائل الإعجاز) للجرجاني ، ص٢٤٠ .

وكذا (علوم البلاغة) للمراغي ، ص١٥٦ .

٣ ــ الآية (٧٨) .

ومثلها الآية (٧٧) عند قوله تعالى : { قل متاع الدنيا قليل ... } .

٤ ــ انظر (البحر المحيط) ، ج٣ ، ص٣٠٠ .

ومما جاء على شاكلته قوله تعالى :

{ يستفتونَكَ قُل اللهُ يفتيكُمْ في الكلالةِ ... }[١] .

جملة (قل) جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً[٢] ، وهي جواب عن سؤال مقدر بـ : ماذا أقول ؟ أو ماذا أفتي ؟ ونحوه . ويأتي الجواب من الله حاملاً التشريع في أمر الكلالة (وكان أمرها أمراً مشكلاً روى عنه – صلى الله عليه وسلم – في أخبارها روايات)[٣] . وهكذا كل جملة ربطها بما قبلها شبه كمال الاتصال .

ثالثاً : كمال الانقطاع .

وهو أن يكون بين الجملتين تباين تام دون إيهام خلاف المراد[٤] ، وله صورتان :

١ــ أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً .

٢ــ أن تتفقا ، ولكن لا يكون بينهما جامع ولا رابط[٥] معنوي .

ومن أمثلة النوع الأول في سورة النساء قوله تعالى :

{ ولْيَخْشَ الذينَ لو تركوا مِنْ خلفهمْ ذريَّةً ضعافاً خافوا عليهِمْ فلْيتَّقوا اللهَ ولْيَقولوا قولاً سديداً * إنَّ الذينَ يأكلونَ أموالَ اليتامى ظلماً إنَّما يأكلونَ في بطونِهِمْ ناراً وسيصلَوْنَ سعيراً }[٦] .

---

١ ــ جزء من الآية (١٧٦) .

٢ ــ انظر (الجدول في إعراب القرآن وصرفه) تصنيف محمود صافي ، ج٦ ، ص٢٢٢ .

٣ ــ انظر (البحر المحيط) ، ج٣ ، ص٤٠٦ .

٤ ــ انظر (علوم البلاغة) للمراغي ، ص١٥٤ . ويقصد المراغي رحمه الله من قوله (دون إيهام خلاف المراد) أي : مثل قولك لمن سألك : هل أنت تعب ؟ فتجيب : لا ، وعافاك الله . فإن الفصل في هذا يوهم خلاف المراد وسيأتي الكلام عنه بإذن الله في مبحث الوصل .

٥ ــ انظر (البلاغة فنونها وأفنانها ، علم المعاني) ، ص٤١٨ .

٦ ــ الآيتان (٩ ، ١٠) .

لا يخفى أن الآية الأولى بدأت بصيغة الأمر ، وهو أمر من الله سبحانه وتعالى لأوصياء اليتامى بأن يخشوه ويتقوه في أوصيائهم فيفعلوا بهم ما يحبون أن يُفعل بذريتهم الضعاف بعد وفاتهم[١] . (وفيه وعظ لجميع الناس بأن أمروا باتقاء الله في الأيتام وأولاد الناس ، وإن لم يكونوا في حجورهم)[٢] . وكما ترى الآية بدأت بأسلوب إنشائي وختمت به أيضاً : (فليتقوا) و (وليقولوا) ، خلاف التي تلتها : { إن الذينَ يأكلون أموال اليتامى ظلماً } . فهذه الآية بدأت بجملة خبرية استئنافية[٣] وهذا موجب الفصل بينهما ، وإن كانتا تحملان التحذير من أكل مال اليتيم[٤] .

ومما جاء فيه الفصل لكمال الانقطاع وإن كانت الجملتان في آية واحدة قوله تعالى :

{ ألمْ ترَ إلى الذينَ يُزكّونَ أنفُسَهُمْ بلِ اللهُ يُزكّي من يشاءُ ولا يظلمونَ فتيلاً }[٥] .

بدأت الجملة الأولى باستفهام إنكاري توبيخي لليهود لأنهم قوم (قد بالغوا في تزكية أنفسهم ، فذكر الله تعالى بهذه الآية أنه لا عبرة بتزكية الإنسان نفسه ، وإنما العبرة بتزكية الله له)[٦] . فكانت الحاجة إلى إلغاء زعمهم الباطل بحرف الإضراب الابتدائي واستئناف[٧] جملة خبرية تحمل أقوى المؤكدات مع إسميتها وهو وقوع المبتدأ لفظ الجلالة ، والإخبار عنها

---

١ ـ انظر تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٤٨٧ .

٢ ـ انظر (فتح القدير) للشوكاني ، ج١ ، ص٤٢٩ .

٣ ـ انظر (الجدول في إعراب القرآن وصرفه) لمحمود صافي ، ج٤ ، ص٣٥٨ .

٤ ـ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص٢٥٤ .

٥ ـ الآية (٤٩) .

٦ ـ انظر (التفسير الكبير) للرازي ، ج١٠ ، ص١٢٦ .

٧ ـ انظر (الجدول في إعراب القرآن وصرفه) لمحمود صافي ، ج٥ ، ص٤٨ ، ٤٩ .
وقد قرر العكبري جواباً قبل هذه الجملة . قال : (تقديره أخطئوا بل الله يزكي) .
انظر (التبيان في إعراب القرآن) ، ج١ ، ص٣٦٤ .

بجمـــلة فعلية فعلها يفيد الاستمرار ؛ لذا كان الفصل لكمال الانقطاع الشكلي رغم قوة الاتصال المعنوي .

ومنه – مع تقديم الخبر على الإنشاء – قوله تعالى :

{ ومَـــنْ يُطِـــعِ اللهَ والرســـولَ فأولئكَ معَ الذينَ أنعمَ اللهُ عليهِمْ منَ النبيينَ والصديقينَ والشهداءِ والصالحينَ وحَسُنَ أولئكَ رفيقاً * ذلكَ الفضلُ من اللهِ وكفى باللهِ عليماً * يا أيُّها الذينَ آمنوا خذوا حِذْرَكُمْ فانفروا ثُباتٍ أو انفروا جميعاً }[1] .

سارت الآيتان الأوليان مسيرة الإخبار لتوضح عظم مكانة طاعة الله ورســـوله وحسن جزاء من هُدِيَ إلى ذلك ؛ ترغيباً فيها ، فهي مدار الأمر ورأس سنامه ، ثم اختلف الأسلوب فعمد إلى النداء – وهو إنشاء – لغرض بلاغـــي شرحه أبو حيان قائلاً : (مناسبة هذه الآية لما قبلها { يا أيها الذينَ آمنوا خذوا حذركم ... } هو أنه تعالى لما ذكر طاعته وطاعة رسوله وكان مـــن أهـــم الطاعـــات إحياء دين الله أمر بالقيام بإحياء دينه وإعلاء دعوته وأمـــرهم أن لا يقـــتحموا على عدوهم على جهالة فقال : { خذوا حذركم } فعلمهم مباشرة الحروب . ولما تقدم ذكر المنافقين ذكر في هذه الآية تحذير المؤمـــنين من قبول مقالاتهم وتثبيطهم عن الجهاد ، فنادى أولاً باسم الإيمان عـــلى عادتـــه تعالى إذا أراد أن يأمر المؤمنين أو ينهاهم)[2] . وعليه فإن الفصل لكمال الانقطاع الشكلي بين واضح .

ومن أمثلة النوع الثاني قوله تعالى :

{ أم لهُمْ نصيبٌ منَ المُلْكِ فإذاً لا يؤتونَ الناسَ نقيراً * أم يحسدونَ الـــناسَ على ما آتاهُمُ اللهُ منْ فضلِهِ فقدْ آتينا آلَ إبراهيمَ الكتابَ والحكمةَ وآتيناهُمْ ملكاً عظيماً }[3] .

---

١ ــ الآيات (٦٩ ، ٧٠ ، ٧١) .

٢ ــ انظر (البحر المحيط) ، ج٣ ، ص٢٩٠ .

٣ ــ الآيتان (٥٣ ، ٥٤) .

الآيــتان إنشائيتان لتقدير همزة استفهام بعد أم التي بمعنى بل ، أي : بــل ألهم نصيب من الملك ، وكذا في الثانية : بل أيحسدون الناس[١] . وبل هــذه المقدرة بدل أم حرف قطع ، وسبب هذا الفصل اختلاف الجملتين في الغــرض رغــم اتفاقهما إنشاءً ؛ فالأولى وصف فيها اليهود بالبخل ، وفي الــثانية وصفوا بالحسد ، (والبخل هو : أن لا يدفع لأحد شيئاً مما آتاه الله مــن الــنعمة ، والحســد هــو أن يتمــنى أن لا يعطي الله غيره شيئاً من النعم)[٢] .

ومثله قوله تعالى :

{ فما لكُمْ في المنافقينَ فئتينِ واللهُ أركَسَهُمْ بما كسبوا أتريدونَ أنْ تهدوا من أضلَّ اللهُ ومَنْ يُضلِلِ اللهُ فلنْ تجِدَ لهُ سبيلاً }[٣] .

فقولــه تعالى :{ فما لكم } سؤال بدأت به الجملة الأولى يفيد استنكار الفُــرقَة واخــتلاف الرأي ، موجه هو والنفي والخطاب لجميع المؤمنين ، وغرضه العام الحث على وحدة الرأي بين جماعة المسلمين وإن كان للجملة غرض خاص يحدده سبب النزول[٤] متعلق بمنافقي زمان الرسول – صلى الله عــليه وســلم – . أما الجملة الثانية { أتريدون أن تهدوا من أضل الله } فمع أنها جملة إنشائية مبدوءة باستفهام أيضاً ، إلا أنها مفصولة عن سابقتها لكمــال الانقطــاع لسبب تجريد الخطاب فيها ، وتخصيصه بالقائلين بإيمان

---

١ ــ انظر (البحر المحيط) ، ج٣ ، ص٢٧٢ ، ٢٧٣ .

٢ ــ انظر (التفسير الكبير) للرازي ، ج١٠ ، ص١٢٩ .

٣ ــ الآية (٨٨) .

٤ــ روى البخاري عن زيد بن ثابت – رضي الله عنه – قال : لما خرج النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى أحد رجع ناس ممن خرج معه ، وكان أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم فرقتين ، فرقة تقول : نقاتلهم ، وفرقة تقول : لا نقاتلهم . فنزلت : { فمالكم في المنافقين فئتين ... } الاية ، باب غزوة أحد ، ج٥ ، ص١٢٢ و ١٢٣ .

وكذا انظر (نظم الدرر) للبقاعي ، ج٥ ، ص٣٥٤ .

المنافقين مع ما ظهر من كفرهم في مواقف عديدة ، فوبخهم المولى سبحانه على زعمهم ذلك وأشعرهم بأن من المحال محاولة هداية من أضلَّهُ اللهُ[١] .

ومما شاكله قوله تعالى :

{ يـــا أيُّها الذينَ آمنوا لا تتخذوا الكافرينَ أولياءَ مِنْ دونِ المؤمنينَ أتريدونَ أن تجعلوا للهِ عليكُمْ سلطاناً مبيناً }[٢] .

الآية الكريمة ركبت من جمل ثلاث إنشائية فصلت لكمال الانقطاع ، وإليـــك بيان ذلك : فالجملة الأولى : { يا أيها } تحمل نداءً عاماً للمؤمنين ، ويدخـــل فيـــه المـــنافقون بحكم الظاهر رحمة منه سبحانه وتفضلاً عليهم ، وكذلـــك أدخلوا في النهي العام[٣] رجاء هدايتهم ، ثم خصوا بهذا الاستفهام الـــذي يحمـــل الـــتقريع والتوبيخ[٤] . وتوجيهه إليهم لأنهم هم الذين (ألموا بشيء من الفعل المؤدي إلى هذه الحال ، وأما المؤمنون المخلصون ما ألموا قـــط بشـــيء من ذلك)[٥] ، وهذا يوجب الفصل لكمال الانقطاع وإن اتفقت الجمل إنشاءً .

هذه أمثلة على ما جاء مفصولاً لكمال الانقطاع رغم اتفاق الجملتين إنشـــاءً . أما فصلهما وهما خبريتان لكمال الانقطاع فلم أعثر على أي مثال لـــه في سورة النساء ؛ ولعل السبب يعود إلى أن الجمل الخبرية تحتاج إلى الوصل أكثر من نقيضه لجذب انتباه السامع وحثه على المتابعة لربط السياق بإطار واحد ، ربما يكون وعظاً أو تسلية أو تنبيهاً أو تشريعاً أو نحو ذلك . والله أعلم وأحكم .

---

١ ــ انظر تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٥٦١ ، بتصرف .

٢ ــ الآية (١٤٤) .

٣ ــ هـــذا النهي العام هو ما جاء من أجله النداء لأن النداء يأتي لأمر هام يتبعه ؛ للتنبيه على أهميته ولفت الأنظار إليه .

٤ ــ انظر (فتح القدير) للشوكاني ، ج١ ، ص٥٢٩ .

٥ ــ انظر (المحرر الوجيز) لابن عطية ، ج٢ ، ص١٢٨ .

ثــم إن هــذه الأنواع الثلاثة – كمال الاتصال وشبه كمال الاتصال وكمــال الانفصال – هي أهم موجبات الفصل ، وإن ذكر البلاغيون أنواعاً أخرى[١] لم أجد لها أمثلة في سورتنا المباركة .

١ ـ عثرتُ على مثال يمكن أن يكون من قبيل شبه كمال الانقطاع الذي حدّه البلاغيون بقولهم : هو أن يكــون بيــن الجملتين كمال انقطاع ، وذلك أن تكون هناك جملة مسبوقة بجملتين ، يجوز عطفها على الأولى منهما ولا يجوز عطفها على الثانية ، فنترك العطف ؛ حتى لا يتوهم عطفها على الجملة القريــبة مــنها ، هو قوله تعالى : **{ بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً * الذين يتخذون الكافرين أوليــاء مــن دون المؤمــنين أيبــتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً }** ، فالجملة الإنشائية : { أيبــتغون } فُصــلت حــتى لا يُــتوهم عطفهــا على ما قبلها مع جواز عطفها على الأولى { بشر المــنافقين } ؛ لعمــق الجامع بينهما في المعنى ؛ لأن إرادة اتخاذ العزة من الكافرين دليل قوي على نفــاقهم ، ولكــنها لا تخرج عن الفصل لكمال الاتصال ، فالجملة المتوسطة من تمام الجملة الأولى ، فهي نعت للمنافقين . والله أعلم وأحكم ، والآيتان (١٣٨ و ١٣٩)

ثــم إن هناك نوعاً آخر هو التوسط بين الكمالين ، وموجبه إذا كان الوصل يخل بالمعنى ؛ لأن تشريك الجملة مع ما قبلها بالمعنى يُفسد السياق ، ولعل مثاله في هذه السورة قوله تعالى : **{ ولا تقولــوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد }** ، فُصلت الجملة الأخيرة عما قبلها ؛ لأن وصلها يُدخــلها فــي جمــلة القــول المنهي عنه وهو خلاف المقصود ، ولكن ذلك يدخل في الفصل لكمال الانقطاع ، لعدم إشراكهما في المعنى ، فجملة القول من كلام النصارى ، و { إنما الله إله واحد } من كلام الله سبحانه وتعالى ، والآية (١٧١) .

المطلب الثاني : الوصل .

الوصـــل البلاغي : العطف بالواو وحدها لأنها لمجرد العطف ، ولا تحمـــل أي معنى إضافي على خلاف الحروف العاطفة الأخرى[١] ، لذا قد تخـــفى الحاجة إليها فتحتاج إلى فطنة وتذوق ، ومن هنا دخلت في مباحث علوم البلاغة .

هـــذا وقـــد عرفنا مما سبق أن الفصل بين الجملتين قد يكون لما بين الجملتين من اتصال تام ، أو شبهه ، أو انقطاع تام ، أو شبهه .

الوصـــل إذن إنما يأتي في حالة وسط بين ذلك ، ويقتضي أمرين : الـــتغاير[٢] والتشـــريك[٣] . فـــإذا كانت الجملتان متغايرتين ، وكان بينهما جـــامع في المعنى وهو الأهم ، فإنه يجب الوصل ؛ كأن تكونا خبريتين أو إنشائيتين[٤] وبينهما جامع في المعنى . ويندرج تحت هذا أمور[٥] منها :

---

١ ـــ انظر (البلاغة العربية في ثوبها الجديد ، علم المعاني) للدكتور بكري شيخ أمين ، ص١٨٩ ، بتصرف .

٢ ـــ الـــتغاير : لأنـــه لا يصـــح عطـــف الشـــيء على نفسه أو جزئه ، مثل أن أقول : ابني محمد ، لا يصـــح أن أقـــول : ابـــني ومحمـــد ، لأنهمـــا واحـــد ، وكذلك لو قلت : ظهر القمر نصفه ، ولا أقـــول : ظهـــر القمـــر ونصـــفه ، إذ هـــو بدل بعض من كل ، ومثله بدل الاشتمال مثل قولنا : شكرنا أحمد كرمه ، ولا نقول : شكرنا أحمد وكرمه .

٣ ـــ التشـــريك يســـمونه الجـــامع لأنـــنا لا نستطيع أن نجمع بين أمرين إلا وبينهما نوع من الصلة المعنوية يعرفها كل من المنشئ والمتلقي ، ومن أجل ذلك عيب على أبي تمام قوله :

لا والذي هو عالمٌ أنَّ النَّوى   صبرٌ وأنَّ أبا الحسينِ كريمٌ

البيت في ديوانه ص٢٩٩ .

٤ ـــ قال الجرجاني : وجملة الأمر أنها لا تجيء – يقصد الواو العاطفة – حتى يكون المعنى في هذه الجملة لفقاً لمعنى في الأخرى ، ومضاماً له .

انظر (دلائل الإعجاز) ، ص٢٢٥ .

وكذا انظر (البلاغة فنونها وأفنانها) ، ج١ ، ص٤٢٤ .

٥ ـــ انظر (علوم البلاغة) للمراغي ، ص١٤٩ .

١ـ أن يكـون للجملة المعطوف عليها موضع من الإعراب ، وهنا وجه الحاجة إلى الواو ظاهر بيّن ، والإشراك في الحكم موجود لشدة ترابط الجملتين معنى[١] .

٢ـ ألا يكون لها موضع من الإعراب ، وتحت هذا نوعان :

أ ـ أن تـتفق الجملتان خبراً وإنشاءً ، وتكون بينها مناسبة وجامع يصحح العطف مع عدم المانع .

ب ـ أن تختـلف الجملـتان خـبراً وإنشاءً ، ولكن لو ترك العطف لأوهم خلاف المقصود ، ولذا تظهر الواو احتراساً من ذلك .

وسـتقدم الدراسة أمثلة على كل ما سبق من سورة النساء بحول الله وقوته .

أولاً : أن يكون للجملة المعطوف عليها موقع من الإعراب :

ومن أمثلته في سورة النساء قوله تعالى :

{ ومَـنْ يقـتُلْ مؤمناً متعمِّداً فجزاؤهُ جهنَّمُ خالداً فيها وغضِبَ اللهُ عليهِ ولعنَهُ وأعدَّ لهُ عذاباً عظيماً }[٢] .

لمـا بيّـن المـولى حكـم القـتل خطأً ، وفصّل أقسامه الثلاثة في الآية السابقة[٣] ، عقّبَ في هذه الآية ببيان القتل عمداً ، خلا أن حكمه الدنيـوي لمّـا بُيّـن فـي سـورة الـبقرة[٤] اقتصـر هـنا عـلى حكمه

١ـ ليـس المقصـود مـن التشريك في الحكم هو الحكم الإعرابي فقط لأن ذلك تابع إنما المقصود الاشـتراك فـي المعنى المراد ؛ فعند قولنا : حضر زيد وعمرو نقصد أن زيداً وعمراً يشتركان في الحضور ، ويتبع ذلك الاشتراك في الحكم الإعرابي فإنه يأتي مصادفة وتبعاً .

انظـر (دراسـة الإمـام عبد القاهر للفصل والوصل – تحليل ونقد) للدكتور عبد العزيز أبو سريع ، ص٦١ وما بعدها ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، مصر .

٢ـ الآية (٩٣) .

٣ـ الآية (٩٢) في قوله تعالى : **{ وما كانَ لمؤمنٍ أن يقتُلَ مؤمناً إلا خطأً ... }** .

٤ـ الآيـة (١٧٨) في قوله تعالى : **{ يا أيُّها الذينَ آمنوا كُتِبَ عليكُمُ القِصاصُ في القتلى ... }** إلى الآية (١٧٩) : **{ ولكُمْ في القصاصِ حياةٌ يا أولي الألباب لعلّكم تتقونَ }** .

الأخــروي[١] ، فبدأت الآية بالشرط : { ومن يقتل مؤمناً متعمداً } ، ثم كان جــزاؤه أموراً متعاطفة بدأها سبحانه بقوله : { فجزاؤه جهنّمُ خالداً فيها } ، وهــل بعد جهنم من سوء مصير ؟ ولكن عقّبَ تأكيداً بقوله : { وغضب الله عليه } أي : انتقم منه بجهنم { ولعنه } أي أبعده عن الرحمة بجعلِ جزائه ما ذُكِــرَ[٢] . فشــكلت هذه الجمل المتعاطفة جواب هذا الشرط تقريراً وتأكيداً على عظم الجرم وعظم الجزاء .

ثانياً : أن تكون الجملة المعطوف عليها لا موقع لها من الإعراب :

ومن أمثلته في سورة النساء قوله تعالى :

{ ولْيَخْــشَ الذيــنَ لــو تركوا منْ خلفهِمْ ذريَّةً ضعافاً خافوا عليهِمْ فليتَّقوا اللهَ وليقولوا قولاً سديداً }[٣] .

فقولــه تعالى : { وليقولوا قولاً سديداً } جملة عطفت بحرف الوصل عــلى قوله تعالى : { فليتقوا الله } ، (أي : في أموال اليتامى)[٤] ، وهذه الجملة تقع في جواب شرط مقدر بمعنى : (إذا دخلت الخشية قلوبهم من الله فليــتقوا الله)[٥] ، وعطــف جملة (وليقولوا) على هذه ظاهر لعدة أسباب مــنها : أن الجملتين إنشائيتان من النوع الطلبي لدخول لام الأمر عليهما ، وهــذا يجعــلهما تتجاذبان لقوة الجامع بينهما[٦] ، ثم إن الأولى أشارت إلى الإحسان لليتامى بالفعل ، والثانية بالقول ، فإذا حدث أن التزموا بشيء واحد فــإنهم لم يوفوا ما أمرهم الله به ، ومن ثم فلن ينالوا ما وعدوا به من جزاء

١ــ انظر تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٥٦٦ .

٢ــ انظر المرجع السابق ، ص٥٦٧ .

٣ ــ الآية (٩) .

٤ ــ انظر (التحرير والتنوير) ج٥ ، ص٢٥٣ .

٥ ــ انظر (الجدول في إعراب القرآن) ، ج٥ ، ص٢٥٤ .

٦ ــ انظر (علوم البلاغة) للمراغي ، ص١٥٠ . وقد فصل رحمه الله في هذا الجامع تفصيلاً شافياً يحسن الرجوع إليه .

حسن . وهو تنبه على الإحسان لليتامى بتعاطف المشاعر ، فهل بقي شيء من الإحسان لليتيم لم تأمر به هذه الآية الكريمة ؟

ومثله قوله تعالى :

{ إنَّ الذينَ يأكلونَ أموالَ اليتامى ظلماً إنَّما يأكلونَ في بطونِهِمْ ناراً وسيصلونَ سعيراً }[١] .

وهي تعقيب للآية السابقة لأن فيها تأكيداً على الوعيد الشديد مرة بعد مـــرة لمن يأكل أموال اليتامى ظلماً[٢] . والجملة المعطوف عليها في الآية قولـــه تعالى : { إنما يأكلون في بطونهم ناراً } وقعت خبراً للحرف الناسخ الـــذي بدأت به الآية وإن بعدت عنه لطول صلة اسمه[٣] (الذينَ . والجملة المعطوفـــة قولـــه تعالى : { وسيصلونَ سعيراً } ، والسعير نوع خاص من الـــنار وهـــذا هـــو الجامع المسوغ للعطف ، وحسّن ذلك كونهما خبريتين وصـــيغة فعليهما مضارع مما يفيد استمرار الوعيد بعذاب النار من الداخل والخارج .

واسمع قوله تعالى :

{ وكيـــفَ تأخذونَهُ وقد أفضى بعضُكُمْ إلى بعضٍ وأخذْنَ منكُمْ ميثاقاً غليظاً }[٤] .

الآية الكريمة تحمل التعجب والاستنكار من حال تتكرر الدلالة عليها مرة بعد مرة ؛ فاسم الاستفهام (كيف) (في موضع نصب على الحال)[٥] ليفيد التعجب ، هذا التعجب في الآية يشير إلى أنه ليس من اللائق أخذ شيء مـــن المرأة بعد أن حصل الإفضاء ، فهذا لا يصح في العرف الاجتماعي ، والجملة { وقد أفضى بعضُكُمْ إلى بعض } وقعت حالاً من فاعل (تأخذونه)

---

١ ـــ الآية (١٠) .

٢ ـــ انظر (التفسير الكبير) للرازي ، ج٩ ، ص٢٠٠ .

٣ ـــ انظر (البحر المحيط) ، ج١٠ ، ص١٧٨ .

٤ ـــ الآية (٢١) .

٥ ـــ انظر (التبيان في إعراب القرآن) للعكبري ، ج١ ، ص٣٤٢ .

ولا يخــفى مــا بها من مؤكدات ، ثم عطف عليها جملة لا تقل تأكيداً عنها { وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً } ، وأخذ شيء منها بعد أن وثق الله بينهما بعقد الـنكاح المـتين شيء آخر يثير الدهشة والعجب ؛ لذا جاءت الواو لتجمع بيـنهما إذ اشتركتا في ذات الحكم – وهو التعجب – وحسّن وجود الواو أن اجتماعهما هو القمة في التعجب من أجل هذا وقعتا في حيز كيف .

وفيهــا (وعــظ الله تعــالى عباده مذكراً بالمودة التي بين الزوجين والموجــبة لحياطــة مال المرأة)[1] ، فكان الجامع بين الجمل ظاهراً شكلاً ومعنى .

ومن عجائب الدقائق البيانية التي يستخرجها الوصل ما نجده في هذه الآية ، قال تعالى :

{ ألمْ ترَ إلى الذينَ يزعُمونَ أنَّهُمْ آمنوا بما أُنزِلَ إليكَ وما أُنزِلَ من قبـلِكَ يريدونَ أنْ يتحاكموا إلى الطاغوتِ وقدْ أُمِروا أنْ يكفروا بهِ ويريدُ الشيطانُ أنْ يُضِلَّهُمْ ضلالاً بعيداً }[2] .

الوصــل بين الجملتين { بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك } ، وهما خبريتان ، والأولى في محل جر بحرف الجر الباء وتبعتها الثانية في الحكم الإعرابي ، لكن الأهم هو الاشتراك المعنوي ، حيث دخول إيمانهم بما أنزل مــن قــبل الدين الإسلامي في حيز الزعم ؛ بالرغم من ادعائهم أنهم على شــرعة موســى عليه السلام ، ودليل كذبهم أنهم لو كانوا كذلك لم يريدوا الـتحاكم إلى الطــاغوت وعندهم دين سماوي ؛ ولكن قد فضحهم الله بهذه (الــواو) الــتي جمعــت بين الجملتين في حكم واحد ، وسر هذا العطف المبالغة في فضحهم بعد أن كذب زعمهم ، والله أعلم وأحكم .

---

١ ــ انظر (المحرر الوجيز) لابن عطية ، ج٢ ، ص٣٠ .

٢ ــ الآية (٦٠) .

ثالثاً : وجود الجامع المصحح بين الجملتين :

وأمثلـــته في سورة النساء كثيرة جداً منها أول آية في هذه السورة ، قال تعالى :

{ يا أيُّها الناسُ اتَّقوا ربَّكُمُ الذي خلقَكُمْ مِنْ نفسٍ واحدةٍ وخلقَ منها زوجَهــا وبــثَّ مــنهما رجالاً كثيراً ونساءً واتَّقوا اللهَ الذي تساءلونَ بهِ والأرحامَ إنَّ اللهَ كانَ عليكُمْ رقيباً }[1] .

العطــف الأول في قوله تعالى : { وخلق منها زوجها } عطفت هذه الجمـــلة عـــلى جمـــلة { خـــلقكم مـــن نفس واحدة } ، ولا يخفى أنها صلة الموصـــول (الـــذي) فـــلا محـــل لها من الإعراب ، وكأن (هذه الجملة المعطوفـــة صلة ثانية في المعنى ، وكذا قوله تعالى : { وبثَّ منهما } صلة ثالثة ؛ لأن الذي يخلق هذا الخلق العجيب جدير بأن يتقى ، ولأن في معاني هـــذه الصلات زيادة تحقيق اتصال الناس بعضهم ببعض إذ الكل من أصل واحد ، وقد حصل من ذكر هذه الصلات تفصيل بكيفية خلق الله الناس من نفـــس واحـــدة ، وجاء الكلام على هذا النظم توفية بمقتضى الحال الداعي للإتيـــان باســـم الموصـــول ومقتضـــى الحال الداعي لتفصيل حالة الخلق العجيـــب)[2] . والجمل الثلاث المتعاطفة جميعها خبرية وتضافرت لتحقيق غـــرض بلاغي واحد وهو تفصيل حالة الخلق التي تنبئ عن إله جدير بأن يتقى ويُخاف منه ، وهذه هي المناسبة البلاغية المسوغة للعطف .

ومنه قوله تعالى :

{ يـــا أيُّهـــا الذيـــنَ آمـــنوا لا يحلُّ لكُمْ أن ترثوا النساءَ كرهاً ولا تعضُـــلوهُنَّ لتذهـــبوا بـــبعضِ مـــا آتيتموهنَّ إلاّ أن يأتينَ بفاحشةٍ مبيِّنةٍ

---

١ ــ الآية (١) .

٢ ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٤ ، ص٢١٥ .

وعاشروهُنَّ بالمعروفِ فإنْ كرهتموهُنَّ فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعلَ اللهُ فيه خيراً كثيراً }[١] .

بـــدأت الآيـــة الكريمة بنداء للمؤمنين خاصة ؛ لتنبيههم على أمر من أبشع أنواع الظلم والوحشية ، وقد اعتادت جاهليتهم عليه ، (فنهوا أن يرثوا النساء المخلفات عن الموتى كما يورث المال ، والمراد نفي الوراثة في حال الطوع والكراهية)[٢] ، فجمعت هذه الجملة النهي والنفي في جملة واحدة ، فـــ { لا يحل } لفظها النفي ومعناها النهي ، وأحسب أنّ ترجيح صيغة النفي عـــلى النهي لأنه آكد في الحكم ، وألزم في الحجة ، وأبعث على الخوف ، فالنفي تقريري خبري عن التزام تم حصوله وثبوته ، ومن ثَمَّ فهو أجدر بأن لا يُـــتجرّأ عـــلى ارتكابه . إذن هي جملة خبرية لفظاً إنشائية معنى ، وهذا مســـوغ عطـــف جمـــلة { ولا تعضلوهن } التي هي بصيغة النهي صراحة عـــليها ، والعضـــل هنا الحبس[٣] فقد يوجد من الرجال من يلزم المرأة مع سوء العشرة لا لشيء إلا لتفتدي نفسها منه بمالها أو تظل كذلك حتى تموت فيـــنوبه حـــظ وافر من إرثها . وهذا الخلق البشع لا يتفق وحقيقة الإيمان ، وهو لا شك من عمل الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء ، لذا نهى المولى عنه وأكد هذا النهي بأمر صريح بحسن العشرة في قوله تعالى : { وعاشروهن بالمعروف } ربطاً بواو العطف التي تفيد التشريك في الحكم من أول الآية ، حيـــث نهـــوا فـــي الخـــبرية عن أن تنزّل المرأة منزلة سقط المتاع ورفعاً لشأنها ، ثم أُمروا في هذه بحسن العشرة عوداً على بدء .

ومنه قوله تعالى :

١ـــ الآية (١٩) .

٢ـــ انظر (البحر المحيط) ، ج٣ ، ص٢٠٢ . والمخلفات : من خلّفنَ أرامل .

٣ـــ المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

{ يومَــئذٍ يودُّ الذينَ كفروا وعصَوُا الرسولَ لوْ تُسوّى بهِمُ الأرضُ ولا يكتمونَ اللهَ حديثاً }[١] .

الآيــة الســابقة مكونة من مجموعة جمل جميعها ليس لها محل من الإعــراب لأســباب مختــلفة ، فالجملة الأولى : { يومئذٍ يود الذين ... } اســتئنافية ، وجمــلة (كفــروا) صلة الموصول ، وعطفت عليها جملة : { وعصوا الرسول } ، وما يحسن الجمع كونهما خبريتين وفعلاهما ماضيان وأهــم مــن ذلــك الجــامع المعنوي ، حيث يبين الحق دقة حساب هؤلاء الكافــرين ، فــلا يحاسبون على كفرهم فقط ، بل حتى على فروعه وأهمها عصيانهم[٢] للرسول – صلى الله عليه وسلم – ، فهو كفر أو نوع من الإثم يعادل الكفر لهذا عُطفت جملة (عصوا) على جملة (كفروا) ، وقد حسن العطف أنهما من قبيل الإخبار من الله عز وجل .

وثمــة عطــف آخر في الجملة الأخيرة : { ولا يكتمون الله حديثاً } حيث عطفت هذه الجملة على الجملة الاستئنافية الأولى :{ يومئذ يود } بكل مــا فيهــا وفي صلة فاعلها ، وذلك تصويراً لحالتهم الهلعة في ذلك اليوم ، حيــث تمــنوا أن يخفــوا ولا يظهــروا حــتى لا يسألوا فلا يضطروا إلى الاعــتراف الموبق ولا الكتمان المهلك[٣] . فالمناسبة المعنوية التي جمعت بيــن الجملــتين " الاتحاد في الخفاء " خفاؤهم من حيث الأجساد الممثل في قولـــه تعــالى : { يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض } ، وخفــاؤهم من حيث الكلام في قوله تعالى : { ولا يكتمون الله حديثاً } ، وحسّن الجمع بين الجملتين أن كلتيهما من قبيل التمني .

ويسوغ للوصل التضاد المعنوي ، وذلك بين في قوله تعالى :

---

١ ــ الآية (٤٢) .

٢ ــ انظر (نظم الدرر) للبقاعي ، ج٥ ، ص٢٨٣ بتصرف .

٣ ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص٦٠ ، بتصرف .

{ لا خيـرَ فـي كثيرٍ مِنْ نجواهُمْ إلاّ مَنْ أمرَ بصدقةٍ أو معروفٍ أو إصـلاحٍ بينَ الناسِ ومَنْ يفعلْ ذلكَ ابتغاءَ مرضاتِ اللهِ فسوفَ نؤتيهِ أجراً عظيماً * ومَنْ يُشاقِقِ الرسولَ مِنْ بعدِ ما تبيَّنَ لهُ الهدى ويتَّبِعْ غيرَ سبيلِ المؤمنينَ نُولِّهِ ما تولَّى ونُصلِهِ جهنَّمَ وساءَتْ مصيراً }[1] .

والشاهد في قوله تعالى :{ ومَنْ يشاقق الرسول } عطفت هذه الجملة على الجملة التي قبلها ، وهي جملة لا محل لها من الإعراب لأنها معطوفة بدورها على الجملة الاستئنافية الأولى[2] :{ لا خير في كثير من نجواهم } . والمسـوغ لهذا العطف تناسبهما في الهيئة الإعرابية وأهم منه تضادهما في المعـنى ، حيـث صـورة كل منهما حال مضادة للأخرى بكل ما فيها من أحداث وشخصيات ونتائج .

ومما أتى على التضاد قوله تعالى :

{ واللهُ يـريد أن يـتوب عـليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً }[3] .

الجملـتان الخبريـتان الجـامع بيـنهما قوي وهو التضاد البين في الإرادة ، والغـرض البلاغي التبصرة والعظة بما تنتجه المقارنة من تفاوت كبير .

فـي كـل ما مر معنا أتت الجملتان المتعاطفتان في حالة واحدة من الخـبر والإنشاء ، ولكن قد تخالف هذه القاعدة عندما تكون إحداهما لفظها مغاير معناها ، ومثال ذلك في سورة النساء قوله تعالى :

{ يـا أيُّهـا الذيـنَ آمـنوا لا يحلُّ لكُمْ أنْ ترثوا النساءَ كرهاً ولا تعضُـلوهُنَّ لتذهـبوا بـبعضِ مـا آتيتُموهُنَّ إلاّ أنْ يأتينَ بفاحشةٍ مبيِّنةٍ

---

١ ــ الآيتان (١١٤ ، ١١٥) . ومثلها الآية (١٢٢) مع ما قبلها .

٢ ــ انظر (الجدول في إعراب القرآن) لمحمود صافي ، ج٥ ، ص١٤١ ، ١٤٢ .

٣ــ الآية (٢٧) .

وعاشروهُنَّ بالمعروفِ فإنْ كرهتموهُنَّ فعسى أنْ تكرهوا شيئاً ويجعلَ اللهُ فيهِ خيراً كثيراً }[١] .

جمـــلة (عاشروهن) لا محل لها من الإعراب ؛ لأنها معطوفة على جملة (لا يحل) ، وهي جواب النداء ، فلا محل لها من الإعراب[٢] ، وهذا شـــيء وارد لا خـــلاف فيـــه ، ولكن ما نحن بصدده هو أن الجملة الثانية (عاشـــروهن) إنشـــائية فهـــي أمر بمعاشرة النساء بالمعروف ، والجملة المعطـــوف عليها { لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً } لفظها خبري ولكن معـــناها إنشـــائي ، فهـــي بمعنى : لا ترثوا النساء كرهاً[٣] ، وهذا مسوغ العطف رغم اختلاف الجملتين ظاهرياً .

ومنه قوله تعالى :

{ ألـــم تـــر إلى الذيـــنَ أوتـــوا نصيباً منَ الكتابِ يشترونَ الضلالةَ ويـــريدونَ أنْ تضلُّوا السبيلَ * واللهُ أعلمُ بأعدائِكُمْ وكفى باللهِ ولياً وكفى باللهِ نصيراً }[٤] .

ربـــط أســـلوب القرآن الرائع بين هاتين الآيتين بواو العطف مع أن الأولى جمـــلة إنشائية مبدوءة بهمزة استفهام ، والثانية خبرية ، قال فيها أبو حيـــان : (فيـــه تنـــبيه عـــلى الوصف المنافي لوداد الخير للمؤمنين وهي العـــداوة ، وفيـــه إشـــارة إلى الـــتحذير منهم وتوبيخ على الاستنامة إليهم والـــركون ، والمعنى أنه تعالى قد أخبر بعداوتهم للمؤمنين ، فيجب حذرهم كما قال تعالى : { هم العدو فاحذرهم })[٥] .

---

١ ــ الآية (١٩) .

٢ــ انظر (الجدول في إعراب القرآن) ، ج٤ ، ص٣٧٦ .

٣ ــ انظر (الجدول في إعراب القرآن) ، ج٤ ، ص٣٧٧ .

٤ــ الآيتان (٤٤ ، ٤٥) .

٥ــ انظر (البحر المحيط) ، ج٣ ، ص٢٦١ .

والآية جزء من آية (٤) ، سورة " المنافقون " .

وبــناء عليه فالآية الثانية تتحدث عن الذين أوتوا نصيباً من الكتاب ، وعطفها على الأولى مع ورودها بصيغة الخبر لما بينهما من ترابط معنوي نبه عليه هذا العطف .

الفصل الرابع

الصور البيانية

المبحث الأول : التشبيه .

المبحث الثاني : المجاز .

المبحث الثالث : الكناية .

مـــدخــــل :

تعارف علماء البلاغة على أن الصورة البيانية[١] اصطلاح يقصد به دراسة التشبيه ، والمجاز ، والكناية ، ومن ثم فسيسير هذا البحث وفق هذا المنهج .

١ــ البيان في اللغة : ما بُيِّنَ به الشيء من الدلالة وغيرها ، وبان الشيء بياناً : اتضح فهو بيِّن ، والبيان : الإفصاح مع ذكاء . (لسان العرب) ، مادة (بين) . وقال الجاحظ عنه : هو الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي . انظر (البيان والتبيين) ، ج١ ، ص٧٥ .

وقد وردت كلمة البيان ومشتقاتها في كتاب الله تعالى في حقه سبحانه دليل نعمة وتفضل منه سبحانه على عباده . قال تعالى : **{ يريد اللهُ ليبيِّنَ لكُم ويهديكُمْ سُنَنَ الذينَ من قبلِكُمْ ويتوبَ عليكُمْ والله عليم حكيم }** ، الآية (٢٦) ، النساء . وقال جل شأنه : **{ الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علم البيان }** ، الآيات (١ ، ٢، ٣ ، ٤) ، الرحمن . ومنته سبحانه بهذا البيان ارتبطت بالعلم كما مر في الموضعين السابقين وفي غيرها كثير ، كما جعله القرآن من مقاصد الرسل ، كقوله تعالى : **{ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم }** ، الآية (٤) ، سورة إبراهيم .

وقد جاء ذكره في السنة مرتبطاً بفنون القول ، ومنه ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " **إنَّ من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكماً** " .

رواه البخاري في كتاب الطب ، باب (٥٠) ، وفي كتاب النكاح ، باب (٤٨) . دار إحياء التراث العربي ، القاهرة ، مصر ، الطبعة بدون .

وعليه فيكون البيان هو الكشف والظهور والإيضاح واتجاهه إلى فنون القول آكد وأظهر . ومن هنا كان تعريفه في الاصطلاح : (هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بالطرق المختلفة في وضوح الدلالة عليه) . انظر (الإيضاح) للخطيب القزويني ، ص٢٠٢ .

أي التعبير عن المعنى الواحد بطرق مختلفة في الوضوح .

انظر (البيان العربي – دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى) للدكتور بدوي طبانه ، ص٣٤ . الطبعة السادسة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مصر ، ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م .

وكذا (علم البيان بين النظرية والتطبيق) للدكتور محمد لطفي عبد التواب ، ص١٦ . الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

المبحث الأول

التـــشـــبـــيـــه

المطلب الأول : التشبيه المرسل .

المطلب الثاني : التشبيه الضمني .

المطلب اثالث : التشبيه التمثيلي .

المبحث الأول : التشبيه[١]

المطلب الأول : التشبيه المرسل .

أكـــثر أنواع التشبيه في هذه السورة المباركة من النوع المرسل أي الـــذي ذكـــرت أداتـــه[٢] . ومـــن أمثلته في سورة النساء قول الحق تبارك وتعالى :

{ أو نلعنَهُمْ كما لعنَّا أصحابَ السبتِ ... }[٣] .

لا شك أن اللعن في كلا طرفي التشبيه مقصود به اليهود ، غير أنه جـــاء على طريقة الوعيد ، حيث إن الله عز وجل توعد اليهود المعاصرين لرســـول الله صـــلى الله عـــليه وسلم بمثل ما حصل لأجدادهم المعتدين في السبت .

فالمشـــبه الـــلعن المـــتوعد به اليهود ، والمشبه به : لعنة أصحاب الســـبت ، ووجـــه الشبه : الغضب الحاصل من اللعنتين بالمسخ والتبديل ، حيـــث مُســـخ أجدادهم قردة وخنازير[٤] . وقد اختلف المفسرون في ماهية الـــلعن ووقـــت حدوثـــه ، فذهـــب فريق إلى أن اللعن هو المسخ إلى قردة وخـــنازير[٥] ، ووقت حدوثه الدنيا ، مستدلين بمبادرة بعض اليهود بالإسلام

١ــ التشبيه في اللغة : التمثيل ، أشبه الشيء الشيءَ ماثَلَهُ . انظر (لسان العرب) ، مادة (شبه) . وفي الاصطلاح : دلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى .

انظر (الإيضاح) للقزويني ، ص ٢٠٣ .

٢ــ انظر (علوم البلاغة) للمراغي ، ص٢١٤ .

٣ــ جزء من الآية (٤٧) .

٤ــ إشـــارة إلى قولـــه تعالى : **{ من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير ... }** ، (٦٠) ، المائدة .

٥ــ انظر تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص٥٠٩ .

وكذا (المحرر الوجيز) ، ج٢ ، ص٦٤ .

حال سماعهم هذه الآية[١] . واتفق معهم أبو السعود في ماهيته ، ولكنه رأى أن وقت حدوثه في الآخرة عند الحشر ، سيقع لا محالة أحد الأمرين أو كلاهما على سبيل التوزيع[٢] : أي البعض يناله الطمس والرد على الأدبار ، والبعض الآخر يلعن ، أي: يمسخ إلى قردة وخنازير ، بدليل عدم حدوث هذا الأمر المهول لا في زمن الرسول ولا في ما بعد . بينما ذهب آخرون أن المراد من التشبيه بلعن أصحاب السبت الإغراق في وصفه[٣] فقط . وعلل ذلك بأن الوعد مشروط بالإيمان وقد آمن منهم أناس[٤] .

ويهمنا من ذلك كله ثمرة الخلاف ، فبناء على الطرف الأول يكون طرفا التشبيه حسيين[٥] ، والوجه تلك الحالة التي يمسخ إليها اليهود سواء في الدنيا أو الآخرة . أما على الرأي الثاني فيكون من قبيل تشبيه شيء عقلي بشيء حسي .

وفي الآية التالية التشبيه المرسل طرفاه حسيان ، قال تعالى :

{ إنّا أوحَينا إلَيك كما أوحَينا إلى نوحٍ والنبيينَ منْ بعدِه }[٦] .

١ــ انظر تفسير الزمخشري ، ج١ ، ص٢٧٢ .

٢ــ انظر تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٥٣٢ .

وكذا (الكشاف) ، ج١ ، ص٢٧٢ .

٣ــ انظر (روح المعاني) للألوسي ، م٢ ، ج٥ ، ص٥٠ .

٤ــ انظر (الكشاف) ، ج١ ، ص٢٧٢ .

٥ــ الحسي : كل ما يدرك بإحدى الحواس الخمس ، مثل قوله تعالى : **{ وله الجوار المنشئات في البحر كالأعلام }** ، الآية (٢٤) ، الرحمن .

وقد ألحق علماء البلاغة بالتشبيه الحسي التشبيه الخيالي وهو الذي توجد أجزاؤه في الخارج دون صورته المركبة . انظر (علم البيان) الدكتور محمد لطفي عبد التواب ، ص٣٧ .

٦ــ جزء من الآية (١٦٣) .

قـال الزمخشـري : (جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله – صـلى الله عليه وسلم– أن ينزّل عليهم كتاباً من السماء ، واحتج عليهم بأن شأنه في الوحي إليه كشأن سائر الأنبياء الذين سلفوا)[١] .

إذن المشـبه : جنس الوحي المنزّل على رسول الله – صلى الله عليه وسـلم – والمشـبه بـه : جـنس الوحي الذي أُنزل على سائر الأنبياء . (فالتشبيه بجنس الوحي وإن اختلفت أنواعه)[٢] .

ومن المرسل وطرفاه عقليان من النوع الوجداني[٣] قوله تعالى :

{ ألمْ ترَ إلى الذينَ قيلَ لهُمْ كفُّوا أيديكُمْ وأقيموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ فـلمَّ كُتِبَ عليهِمُ القتالُ إذا فريقٌ منهُمْ يخشَونَ الناسَ كخشيةِ اللهِ أو أشدَّ خشيةً وقالوا ربَّنا لمَ كتبتَ علينا القتالَ لولا أخَّرتنا إلى أجلٍ قريبٍ قُلْ متاعُ الدُّنيا قليلٌ والآخرةُ خيرٌ لمنِ اتَّقى ولا تظلمونَ فتيلاً }[٤] .

التشـبيه فـي هذه الآية الكريمة يقوم على مماثلة خشية المخاطبين للـناس فـي الآيـة بخشيتهم لله ، بل ربما كانوا يخشون الناس أكثر . وقد اختلف في هذه الصورة التشبيهية ، فقال ابن عطية : (يعني كانوا يخافون الله في جهة الموت ، لأنهم لا يخشون الموت إلا منه ، فلما كتب عليهم قتال الناس رأوا أنهم يموتون بأيديهم فخشوهم في جهة الموت كما كانوا يخشون

١ــ انظر (الكشاف) ، ج١ ، ص٣١٣ .

وكذا (البحر المحيط) ، ج٣ ، ص٣٩٧ .

٢ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٦ ، ص٣١ .

على أن الوحي للرسول – صلى الله عليه وسلم – وإن شابه ما قبله في الجنس إلا أنه كان منه الكتاب القرآن ، و لم يكن لبعض من ذُكر معه كتاب .

٣ــ المراد بذلك أنهما لا يدركان إلا بالعقل ، مثل تشبيه العلم بالحياة والجهل بالموت ، وكل منهما لا يـدرك إلا بـالعقل ، وألحقوا بالعقليين الأمور الوجدانية مثل الحب والبغض ، والطمأنينة والخوف ، وكذلك الأمور الوهمية وهي الأمور التي لا وجود لها ولا تدرك بالحواس .

انظر (البلاغة فنونها وأفنانها ، علم البيان) للدكتور فضل حسن عباس ، ص٢٦ .

٤ــ الآية (٧٧) .

الله)[١] . وتـــبعه الألوسي بجعل خشيتهم الناس كخشيتهم لله[٢] . وهذا يعني أن الآية نزلت في المؤمنين ولكن التعجب المراد من الاستفهام وخاتمة الآية لا يؤيـــده بل يوجهه إلى تصوير حال المنافقين . وهذا ما أورده ابن عطية نفســـه احـــتمالاً ثانياً حيث قال : (ويحتمل أن يكون المعنى يخشونَ الناسَ عـــلى حـــدّ خشـــية المؤمـــنين الله عـــز وجل)[٣] . ووافقه في هذا الرأي الزمخشري[٤] وأبو حيان[٥] وتبعهم أبو السعود ، قال : (يخشونهم مشبهين لأهـــل خشـــية الله تعالى)[٦] . وقد فصّل هذا الرأي وعلله الرازي قائلاً : (ومعـــلوم أن هذا الوصف لا يليق إلا بالمنافقين ، لأن المؤمن لا يجوز أن يكـــون خوفه من الناس أزيد من خوفه من الله تعالى)[٧] . فنتج عن هذا أن المشـــبه خشـــية هـــؤلاء المنافقين الناس ، والمشبه به خشية المؤمنين لله ، ووجه الشبه الحالة النفسية المشتركة في الحالتين وهو أمر وجداني عقلي ، والأداة الكاف ، ونوعه مرسل .

أمـــا القيمـــة البلاغية له فتكمن في التنفير من هذه الصورة المنذرة بالنـــــفاق والحث على نقيضه .

ومـــن التشـــبيه المرسل ما جاء المشبه به على وجه التخييل ، وذلك مثل قوله تعالى :

١ـــ انظر (المحرر الوجيز) ، ج٢ ، ص٨٠ .

٢ـــ انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٥ ، ص٨٥ .

٣ـــ انظر (المحرر الوجيز) ، ج٢ ، ص٨٠ .

٤ـــ انظر (الكشاف) ، ج١ ، ص٢٨٢ .

٥ـــ انظر (البحر المحيط) ، ج٣ ، ٢٩٨ .

٦ـــ انظـــر (إرشـــاد العقل السليم) ، ج١ ، ص٥٥١ . والعبارة للزمخشري في كشافه ، ج١ ، ص ٢٨٢ .

٧ـــ انظر (التفسير الكبير) ، ج١٠ ، ص١٨٥ .

{ ولَــنْ تَستَطيعوا أنْ تعْدِلوا بينَ النساءِ ولَو حرَصتُم فلا تميلوا كلَّ المَيــلِ فــتَذَروها كالمعــلّقةِ وإنْ تُصــلِحوا وتــتّقوا فإنّ اللهَ كانَ غفوراً رحيماً }[١] .

قـــال أبو حيان : (شُبهت المرأة بالشيء المعلّق من شيء ؛ لأنه لا عــلى الأرض اســتقرّ ولا عــلى ما عُلِّقَ منه)[٢] فالمشبه في هذه السورة الزوجة التي يؤثر زوجها عليها ضرّتها ويتركها مهملة (لا هي أيّم ولا هي ذات زوج)[٣] . صــورة حسية تُرى في كثير من المجتمعات . والمشبه به صورة مُتَخيلة لإنسانة معلقة تتأرجح في الهم لا تجد لها قراراً تستقر عليه . ولــو وُجِدَت هذه الصورة في الحقيقة لعزّ منظرها على أشد القلوب قساوة وتفــانوا في طلب الخلاص لها من هذا العذاب ، ووجه الشبه بين الطرفين فقدان الاستقرار النفسي مع العذاب المنذر بالهلاك .

إذن غاية التشبيه وغرضه البلاغي (تصوير اضطراب المرأة وقلقها وعــدم اســتقرارها عــلى حــال حــتى لا تصــبح حياتها مليئة بالمتاعب والعناء)[٤] ، وذلك بهدف تنبيه الرجل لهذا الظلم الواقع منه على الزوجة ونهيه عنه ؛ ولذا بدت الصورة بأبشع ما يكون عليه تصرف الإنسان السيء وكأشــنع ما يكون عليه التناقض مع ما أمر الله به من الرحمة والمودة بين الزوجين[٥] .

١ــ الآية (١٢٩) .

٢ــ انظر (البحر المحيط) ، ج٣ ، ص٣٥٨ .

٣ــ انظر (المحرر الوجيز ٩ ، ج٢ ، ص١٢١ .

٤ــ انظر (من بلاغة القرآن) ، للدكتور أحمد أحمد بدوي ، ص١٩٨ .

٥ــ الممثَّل في قوله تعالى : **{ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقومٍ يتفكرون }** ، الآية (٢١) ، الروم .

المطلب الثاني : التشبيه الضمني .

هـذا الـنوع من التشبيه لا يحتاج إلى أداة ربط مثل المؤكد ، ولكن العلاقـة فيه تقوم على إعمال الفكر للربط بين الركنين ؛ ولذا فإمتاع العقل فيه أكثر لأن الشيء الذي يحصل بعد جهد يكون أغلى على النفس من غيره ويحدث متعة ودهشة .

فكلا ركني التشبيه معنى قائم بذاته ، ولكن بينهما علاقة ضمنية قائمة عـلى أن المشـبه به حجة أو دليل أو تعليل للمشبه[١] . ومن هذا النوع في سورتنا المباركة قوله تعالى :

{ والذيـنَ ينفقونَ أموالَهُمْ رئاءَ الناسِ ولا يؤمنونَ باللهِ ولا باليومِ الآخرِ ومَنْ يكُنِ الشيطانُ لهُ قريناً فساءَ قريناً }[٢] .

المشـبه : { الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس } ، وعطفت هذه الفئة من الناس على الذين يبخلون[٣] ؛ تنبيهاً على أن إنفاق هذه الفئة مثل إمساك تـلك (لأنهم أنفقوا إنفاقاً لا تحصل منه فائدة غالباً لأن من ينفق ماله رئاء الناس لا يتوخى مواضع الحاجة فقد يعطي الغني ويمنع الفقير)[٤] .

ثـم تـأتي الجملة المعترضة ترد على استفسارات تثيرها في الذهن الجمـلة الواقعـة مشبه : لماذا يتكبدون عناء الإنفاق وكلفته مع عدم الأجر والـثواب وهم يعلمون ذلك لأنهم أدرى الناس بما انطوت عليه دخائلهم ؟! فتأتي صورة المشبه به لتوضح العلة وتبرهن الحجة : { ومن يكن الشيطان لـه قريناً فساء قريناً } . فهو المسيطر عليهم (وداعيهم إلى هذه المعصية

١ـ انظر (البلاغة فنونها وأفنانها ، علم البيان) ، ص٦٩ – ٧٤ .
وكذا (علوم البلاغة) للمراغي ، ص٢١٥ .

٢ـ الآية (٣٨) .

٣ـ في الآية السابقة للموضع : **{ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ... }** . الآية (٣٧) .

٤ـ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص٥٣ .

المؤدية إلى النار)[١] . فشبه حال من ينفقون رئاء الناس وهم يعلمون أنهم في تخبط وخسران بحال من يقارنه الشيطان ويملي عليه منهج السوء ويجره إلى الجحيم .

ومن قوله تعالى :

{ وإن خفتم ألاّ تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألاّ تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألاّ تعولوا }[٢] .

قال الزمخشري : (لما نزلت الآية في اليتامى وما في أكل أموالهم من الحوب الكبير خاف الأولياء أن يلحقهم الحوب بترك الإقساط في حقوق اليتامى وأخذوا يتحرّجون من ولايتهم وكان الرجل منهم ربما كان تحته العشر من الزوجات والثمان والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم إن خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرّجتم منها فخافوا أيضاً ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لأن من تحرّج من ذنب أو تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرّج ولا تائب لأنه إنما وجب أن يتحرّج من الذنب ويُتاب عنه لقبحه والقبح قائم في كل ذنب)[٣] .

فقرن سبحانه وتعالى بين الذنبين بهذا التشبيه الضمني فالمشبه ظلم الزوجات بكثرة العدد والمشبه به ظلم اليتامى بأكل أموالهم ووجه الشبه الجامع بين الطرفين الظلم في كلٍ والغرض البلاغي من التشبيه التشديد في النهي عن ظلم النساء لأنه قرن بينه وبين ظلم نهي عنه مراراً واسماه حوباً كبيراً .

وقد تكرر الاقتران بينهما كما في قوله تعالى :

١ـ انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٥ ، ص٣٠ .

٢ـ الآية (٣) .

٣ ـ الكشاف : ج١ ص٢٤٤ .

{ ويســـتفتونَكَ فـــي النساءِ قُلِ اللهُ يفتيكم فيهنَّ وما يُتلى عليكُم في الكـــتابِ فـــي يتامى النساءِ اللاتي لا تؤتونَهُنَّ ما كُتِبَ لهُنَّ وترغبونَ أن تـــنكحوهُنَّ والمستضـــعفينَ مـــنَ الولدانِ وأنْ تقوموا لليتامى بالقسطِ وما تفعلوا من خيرٍ فإنَّ اللهَ كانَ به عليماً }[1] .

بل لعل هذه الآية أحسن تفسير للآية السابقة ، يؤكد ذلك القول الكريم { وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء } .

---

١ ـــ الآية (١٢٧) .

المطلب الثالث : التشبيه التمثيلي .

اختلف البلاغيون في تحديده وذهبوا فيه مذاهب شتى منها :

١ــ مذهب الإمام عبد القاهر الجرجاني : يرى أنه ما كان وجه الشبه فيه صورة عقلية تحتاج إلى تأول سواء كان مفرداً أو مركباً[١] .

٢ــ أما مذهب السكاكي : فقد اتفق مع الشيخ في كونه معتمداً على الصورة العقلية التي لا تحصل إلا بالتأول ولكنه قيده بكون وجه الشبه صورة مركبة منتزعة من متعدد[٢] .

٣ــ أما ما ذهب إليه الخطيب وهو رأي الجمهور أيضاً فهو أن التشبيه التمثيلي : (ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد ، محسوسة كانت الصورة أم معقولة)[٣] .

ومما جاء منه على مذهب الجرجاني قوله تعالى :

{ إنَّ اللهَ لا يظلمُ مثقالَ ذرةٍ وإنْ تكُ حسنةً يضاعِفْها ويؤتِ مِنْ لدُنْهُ أجراً عظيماً }[٤] .

موضع الصورة قوله تعالى : (إن الله لا يظلم مثقال ذرة) .

أي أن الله لا يظلم ظلماً كمقدار ذرة مبالغة في نفي الظلم عنه سبحانه مهما تضاءل وزنه وقل ، وقد أثبتت الصورة نفي الظلم عنه تعالى بتمثيله بشيءٍ حسي يعرفه المخاطبون بالقرآن ، فهم يتصورون الذرة بالهباء كما

---

١ ــ انظر (أسرار البلاغة) ، ص٩٠ .

٢ــ انظر (البلاغة فنونها وأفنانها – علم البيان) ، ج٢ ، ص٦٤ .

وكذا (كشف الغموض) ، ص١٧٢ .

٣ ــ انظر (الإيضاح) ، ص ٢٢٩ وما بعدها .

٤ ــ الآية (٤٠) .

ورد (عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أدخل يده في التراب ثم نفخ فيه فقال : كل واحدة من هؤلاء ذرة)[١] .

الظلم وهو المشبه شيء معنوي لا يقاس بالموازين في دنيا المخاطبين بالقرآن الكريم ؛ ولكن الجمع بينه وبين الذرة وهي أقل شيء مما يدخل في وهم البشر[٢] أخرج المعنى العقلي بصورة حسية والجامع بين الطرفين الأثر النفسي الذي يتركه نقص الوزن وإن قل لأن النفس جبلت على الشح في حقوقها[٣] ، وأي نقص في تلك الحقوق يؤلمها ويجعلها في اضطراب وهذا يشير إلى (أن نقص الثواب وزيادة العقاب لا يقعان منه تعالى أصلاً وفي ذلك حث على الإيمان والإنفاق بل إرشاد إلى أن كل ما أمر به مما ينبغي أن يفعل وكل ما نهى عنه مما ينبغي أن يجتنب)[٤] .

ومن هذا التشبيه التمثيلي ما جاء على رأي الخطيب والجمهور كقوله تعالى :

{ يا أيُّها الذينَ آمنوا إذا ضربتُم في سبيلِ اللهِ فتبيَّنوا ولا تقولوا لمَنْ ألقى إليكمُ السلام لستَ مؤمناً تبتغونَ عرَضَ الحياةِ الدُّنيا فعندَ اللهِ مغانمُ كثيرةٌ كذلكَ كنتُم مِنْ قبلُ فمنَّ اللهُ عليكُم فتبينوا إنَّ اللهَ كانَ بما تعملونَ خبيراً }[٥] .

---

١ ــ انظر (إرشاد العقل السليم) ، ج١ ، ص٥٢١ .

٢ ــ انظر (روح المعاني) م٢ ، ج٥ ، ص٣١ .

٣ ــ إشارة إلى قوله تعالى :

{ وأحضرت الأنفس الشح } .

جزء من الآية (١٢٨) من سورة النساء .

٤ ــ انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٥ ، ص٣٢ .

٥ ــ الآية (٩٤) .

شبه المولى حال المقتول بعد إسلامه على يد نفر من الصحابة بحال إسلام المخاطبين أو القاتلين أول عهدهم بالإسلام[١] .

ووجـــه الشبه صورة منتزعه من هيئة دخولهم في الإسلام وتدرجهم فيـــه وعصـــمة دمائهم به . وضحها أبو حيان بقوله : (قال ابن جبير[*] : معـــناه كنتم مستخفين من قومكم بإسلامكم خائفين منهم على أنفسكم فمن الله عليكم بإعزاز دينكم فهم الآن كذلك ، كل منهم خائف في قومه متربص أن يصل إليكم فلم يصلح إذا وصل أن تقتلوه حتى تتبينوا الأمر)[٢] .وأكد ذلك الزمخشري مع زيادة في توضيح الصورة بقوله : (" كذلك كنتم من قبل " أول ما دخلتم في الإسلام سمعت من أفواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم وأموالكـــم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لألسنتكم " فمن الله عليكم " بالاستقامة والاشتهار بالإيمان والتقدم وإن صرتم أعلاماً فعليكم أن تفعـــلوا بالداخـــلين في الإسلام كما فعل بكم وأن تعتبروا ظاهر الإسلام في المكافة ولا تقولوا إن تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية فتجعلوه سلماً إلى استباحة دمه وماله وقد حرمهما الله)[٣] .

فالمشـــبه حال الداخلين في الإسلام ولم يعلم من إسلامهم إلاّ الشهادة مع الخوف والحذر من ذويهم .

---

١ ــ روى ابن عباس سبب نزول هذه الآية فقال : (مر رجل من بني سليم بنفر من أصحاب النبي صـــلى الله عليه وسلم يرعى غنما له فسلم عليهم فقالوا لا يسلم علينا إلاّ ليتعوذ منا فعملوا إليه فقتلوه وأتو بغنمه النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية) .

انظر تفسير ابن كثير ج١ ص٥٣٩ .

* العلامة أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير بن محمد بن جبير الكناني البلنسي الشاطبي الكاتب البـــليغ ، ولد سنة أربعين وخمسمائة للهجرة ، برع في الآداب والنظم والنثر ، مات سنة أربع عشرة وستمائة للهجرة .

انظر (تهذيب سير أعلام النبلاء) ، ج٣ ، ص١٧٦ .

٢ ــ انظر البحر المحيط ج٣ ص٣٢٩ .

٣ ــ انظر الكشاف ج١ ص٢٩١ .

والمشبه به حال إسلام الراسخين فيه عند أول عهدهم به ، وقد جرى هـذا التشـبيه التمثيـلي على انتزاع وجه الشبه من صورة متعددة الزوايا والمواقـف ، بعضـها حسـي مـثل النطق بالشهادة أو التعبير عنها بإلقاء السـلام ، وبعضها عقلي مثل حصول الإيمان في القلب والتصديق بما جاء بـه النبي صلى الله عليه وسلم . تضافرت هذه الملامح جميعها للربط بين طـرفي التشـبيه وإخراج المعنى بأشد ما يكون عليه التنديم والتحسير على ذلـك التصـرف غير المتوقع من المسلمين وذلك لحثهم على توخي الحذر الشديد في مثل هذه المواقف الحاسمة .

المبحث الثاني

المجاز

المطلب الأول : المجاز اللغوي .

أولاً : المجاز المرسل .

ثانياً : الاستعارة .

المطلب الثاني : المجاز العقلي .

المبحث الثاني : المجاز .

مدخل :

قبل الخوض فيه والتطبيق بالنص القرآني من سورة النساء عليه نقف قليلاً للرد على شبهة أثارها بعض العلماء : وهي إنكارهم وقوع المجاز في القــرآن الكريم ، وحجتهم أن المجاز أخو الكذب والقرآن منزه عنه ، وأن المتكــلم لا يعدل إليه إلاّ إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير وذلك محال على الله تعالى[١] .

وقــد كفانــا الــرد عليهم الإمام السيوطي حيث قال : (وهذه شبهة باطــلة ، ولــو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحسن ، فقد اتفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ، ولو وجب خلو القرآن من المجاز وجب خلوه من الحذف والتوكيد وتثنية القصص وغيرها)[٢] .

والحــق أن لــلمجاز قيمة بلاغية عظمى تساهم في بلاغة النصوص بعامة وإعجاز القرآن بشكل خاص لأنه يحقق أغراضاً جمة : منها المبالغة والــتأكيد والإيجــاز وإضــافة صور جديدة للفعل وهذا من شأنه أن يثري التراكيب الأدبية ، وينوع الصور في الجملة سواءً مع الفعل أو ما في معناه فتعطي كل واحدة منها من المعاني والأغراض ما لا تعطيه مع غيرها[٣] .

وقــد أشار الشيخ عبد القاهر الجرجاني إلى هذه المعاني والأغراض موضــحاً أن المجاز العقلي بشكل خاص لا يقدر عليه إلاّ الأديب المبدع ، يقــول : (هذا الضرب المجازي على حدته كنز من كنوز البلاغة ، ومادة

---

١ ـــ انظر (فلسفة المجاز بين البلاغة العربية والفكر الحديث) د/لطفي عبد البديع ، ص٣٠ ، من مطبوعات النادي الأدبي بجدة ، الطبعة الثانية .

٢ ـــ انظر (الإتقان) ، ج٢ ، ص٤٣ .

٣ـــ انظــر (مــن أســرار التراكيب البلاغية) د/السيد عبد الفتاح حجاب ، ص٣٤-٤١ ، المكتبة التوفيقية ، الطبعة الأولى ، بتصرف .

الشـــاعر المفلق والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان ، والاتساع في طرق الـــبيان وأن يجيء بالكلام مطبوعاً مصنوعاً ، وأن يضعه بعيد المرام قريباً مـــن الأفهـــام ... ولا يغـــرّنك من أمره أنك ترى الرجل يقول : " أتى بي الشـــوق إلى لقائك ، وسار الحنين إلى رؤيتك ، وأقدمني بلدك حق لي على إنسان " وأشباه ذلك مما تجده لسعته وشهرته يجري مجرى الحقيقة التي لا يشكل أمرها فليس هو كذلك أبداً ، بل يدق ويلطف حتى يمتنع مثله إلاّ على الشاعر المفلق ، والكاتب البليغ ، وحتى يأتيك بالبدعة لم تعرفها ، والنادرة تأنق لها)[١] .

١ــ انظر (دلائل الإعجاز) ، ص٢٩٥ .

وللدكـــتور عبد العزيز أبو السريع دراستان : مخطوطة بعنوان (المجاز اللغوي في البلاغة العـــربية) نال بها درجة الدكتوراه ، ومطبوعة بعنوان (المجاز العقلي في البلاغة العربية) نال بها درجة الماجستير ، وكلاهما من جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة بمصر .

المطلب الأول : المجاز اللغوي .

حيث إن المشهور في دراسة هذا المجاز عند البلاغيين أن يقسموه بحسب العلاقة قسمين : مجاز مرسل ، واستعارة ، فإننا سنتتبع منهجهم ، وندرسه مقسماً إلى هذين القسمين في سورتنا المباركة .

أولاً : المجاز المرسل[١] .

ومن علاقاته الكثيرة :

١ ــ المسببية :

وذلك حينما يكون اللفظ المذكور مسبباً عن المعنى المراد ويكون المعنى المراد سبباً في اللفظ المذكور .

ومن ذلك قوله تعالى :

{ إنَّ الذينَ يأكلونَ أموالَ اليتامى ظلماً إنَّما يأكلونَ في بطونِهِمْ ناراً وسيصلَونَ سعيراً }[٢] .

قال الزمخشري : (ومعنى يأكلون ناراً ، ما يجر إلى النار وكأنه نار في الحقيقة)[٣] . فالنار مسببة عما أكلوه ظلماً وعدواناً فأطلق النار

١ــ المجاز المرسل : هو اللفظ المستعمل في غير معناه الأصلي لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي . كما في قولك : " رعت الإبل الغيث " ، ففي الغيث مجاز مرسل لأنه كلمة نقلت من معناها الأصلي ، وهو الماء إلى معنى آخر وهو النبات ، بقرينة الرعي ، فإن الغيث لا يرعى ، وليست العلاقة بينهما المشابهة ، وإنما العلاقة بينهما هي أن أحدهما سبب في الآخر ، فالغيث سبب في النبات .

انظر (الإيضاح في علوم البلاغة) ، ص ٢٤٧ .

وكذا انظر (علم البيان بين النظرية والتطبيق) للدكتور محمد لطفي عبد التواب ، ص١٦٨ . والسبب في تسميته مرسلاً أنه لم يقيد بعلاقة واحدة ، وإنما له علاقات شتى .

٢ــ الآية (١٠) .

٣ــ انظر (الكشاف) ، ج١ ، ص٢٥١ .

وكذا تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٤٨٨ .

مجـــازاً مرسلاً لأن المعنى : حين يأكلون أموال اليتامى قد أكلوا ما يفضي بهـــم إلى جهـــنم[١] ، فهـــي مجاز مرسل من ذكر المسبب وإرادة السبب[٢] وهدفه البلاغي مما لا يخفى على أحد هو التنفير من أكل مال اليتامى ظلماً حماية لليتيم من المعتدين عليه وعلى ماله .

ومنه قوله تعالى :

{ مَـــنْ يُطِـــعِ الرسولَ فقدْ أطاعَ اللهَ ومَنْ تولّى فما أرسلناكَ عليهِم حفيظاً }[٣] .

(الـــتولي حقيقـــته الانصراف والإدبار ... واستعمل هنا مجازاً في العصـــيان وعـــدم الإصغاء إلى الدعوة)[٤] . ذكر المسبب وهو التولي بدل السبب وهو العصيان ولو لم يكونوا عصاة لما تولوا .

ونكتـــته الـــبلاغية ما في لفظة (تولّى) من تصوير الهيئة الحركية لحـــال عصـــيانهم بأوضح ما يكون عليه العصيان وعدم المبالاة مع الأنفة والاستهتار .

ومنه قوله تعالى :

{ ويقولـــونَ طاعةٌ فإذا برزوا منْ عندِكَ بيّتَ طائفةٌ منهُم غيرَ الذي تقـــولُ واللهُ يكـــتبُ مـــا يبيّتونَ فأعرِضْ عنهُم وتوكَّلْ على اللهِ وكفى باللهِ وكيلاً }[٥] .

المجـــاز المرســـل فـــي " برزوا " أي بمعنى : خرجوا ، وخروجهم يتسبب عنه بروزهم ، أو بمعنى آخر ظهورهم ، ولذلك أطلق المسبب بدل الســـبب ، ونكتة اختيار البروز بدل الخروج تكمن في دقة دلالة الكلمة على

١ـــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٤ ، ص٢٥٤ .
وكذا (البحر المحيط) ، ج٣ ، ص١٧٩ .
٢ـــ انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج ، ص٢١٥ .
٣ـــ الآية (٨٠) .
٤ـــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص١٣٥ .
٥ـــ الآية (٨١) .

الأحـــوال النفســية لهؤلاء المنافقين ، وكأن المولى يدلل بها على افتضاح حـــالهم ؛ فهـــو بارز ظاهر للعيان على الرغم من محاولة إخفاء نفاقهم عن الجميع .

ومنه قوله تعالى :

{ يستخفونَ منَ الناسِ ولا يستخفونَ منَ اللهِ وهوَ معهُمْ إذْ يبيِّتون ما لا يرضى منَ القولِ وكانَ اللهُ بما يعملونَ محيطاً }[١] .

الاســـتخفاء مـــن الله مستعمل مجازاً في الحياة إذ لا يعتقد أحد يؤمن بـــالله أنه يستطيع أن يستخفي منه[٢] ، ولكن لما كان نفي الاستحياء يتسبب عـــنه نفي الاستخفاء استعمل المسبب وأريد السبب . ومناسبة اختيار اللفظة التنـــبيه على غفلة المنافقين وسخف عقولهم لإقدامهم على عمل غير ممكن قطعاً ، ويرشح هذا المعنى قوله تعالى : { وهو معهم } .

٢ ـــ اللزوم :

وهي التعبير عن المعنى بما يكون ملازماً له ، ومنه قوله تعالى :

{ وإذا قيلَ لهُمْ تعالَوا إلى ما أنزلَ اللهُ وإلى الرسولِ رأيتَ المنافقينَ يصدُّونَ عنكَ صدوداً }[٣] .

والمجـــاز المرســـل في (تعالوا) ، إذ استخدمت مكان " حكِّموا " ، فـــليس ثمـــة حضـــور وإتيان حقيقي ، وإنما هو مجاز في تحكيم كتاب الله وتحكيم الرسول[٤] . وهذا المجاز يحمل تصويراً رائعاً لعلو منزلة المتحاكم إلى الله ورسوله ، وبالمقابل مهما علا وارتفع فلن يصل إلى منزلة كلام الله

١ـــ الآية (١٠٨)

٢ـــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص١٩٤ .

٣ـــ الآية (٦١) .

٤ـــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص١٠٦ .

بدليـــل كلمة (أنزل) ، ولكنه في منزلة عالية يتلقى ما أنزل إليه من مقام ربه العلي العظيم .

ومثله قوله تعالى :

{ أولــئكَ الذينَ يعلمُ اللهُ ما في قلوبِهِمْ فأعرضْ عنهُمْ وعِظْهُمْ وقُلْ لهُمْ في أنفسِهِمْ قولاً بليغاً }[١] .

المجـــاز في (فأعرض) لأن حقيقته الرفض وعدم الالتفات ، فعبر عـــنه بـــلازم معناه ، فالذي لا يلتفت إلى الشيء فهو معرض عنه . ووجه اختيار الإعراض التصوير الحركي فيها بما ينبئ عن تبكيتهم .

ومنه كذلك قوله تعالى :

{ ومَنْ لم يستطِعْ منكم طولاً أن ينكِحَ المحصناتِ المؤمناتِ فمنْ ما ملكتْ أيمانُكُمْ مِنْ فتياتِكُمُ المؤمناتِ ... }[٢] .

المجـــاز في (فتياتكم) (جمع فتاة وهي في الأصل الشابة كالفتى ، والمـــراد بهـــا هنا الأمة أطلق عليها الفتاة كما أطلق عليها الجارية . وعلى العـــبد الغـــلام ، وهو مجاز بعلاقة اللزوم لأن العبد والأمة يعاملان معاملة الصغير في الخدمة وقلة المبالاة)[٣] . ومناسبة اختيار اللفظة الترغيب في الزواج منهن بما يجذب انتباه الرجال إليهن .

ومنه قوله تعالى :

{ يـــا أيُّها الذينَ آمنوا لا تأكلوا أموالَكُمْ بينَكُمْ بالباطلِ إلاّ أنَ تكونَ تجارةً عن تراضٍ منكُمْ ... }[٤] .

١ـ الآية (٦٣) .

٢ـ جزء من الآية (٢٥) .

٣ـ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص١٤ .

٤ـ جزء من الآية (٢٩) .

عبر عن أخذ المال بالأكل لأن الأكل من أغلب مقاصده وألزمها[١] .
وفيه فناء المادة المأكولة وإخفائها عن العيون نهائياً كما أنه إلى بوار .

٣ـ الجزئية :

وتكـــون كذلك إذا كان اللفظ المستعمل جزءاً من المعنى المراد[٢] .
ومنه في سورة النساء قوله تعالى :

{ فتحريرُ رقبةٍ مؤمنةٍ ... }[٣] .

عبر عن تحرير الإنسان كاملاً بجزء منه وهي الرقبة ، ولا شك أن الرقبة أهم جزء فيه وبدونها لا تكون حياة لهذا الإنسان .

ومثله قوله تعالى :

{ ومَـــن أحســـنُ ديناً ممَّن أسلمَ وجهَهُ للهِ وهوَ محسنٌ واتَّبعَ ملَّةَ إبراهيمَ حنيفاً واتَّخذَ اللهُ إبراهيمَ خليلاً }[٤] .

والمجاز المرسل[٥] في قوله تعالى : { أسلم وجهه لله } ، فذُكِرَ الجزء وأُرِيدَ الكل ، فالمؤمن يسلم كل أعضائه وجوارحه لله . ووجه اختيار اللفظة أن الوجـــه أشـــرف الأعضاء وفيه ما كان به الإنسان إنساناً[٦] وفي القرآن الكريم :

{ فقُلْ أسلمْتُ وجْهِيَ للهِ ومَنِ اتبعنِ }[٧] .

١ـ انظر (البحر المحيط) ، ج٣ ، ص٢٣١ .

٢ـ ويسمى الكل باسم الجزء إذا كان ماعداه لا يغني شيئاً مع فقده فصار كأنه الشيء كله .
انظر (الإيضاح) ، ص٢٤٨ .

٣ـ جزء من الآية (٩٢) .

٤ـ الآية (١٢٥) .

٥ـ ويصـــح فـــي هذا التعبير أن يكون كناية عن تمام الطاعة والاعتراف بالعبودية . قال ذلك ابن عاشور . انظر ، ج٥ ، ص٢١٠ .
ولا يمنع هذا أن يكون مجازاً مرسلاً علاقته الجزئية حيث عبر بالجزء وأريد الكل .

٦ـ المرجع السابق الصفحة نفسها .

٧ـ الآية (٢٠) ، آل عمران .

وقوله تعالى :

{ لنسفعاً بالناصيةِ }[١] .

٤ـ الحالية :

وهي أن يكون اللفظ المستعمل حالاً في المعنى . ومنه قوله تعالى :

{ فأمّــا الذيــنَ آمنوا باللهِ واعتصموا بهِ فسيدخِلُهُم في رحمةٍ منه وفضلٍ ويهديهِمْ إليه صراطاً مستقيماً }[٢] .

لمّــا كانت الجنة مكان الرحمة ذكر الحال (الرحمة) بدل مكانها وفيه تصوير للنعيم المقيم داخل الجنة ولا يوجد أصدق من هذه الكلمة دلالة على ذلك .

٥ـ المحلية :

فيهــا يكون اللفظ المستعمل محلاً والمعنى المراد حالاً ومن ذلك في سورة النساء قوله تعالى :

{ ولكل جعلنا موالي ... }[٣] .

(الموالي جمع مولى وهو في اللغة محل الولي ، واستخدمت للقرب وهــو محل مجازي وقرب مجازي)[٤]وذكره هنا مجاز عن الأقرباء الذين يــؤول إليهــم الميــراث[٥] ، تنــبيهاً على مكانتهم بالنسبة للمورِّث وتعليلاً لاستحقاقهم للإرث .

١ـ الآية (١٥) ، العلق .

٢ـ الآية (١٧٥) .

٣ـ جزء من الآية (٣٣) .

٤ـ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص٣٣ .

٥ـ انظر (الدر المصون) للسمين الحلبي ، ج٢ ، ص٣٣ .

٦ــ اعتبار ما كان :

فيهـــا يسمى الشيء المستعمل باسم ما كان عليه من قبل ، ألا ترى إلى قوله تعالى :

{ وآتوا اليتامى أموالهم }[١] .

حيث سُمِّيَ البالغون الذين أُنِس منهم الرشد (يتامى) ، ومعلوم أن اليتيم لا يسلم إليه ماله لعدم رشده ، ولكن الذي سوغ المجاز هنا أنهم كانوا كذلـــك في الماضي . وثمة ملحظ آخر في تسميتهم يتامى مع بلوغهم ، وهو التنـــبيه والحث على المبادرة في تسليمهم أموالهم عند أول بادرة رشد خوفاً مـــن الـــتهاون في ذلك . وكان هذا سبباً من أسباب تنكير لفظة (رشداً) ، وهو ما سبقت الإشارة إليه من قبل في هذه الدراسة .

٧ــ اعتبار ما سيكون (علاقة المآل) :

وفـــي هذه العلاقة يسمى الشيء بما سيؤول إليه مستقبلاً . ومثاله في سورتنا قوله تعالى :

{ ومَنْ لمْ يستطِعْ منكُمْ طولاً أنْ ينكِحَ المُحْصَنَاتِ المؤمناتِ فمِنْ ما ملكَتْ أيمانُكُمْ مِنْ فتياتِكُمُ المؤمناتِ ... }[٢] .

فـــإطلاق المحصـــنات على النساء اللاتي يتزوجهن الرجال إطلاق مجـــازي بعلاقـــة المـــآل أي اللائي يصرن محصنات بذلك النكاح إن كن أبكـــاراً[٣] . واخـــتيار تسميتهن بذلك تكريماً لهن ورفعة ، وتنويهاً على ما يتوقع من المرأة المسلمة دائماً .

١ــ جزء من الآية (٢) .

٢ــ جزء من الآية (٢٥) .

٣ــ انظر (التحرير والتنوير) للطاهر بن عاشور ، ج٥ ، ص١٣ .

وقـــال : قد يكون إطلاق المحصنات باعتبار ما كان إن أريد بالوصف الثيبات . وأعتقد أن هذه التسمية تسمية شرعية لتفنيد الأحكام الخاصة بكل نوع . أما في اللغة فالمحصنات العفيفات .

انظر (لسان العرب) ، مادة (حصن) ، وهي بالمسلمة أولى وأقرب .

٨ــ الآلية :

هي ذكر الشيء بآلته ، ومثالها في هذه السورة قوله تعالى :

{ يــا أيُّهــا الذيــنَ آمــنوا خــذوا حِذْرَكُمْ فانفِروا ثُباتٍ أو انفِروا جميعاً }[١]

المجــاز في { خذوا حذركم } (كأنه جعل الحذر آلته التي يتقي بها ويعتصم ، والمعنى : احترزوا من العدو)[٢] ، وهذا هو الإسلام يطلب أمة يقظة تلم بأمور دينها ودنياها .

٩ــ الملابسة .

ومنه قوله تعالى :

{ مــن يعصِ اللهَ ورسولَهُ ويتعدَّ حدودَهُ يُدخِلْهُ ناراً خالداً فيها ولهُ عذابٌ مهينٌ }[٣] .

المجــاز فــي : { يدخله ناراً } ، حيث إن النار ليس مكان الدخول ، إنمــا المكــان هــو جهــنم التي تتقد ناراً ، ولكن ذكرت جهنم بما يلابسها ويجاورهــا ويعج بداخلها ؛ لزيادة التهويل ، فالداخل لا يرى شيئاً منها إلا لهــب الــنار وكأنــه يدخل إلى النار لا لشيء غيرها . أعاذنا الله من هذا المصير .

١ــ الآية (٧١) .

٢ــ انظر (البحر المحيط) ، ج٣ ، ص٢٩٠ .

وكذا (إرشاد العقل السليم) ، ج١ ، ص٥٤٧ .

٣ــ الآية (١٤) .

ثانياً : الاستعارة[١] .

ولها عدة أقسام ، منها :

١ـــ الاستعارة التصريحية الأصلية :

وهـــي ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس حقيقة أو تأويلاً أو اسم معنى . ومن أمثلة هذا اللون في سورة النساء قوله تعالى :

{ وآتــوا النساءَ صَدُقاتِهِنَّ نِحلَةً فإنْ طِبنَ لكُمْ عن شيءٍ منهُ نفساً فكلوهُ هنيئاً مريئاً }[٢] .

المجـــاز الاســـتعاري فـــي (صدقاتهن) ، وهي استعارة تصريحية أصـــلية مفـــردة ، والصـــدقات المذكـــورة بدل المهور مفردها (صَدُقَة) وهـــي مصـــدر ، فالمستعار : لفظ (صدقاتهن) ، والمستعار منه : معنى الصدقات ، والمستعار له : المهور . شبه المولى سبحانه المهور بالصدقات بجـــامع طيـــب النفس ، ويؤكد هذا ترشيح الاستعارة كلمة (نِحلة) ؛ لأن النحلة هي الهدية التي تعطى عن طيب نفس[٣] ، واختيارها بدل المهور لما في مادة الكلمة من معان سامية في دلالتها اللغوية ، فإن كانت من الصدق[٤] فـــليس ثمة شيء أحوج منه في هذا العقد الأزلي ليكون الصدق دليلاً حسياً

١ـــ الاســـتعارة فـــي اللغة : رفع الشيء وتحويله من مكان إلى آخر لأن معنى أعار : رفع وحول ، يقال : استعار فلان سهماً من كنانته رفعه وحوله منها إلى يده .

انظر (لسان العرب) ، مادة (عير) .

أما في الاصطلاح : فهي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين ما وضع له وما استعمل فيه ، مع قرينة مانعة من إرادة ما وضع له . وإن أردت الإيجاز فقل : الاستعارة هي مجاز علاقته المشابهة . انظر (الإيضاح) ، ص٢٥٤ .

وكذا (علم البيان بين النظرية والتطبيق) للدكتور محمد لطفي عبد التواب ، ص١٣٤ .

٢ـــ الآية (٤) .

٣ـــ انظر (الكشاف) ، ج١ ، ص٢٤٥ .

٤ـــ انظر (لسان العرب) ، مادة (صدق) .

وكذا (المفردات) للراغب ، المادة نفسها .

عـــلى صـــدق نية الزوج في الارتباط الدائم الذي هو شرط في صحة عقد النكاح[١] .

وإن كـــانت الـــلفظة مـــن الصدقة[٢] ، فتدل أيضاً على كرم النفس وتجافيهـــا عن الموهوب طيبة راضية ، وتقديم هذه النوايا الطيبة بين يدي العشـــرة ممـــا يوثق الصلات الروحية بين الزوجين ، ولذا لم يسمه المولى بهذه التسمية في نكاح الإماء ، اسمع معي قوله تعالى :

{ ومَنْ لمْ يستطِعْ منكُمْ طَولاً أنْ ينكحَ المحصنات المؤمنات فمن ما مـــلكتْ أيمانُكُمْ من فتياتكُمْ المؤمنات واللهُ أعلمُ بإيمانكُمْ بعضُكُمْ مِنْ بعضٍ فـــانكحوهُنَّ بـــإذنِ أهـــلِهِنَّ وآتوهُـــنَّ أجورَهُنَّ بالمعروفِ محصَنات غيرَ مسافحات ولا متخذات أخدانٍ ... }[٣] .

نجد أن المهور[٤] المقدمة هنا للإماء سميت أجوراً ؛ لما بينَ العقدينِ وما يترتب عليهما من مفارقات شتى[٥] .

ومنه قوله تعالى :

{ وقولِهِمْ قلوبُنا غُلْفٌ بلْ طبعَ اللهُ عليها بكفرِهِمْ ... }[٦] .

١ـــ انظـــر (زاد المســـتقنع في الفقه) لشرف الدين موسى المقدسي ، ص١١٣ ، دار الباز ، مكة ، السعودية ، الطبعة بدون ، ١٣٩٨هـــ – ١٩٧٨ .

٢ـــ انظر (لسان العرب) ، مادة (صدق) .

٣ـــ جزء من الآية (٢٥) .

٤ـــ راجع أي تفسير ، وعلى سبيل المثال : (إرشاد العقل السليم) لأبي السعود ، ج١ ، ص٥٠٨ . أو (الكشاف) ، ج١ ، ص٢٦٢ .

٥ـــ مـــن هـــذه المفارقات : أن نفقة الأمة على أهلها ، وكذا جواز العزل معهن لتفادي رق الأبناء ، وألاّ يقسم لها ، انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص١٥ .

وكذا (المحرر الوجيز) ، ج٢ ، ص٣٧ .

وذكر الزمخشري عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : " الحرائر صلاح البيت والإماء هلاك البيت " . انظر (الكشاف) ، ج١ ، ص٢٦٣ .

٦ـــ جزء من الآية (١٥٥) .

والتجوز في لفظ (غلف) في القول الكريم ، قيل : هو جمع أغْلَفَ ، كقولهم : سيفٌ أغْلَفُ أي : هو في غلاف[١] . فإن غلف مستعار من غلاف السيف بمعنى : جرابه أو وعائه إلى غلاف القلب بمعنى : وعائه أيضاً، وهذا من سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ، بجامع عدم التأثر بما حولها[٢] .

ومن هذه الاستعارة التصريحية المفردة قوله تعالى :

{ تلكَ حدودُ اللهِ ومَنْ يطِعِ اللهَ ورسولَهُ يدخِلْهُ جناتٍ تجري مِنْ تحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها وذلكَ الفوزُ العظيمُ }[٣] .

الاستعارة في (حدود) ، ونسبتها إلى الله تعني شرائعه[٤] ، استعيرت كلمة حدود للشرائع بجامع معنى الفصل ، فشرائع الله فاصلة بين الحق والباطل وبين الكفر والإيمان ، والحد : الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر[٥] . قال أبو حيان فيها : (سميت حدوداً لأنها مؤقّتة للمكلفين لا يجوز لهم أن يتعدوها إلى غيرها ، قال ابن مسعود : حدود الله طاعته . وقال السدي : شروطه . وقيل : فرائضه ، وقيل : سننه ، وهذه أقوال متقاربة)[٦] . وتصوير الشرائع بهذه الصورة الحسية تأكيد على وجوب الالتزام بها والوقوف عندها وعدم تخطيها في المجال التطبيقي

١ــ انظر (المفردات) للراغب الأصفهاني ، مادة (غلف) .

٢ــ وقيل : هي جمع غِلافٍ ، والأصل : غُلُفٌ بضم اللام ، وقد قرئ به نحو : كُتُب . أي : أوعية للعلم تنبيهاً أنّا لا نحتاج أن نتعلم منك ، فلنا غنية بما عندنا .

انظر (المفردات) ، مادة (غلف) .

٣ــ الآية (١٣) .

٤ــ انظر (البحر المحيط) ، ج٣ ، ص١٩١ .

وكذا (معاني القرآن وإعرابه) للزجاج ،ج١ ، ص٣٠٨ . تحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

٥ــ انظر (المفردات) للراغب الأصفهاني ، مادة (حدّ) .

٦ــ انظر (البحر المحيط) ، ج٣ ، ص١٩١ ، ١٩٢ .

لأمور الدين والدنيا ؛ لما في كلمة حدود من معنى المنعة والصيانة والحرمة والحراسة ، وغير ذلك كثير .

ومن هذا القبيل مع تعدد الاستعارات المفردة في التركيب الواحد قوله تعالى :

{ إنَّ الذينَ كفروا وصدُّوا عنْ سبيلِ اللهِ قدْ ضلوا ضلالاً بعيداً }[١] .

في (ضلوا) الاستعارة الأولى ؛ لأن الضلال المقصود في الآية الكريمة هو الكفر بدليل أولها ، شبه الكفر بالضلال ؛ لأنه ضياع الإيمان الذي هو طريق الخير والسعادة . قال ابن عاشور : (فإطلاق الضلال على الكفر استعارة مبنية على استعارة الطريق المستقيم للإيمان)[٢] وهو معنى ثابت أكدته كثير من الآيات أولها قوله تعالى :

{ اهدنا الصراط المستقيم }[٣] .

ثم يزداد المعنى عمقاً باستعارة جديدة في (بعيداً) رشحت الأولى . قال ابن عاشور أيضاً : (ووصف الضلال بالبعيد مع أن البعد من صفات المسافات هو استعارة البعد لشدة الضلال وكماله في نوعه ، بحيث لا يدرك مقداره ، وهو تشبيه شائع في كلامهم : أن يشبهوا بلوغ الكمال بما يدل على المسافات والنهايات ، كقولهم : بعيد الغور ، وبعيد القعر ولا نهاية له ولا غاية له ، ورجل بعيد الهمة وبعيد المرمى ...)[٤] .

فتضافرت هذه الاستعارات في إخراج صورة الضياع الذي يعاني منه الكافر نفسياً وروحياً وعقلياً ، فشأنه كله إلى بوار .

ومن هذا القبيل قوله تعالى :

١ــ الآية (١٦٧) .

ومثلها قوله تعالى : **{ ومنْ يشركْ باللهِ فقدْ ضلَّ ضلالاً بعيداً }** ، الآية (١١٦) .

٢ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٦ ، ص٤٦ .

٣ــ الآية (٤) ، الفاتحة .

٤ــ انظر (التحرير والتنوير) ، الصفحة نفسها .

{ ومَنْ لمْ يستطِعْ منكُمْ طَولاً أن ينكحَ المحصناتِ المؤمناتِ فمِنْ ما ملكَتْ أيمانُكم ... }[١] .

الاســتعارة التصــريحية الأصــلية في (طولاً) . قال ابن عباس : (الطــول هــنا : السعة في المال)[٢] ، استعير الطول للسعة بجامع القدرة والتمكن من الشيء ، فهو مصدر (طال) المجازي[٣] ، فأخرج هذا الأمر المعنوي في صورة حسية زيادة في تأكيد المعنى .

٢ــ الاستعارة التصريحية التبعية[٤] **:**

وأمثــلة هذا النوع من الاستعارة في سورة النساء كثيرة جداً نختار منها قوله تعالى :

{ ألــمْ تــرَ إلى الذيــنَ أوتــوا نصيباً منَ الكتابِ يشترونَ الضلالةَ ويريدونَ أنْ تضلُّوا السبيلَ }[٥] .

قــال الزمخشــري : (يشترون الضلالة : يستبدلونها بالهدى ، وهو الــبقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله – صــلى الله عليه وآله وسلم – وإنه هو النبي العربي المبشر به في التوراة والإنجيل)[٦] .

شبه فعلهم هذا بالاشتراء بجامع الرغبة مبالغة في وضوح إصرارهم على الضلالة وتعمدهم اختيارها مع علمهم التام بنقيضها (وفيه من التسجيل

١ــ جزء من الآية (٢٥) .

٢ــ انظر (المحرر الوجيز) ، ج٢ ، ص٣٧ .

٣ــ انظر (التحري والتنوير) ، ج٥ ، ص١٢ .

٤ــ الاســتعارة التــبعية تكون في الفعل والمشتق والحرف ، ولذا سميت تبعية ، حيث إن التجوز لا يكــون بهــا مباشــرة ، بــل في معاني مصادرها . يقول الخطيب القزويني : (التشبيه في الأفعال والصفات المشتقة منها لمعاني مصادرها وفي الحروف لمتعلقات معانيها) .

انظر (الإيضاح) ، ص٢٦٨ .

٥ــ الآية (٤٤) .

٦ــ انظر (الكشاف) ، ج١ ، ص٢٧١ .

على نهاية سخافة عقولهم وغاية ركاكة آرائهم ما لا يخفى ، حيث صورت حالهم بصورة ما لا يكاد يتعاطاه أحد ممن له أدنى تمييز)[١] . وفي التعبير بصيغة المضارع دليل واضح على استمرار رغبتهم في الضلال ولا يكتفون بذلــك بل يريدون ضلال المسلمين أيضاً . ولفظ الاشتراء من الكلمات التي تعني الضدين .

ومن ذلك في هذه السورة أيضاً قوله تعالى :

{ فــليقاتلْ فـــي سبيلِ اللهِ الذينَ يشرونَ الحياةَ الدنيا بالآخرةِ ومَنْ يقاتلْ في سبيلِ اللهِ فيُقتَلْ أو يَغلِبْ فسوفَ نؤتيهِ أجراً عظيماً }[٢] .

قـــال الألوســـي : (" يشرون " مضارع شرى ، ويكون بمعنى باع واشـــترى من الأضداد)[٣] . فإذا كان (يشرون) بمعنى يشترون فالفاعل (الذيـــن) يُقصد به المنافقون اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة أي استبدلوها بها بدافـــع شدة رغبتهم في زخرفها الزائل ولذاتها القريبة ، وقدموا الآخرة وما فيها من نعيم دائم ثمناً للحياة الدنيا ؛ لشدة غفلتهم وضلالهم .

أمـــا إن كـــان (يشرون) بمعنى يبيعون فالمقصود بالموصول بعده المؤمـــنين حيث (تركوا الدنيا واختاروا الآخرة وأمروا بالثبات على القتال وعدم الالتفات إلى تثبيط المبطئين)[٤]. وفي كلا التقديرين توجد الاستعارة ؛ لما في معنى (يشرون) من الاستبدال بجامع استبدال شيء مرغوب عنه بشيء مرغوب فيه .

ومن الاستعارة التبعية في الفعل قوله تعالى :

{ بشّرِ المنافقينَ بأنَّ لهمْ عذاباً أليماً }[٥] .

١ــ انظر (إرشاد العقل السليم) ، ج١ ، ص٥٢٧ .

٢ــ الآية (٧٤) .

٣ــ انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٥ ، ص٨١ .

٤ــ انظر المرجع السابق الصفحة نفسها .

٥ــ الآية (١٣٨) .

المجـاز الاسـتعاري في الفعل (بشر) وذلك لاقترانه بالعذاب في سـياق الآية ، فوضع (بشر) موضع (أنذر)[١] على سبيل الاستعارة[٢] التـبعية تهكماً بهم لأن السياق السابق يدل عليه . قال ابن عاشور : (ولما كان التظاهر بالإيمان ثم تعقيبه بالكفر ضرباً من التهكم بالإسلام وأهله جيء فـي جزاء عملهم بوعيد مناسب لتهكمهم بالمسلمين ، فجاء به على طريقة التهكم إذ قال { بشر المنافقين } فإن البشارة هي الخبر بما يفرح المخبَر به ، وليـس العذاب كذلك)[٣] . والجامع المسوغ لاستعارة (بشر) لـ (أنذر) أن كليهما إخبار مع فارق الغرض والطريقة .

ومنه قوله تعالى :

{ فإن تنازعتُمْ في شيءٍ فردُّوهُ إلى اللهِ ورسولهِ ... }[٤] .

أصل المنازعة الجذب باليد ، ثم استعيرت في التنازع في الكلام[٥] ، واستعير لفظ (تنازعتم) لـ (اختلفتم)[٦] لما في لفظ المستعار من صورة حسية تنفر المتنازعين منه .

ومنه قوله تعالى :

{ وإذا قيلَ لهم تعالَوا إلى ما أنزلَ اللهُ وإلى الرسولِ رأيتَ المنافقينَ يصُدُّونَ عنكَ صدوداً }[٧] .

١ـ انظر تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٥٩٦ .

وقال الزمخشري : (وضع بشر مكان أخبر تهكماً بهم) ، (الكشاف) ، ج١ ، ص٣٠٥ .

٢ـ انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٥ ، ص١٧١ .

٣ـ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص٢٣٣ .

والآيـة السابقة على موضع الدراسة قوله تعالى : **{ إنَّ الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً }** ، الآية (١٣٧) .

٤ـ جزء من الآية (٥٩) .

٥ـ انظر (البحر المحيط) ، ج٣ ، ص٢٩٤ .

٦ـ انظر تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٥٤٠ .

٧ـ الآية (٦١) .

في الآية استعارتان : الأولى استعارة الفعل (تعالوا) للفعل (تحاكموا) بجامع القصد في كليهما ، والقرينة قوله تعالى : { إلى ما أنزل الله } . والثانية في قوله تعالى (يصدون) استعير لـ (يكفرون) بجامع التولي وعدم الاستجابة . والغرض البلاغي منها تجسيم المعنى في هذه الصورة المنبئة عن شدة رغبتهم في الكفر .

ومنه قوله تعالى :

{ فـلا وربِّكَ لا يؤمنونَ حتى يُحكِّموكَ فيما شجرَ بينَهُمْ ثمَّ لا يجدوا في أنفسِهِمْ حرجاً ممّا قضيتَ ويسلِّموا تسليماً }[1] .

استعير ما اشتبك وتضايق من الشجر للمنازعة التي يدخل بها بعض الكلام في بعض استعارة المحسوس للمعقول . واستعارة أخرى في (حرجاً) حيث أطلق اسم الحرج الذي هو من وصف الشجر إذا تضايق على الأمر الذي يشق على النفس ؛ للمناسبة التي بينهما وهي الضيق[2] .

ومنه قوله تعالى :

{ وَمَنْ يعملْ سوءً أو يظلِمْ نفسَهُ ثمَّ يستغفرِ اللهَ يجدِ اللهَ غفوراً رحيماً }[3] .

استعير فعل (يجد) لـ (يتحقق) (والجامع بينهما الظفر بالشيء ومشاهدته فأطلق على تحقيق العفو المغفرة على وجه الاستعارة)[4] التبعية .

ومنه قوله تعالى :

١ـ الآية (٦٥) .

٢ـ انظر (البحر المحيط) ، ج٣ ، ص٢٩٤ .

٣ـ الآية (١١٠) .

٤ـ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص١٩٦ .

{ لكنِ اللهُ يشهدُ بما أَنزلَ إليكَ أنزَلَهُ بعلمِهِ والملائكةُ يشهدونَ وكفى باللهِ شهيداً }[١] .

فالشـــهادة في قوله تعالى : { الله يشهد } أطلقت على الإخبار بنزول القرآن من الله إطلاقاً مجازياً على وجه الاستعارة[٢] .

وهذا النوع من الاستعارة كثير جداً في سورة النساء[٣] .

ومـــثال الاستعارة التبعية التي تكون في المشتقات في سورة النساء قوله تعالى :

{ لكنِ الراسخونَ في العلمِ منهُمْ والمؤمنونَ يؤمنونَ ... }[٤] .

واللفظ المستعار (الراسخون) ، وهو اسم فاعل . (والراسخ حقيقته الـــثابت القدم في المشي لا يتزلزل ، واستعير هنا للتمكن من الوصول إلى العـــلم بحيـــث لا تغرُّهُ الشُّبَه)[٥] . كما يلمح في المعنى حركة الترقي إلى الأفضل بثبات وتمكن لما في المعنى من الثبات .

١ــ الآية (١٦٦) .

٢ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٦ ، ص٤٤ .

٣ــ مثل قوله تعالى :

{ ولا تعضُلوهُنَّ لتذهبوا ببعض ما أتيتموهن ... } ، جزء من الآية (١٩) .

اســتعير العضـــل : وهو شد اللحم وربطه بالعصب أو العضل للمنع والتضييق على النساء بجامع الشـــدة قـــال الـــراغب الأصفهاني : عضدته : شددته بالعضَل المتناول من الحيوان نحو : عصبته ، وتجوز به في كل منع شديد .انظر (المفردات) ، مادة (عضل) . ومنه قوله تعالى :

{ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثُباتٍ أو انفروا جميعاً } ، الآية (٧١) .

وقوله تعالى : **{ وليأخذوا حذرهم }** و **{ وخذوا حذركم }** ، أجزاء من الآية (١٠٢) .

شـــبه بمـــا يتحصـــن به من الآلات ، ولذا أثبت له الأخذ تخييلاً ، وإلاّ فهو أمر معنوي لا يتصف بالأخذ .

٤ــ جزء من الآية (١٦٢) .

٥ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٦ ، ص٢٨ .

ومن الاستعارة التبعية ما يكون في الحرف[١] مثل قوله تعالى :

{ ولا تؤتوا السفهاءَ أموالَكُمُ التي جعلَ اللهُ لكُمْ قِياماً وارزقوهُمْ فيها واكسوهُمْ وقولوا لهُمْ قولاً معروفاً }[٢] .

الاستعارة التبعية في قوله تعالى :{ وارزقوهم فيها } ، جعل الأموال مكان رزقهم ، قال الزمخشري : (واجعلوها مكاناً لرزقهم بأن تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من الأرباح لا من صلب المال فلا يأكلها الإنفاق)[٣] . فالتجوز إذن في مجرور الحرف وهو الضمير العائد على الأموال التي جعلها المولى ظرفاً[٤] لرزقهم تحيط بهم وتسترهم وتحميهم من ذل الحاجة . ويتضح هذا المعنى جلياً بمقارنة موضع الشاهد بقوله تعالى :

{ وإذا حضرَ القسمةَ أولوا القربى واليتامى والمساكينُ فارزقوهُمْ منْهُ وقولوا لهُمْ قولاً معروفاً }[٥] .

لم يقل المولى : فارزقوهم فيه – كالآية السابقة – وإنما قال (منه) لما بين الموقفين من تباين ، إذ رزقُ حاضري القسمة جزء يسير من المال

١ــ اختلف البلاغيون فيما تؤول إليه الاستعارة في الحرف ، فقال السكاكي : إن الاستعارة في الحرف تابعة للاستعارة في متعلقه . وفسر المتعلق بقوله : والمراد بمتعلقات الحرف ما يعبر بها عنها عند تفسير معانيها ، مثل قولنا : من معناها الابتداء ، وفي معناها الظرفية .

انظر (المفتاح) ، ص١٨٠ .

والمتعلق الذي يؤول إليه التشبيه والاستعارة عند الخطيب وابن يعقوب هو المجرور . قال الخطيب : فالتشبيه في الأفعال والصفات المشتقة منها لمعاني مصادرها ، وفي الحروف لمتعلقات معانيها ، كالمجرور في قولنا : زيد في نعمة ... وفي لام التعليل كقوله تعالى : **{ فالتقطهُ آلُ فرعونَ ليكونَ لهُمْ عدواً وحَزَناً }** ، – الآية (٨) ، القصص – للعداوة والحزن الحاصلين بعد الالتقاط بالعلة الغائية للالتقاط . ويعني بالعلة الغائية التي كانت غاية العمل وهي المحبة والتبني .

انظر (شروح التلخيص) ، ج٤ ، ص١١٦ وما بعدها .

٢ــ الآية (٥) .

٣ــ انظر (الكشاف) ، ج١ ، ص٢٤٧ .

٤ــ انظر (فن الاستعارة) للدكتور أحمد عبد السيد الصاوي ، ص٥٢ وما بعدها . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، مصر ، الطبعة بدون ، ١٩٧٩م .

٥ــ الآية (٨) .

وعمل لا يتكرر ، وبالتالي لا يضر كثيراً بأصل المال بخلاف الأول ، ولذا عــدل عن استعمال (من) إلى استعمال (في) ، فهي أبين للغرض وأدل عليه .

ومنه قوله تعالى :

{ ومَــنْ يكسِــبْ إثمــاً فإنَّمــا يكسِــبُهُ على نفسِهِ وكانَ اللهُ عليماً حكيماً }[1] .

وقولــه : { يكسبه على نفسه } فيه تصوير بديع حيث جعل هذا الإثم مســتعلياً صاحبه وراكباً إياه ومسيطراً عليه ، وهو يحمله على ظهره أينما ولّى أو اتجــه (لا يــتعداه ضــرره إلى غيره)[2] . وتختفي هذه الصورة البيانية لو أبدل الحرف باللام مثلاً أو أي حرف آخر . والهدف البلاغي من هــذا التصــوير الارتــداع والتحسب قبل الإقدام على ارتكاب أي إثم مهما صَغر.

ومنه قوله تعالى :

{ لكنِ اللهُ يشهدُ بما أنزلَ إليكَ أنزلَهُ بعلمِهِ والملائكةُ يشهدونَ وكفى باللهِ شهيداً }[3] .

قــال فيها الزمخشري : (معناه أنزله متلبساً بعلمه الخاص الذي لا يعــلمه غيره ، وهو تأليفه على نظم وأسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيــان)[4] . ومعنى التلبس هو ما أفادته (الباء) مع مدخولها ، حيث إن ما

١ــ الآية (١١١) .

٢ــ انظر (الكشاف) ، ج١ ، ص٢٩٧ .

وفــي الآية استعارة تصريحية تبعية أخرى في قوله { يكسب إثماً } ؛ لأن مادة الفعل كسب للدلالة على الربح في الخير وليس الخسران بالإثم .

٣ــ الآية (١٦٦) .

٤ــ انظر (الكشاف) ، ج١ ، ص٣١٥ .

يتصف بهذه الصفة لا بد أن يكون بالغاً الغاية في باب الكتب السماوية[١] ، وهيئة التلبس صورة بيانية رائعة تختفي لو أبدل هذا الحرف بغيره .

ومنه قوله تعالى :

{ إنَّــا أنزلْنا إليكَ الكتابَ بالحقِّ لتحكُمَ بينَ الناسِ بما أراكَ اللهُ ولا تكُنْ للخائنينَ خصيماً }[٢] .

وقوله تعالى :

{ يا أيُّها الناسُ قدْ جاءكُمُ الرسولُ بالحقِّ من ربِّكُمْ فآمنوا خيراً لكُمْ إنَّمــا اللهُ إلهٌ واحدٌ سبحانَه أنْ يكونَ لهُ ولدٌ لهُ ما في السمواتِ والأرضِ وكانَ اللهُ عليماً حكيماً }[٣] .

فقولـــــه تعالى (بالحق) في الآية الأولى لتبيين هيئة إنزال الكتاب متلبســاً بـــه ، والثانية بعثة نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – متلبساً بما أنزله الله عليه من الكتاب والسنة .

٣ـ الاستعارة المركبة (التمثيلية)[٤] :

من أمثلة هذا النوع من الاستعارة في سورتنا قوله تعالى :

{ الرجالُ قوّامونَ على النساءِ بما فضَّلَ اللهُ بعضَهُمْ على بعضٍ وبما أنفقوا مِنْ أموالِهِمْ ... }[٥] .

١ـ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٦ ، ص٤٥ .

٢ـ الآية (١٠٥) .

٣ـ الآية (١٧٠) .

٤ ـ هــي اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه . أي : تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى ، ثم تدخل المشبه في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه ؛ فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه .

انظر (الإيضاح) للخطيب القزويني ، ص٢٧٣ .

٥ـ جزء من الآية (٣٤) .

الاستعارة التمثيلية في قوله تعالى :{ الرجال قوامون على النساء } ، أي : يقومـون عـليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا[١] ؛ لأن شأن من يهتم بأمر أن يقوم لقضائه ، قال الرازي : (القوّام اسم لمن يكون مـبالغاً في القيام بالأمر ، يقال : هذا قَيِّمُ المرأة وقَوَّامُها الذي يقوم بأمرها ويهـتم بحفظها)[٢] ومثله قال ابن عطية : (قوّام فعَّال : بناء مبالغة ، وهو من القيام على الشيء والاستبداد بالنظر فيه وحفظهِ بالاجتهاد ، فقيام الرجل على النساء هو على هذا الحد)[٣] . شبهت هيئة الحريص المهتم بأمر نسائه بهيئة القائم لقضاء أمر يهمه ، بجامع الاهتمام والحرص في كل ، والقرينة حالية ؛ لأن الحريص على أمر نسائه لا يجب عليه القيام دائماً[٤] .

ومثله قوله تعالى :

{ يـا أيُّهـا الذينَ آمنوا كونوا قوَّامينَ بالقسطِ شهداءَ للهِ ولو على أنفسِكُمْ أو الوالدينِ والأقربينَ ... }[٥] .

والمجاز في (قوامين) ، حيث شبهت هيئة المهتم بالعدل والحريص عـليه بهيئة القائم على أمر اهتماماً به ، قال الألوسي : (أي مواظبين على العـدل فـي جميع الأمور مجتهدين في ذلك كل الاجتهاد لا يصرفكم عنه صارف)[٦] ، وذلك تنبيهاً على أهمية تحقيق العدل في المجتمع المسلم .

ومنه قوله تعالى :

١ـ انظر (الكشاف) ، ج١ ، ص٢٦٦ .

٢ـ انظر (التفسير الكبير) ، ج١٠ ، ص٨٨ .

٣ـ انظر (المحرر الوجيز) ، ج٢ ، ص٤٧ .

٤ـ أتـت مـادة (قـوم) بمعـان شتى متقاربة منها : القيام نقيض الجلوس ، والقيام العزم ومنه المحافظـة والإصـلاح ، ومـنه الثبوت ، فقام عنده الحق أي ثبت ولم يبرح ، وأقام الشيء أدامه ، والقوَامْ العدل .

انظر (لسان العرب) ، مادة (قوم) .

٥ـ جزء من الآية (١٣٥) .

٦ـ انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٥ ، ص١٦٧ .

{ وإنِ امرأةٌ خافَتْ من بعلِها نشوزاً أو إعراضاً فلا جُناحَ عليهما أن يُصلِحا بينَهُما صُلحاً والصُّلحُ خيرٌ ... }[١] .

في قوله تعالى :{ لا جناح عليهما } صيغة من صيغ الإباحة ، وهي إذن للزوجين في صلح يقع بينهما . وقد علم أن الإباحة لا تذكر إلا حيث يظن المنع ، ففي جناح استعارة تمليحية حيث شبهت هيئة من ترك الصلح واستمر في النشوز والإعراض بهيئة من ترك الصلح عن عمد لظنه أن في الصلح جناحاً[٢] على سبيل الاستعارة التمثيلية . والغرض منها لفت الانتباه إلى خيرية الصلح للمبادرة إليه .

ومنه قوله تعالى :

{ إنَّ المنافقينَ يُخادعونَ اللهَ وهوَ خادِعُهُمْ وإذا قاموا إلى الصلاةِ قاموا كُسالى يراءونَ الناسَ ولا يذكرونَ اللهَ إلاّ قليلاً }[٣] .

ففي قوله تعالى : { وهو خادعهم } أطلق الخداع على الاستدراج بجامع الخفاء في كل منهما ، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي استحالة إتيان هذا الفعل في حق الله سبحانه وتعالى ؛ لما فيه من دلالة على النقص تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وحسَّن هذه الاستعارة المشاكلة بقوله (يخادعون) ، قال فيها ابن عاشور : (فإطلاق الخداع على استدراج الله إياهم استعارة تمثيلية وحسنتها المشاكلة ؛ لأن المشاكلة لا تعدو أن تكون استعارة لفظ لغير معناه مع مزيد مناسبة مع لفظ آخر مثل لفظ المستعار . فالمشاكلة ترجع إلى التلميح)[٤] .

ومما جاء منها لإبراز المعاني على صورة هيئة تمثيلية قوله تعالى :

١ــ جزء من الآية (١٢٨) .

٢ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص٢١٥ .

٣ــ الآية (١٤٢) .

٤ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص٢٣٩ .

{ إنَّ الذينَ يكفرونَ باللهِ ورُسُلِهِ ويريدونَ أنْ يفرِّقوا بينَ اللهِ ورُسُلِهِ ويقولونَ نؤمنَ ببعضٍ ونكفُرُ ببعضٍ ويريدونَ أنْ يتخذوا بينَ ذلكَ سبيلاً * أولئكَ هُمُ الكافرونَ حقاً وأعتدنا للكافرينَ عذاباً مُهيناً }[١] .

معنى التفريق بين الله ورسله أنهم ينكرون صدق بعض الرسل الذين أرسلهم الله ، ويعترفون بصدق بعض الرسل دون بعض ، ويزعمون أنهم يؤمنون بالله فقد فرقوا بين الله ورسله إذ نفوا رسالتهم فأبعدوهم منه[٢] سبحانه .

فشبه الأمر المتخيل في نفوسهم في تصديق بعض الرسل وتكذيب بعضهم بما يضمره مريد التفريق بين الأولياء والأحباب[٣] بجامع سوء الفتنة في كلٍّ ، فعملت هذه الاستعارة على تشويه المشبه بإبرازه في أبشع صور النميمة والحقد .

ومنه قوله تعالى :

{ ومَنْ يكسِبْ خطيئةً أو إثماً ثمَّ يرمِ بهِ بريئاً فقدِ احتملَ بُهتاناً وإثماً مبيناً }[٤] .

والاستعارة المقصودة[٥] في قوله تعالى :{ احتمل بهتاناً } ، حيث شبه البهتان وهو الكذب بالحمل الثقيل الذي ينوء به حامله ، ثم صور حال كاسبه بحال من يتكبد عناء حمل ثقيل لا يكاد يطيقه ، أو حال المرأة الحامل وما تعانيه من متاعب لا يستطيع غيرها التخفيف عنها بحمل بعض ما

١ــ الآيتان (١٥٠ ، ١٥١) .

٢ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٦ ، ص٩ .

٣ــ انظر المرجع السابق ، بتصرف .

٤ــ الآية (١١٢) .

٥ــ لأن في (يرمي) مجازاً حيث إن حقيقته قذف الشيء من اليد وأطلق مجازاً علي نسبة خبر أو وصف لصاحبه بالحق أو الباطل ، وأكثر استعماله في شبه غير الواقع .

انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص١٩٦ .

تحملـــه . ورشح هذه الاستعارة بقوله (مبيناً) ، والمبين الذي يراه كل أحد لشدة ظهوره ، أي : إثماً ظاهراً لا شبهة في كونه إثماً[١] .

٤ـ الاستعارة المكنية[٢] :

(كـــل اســـتعارة مكـــنية قرينـــتها استعارة تخييلية)[٣] ، (وهاتان الاســـتعارتان ليســـتا في الألفاظ وإنما في أمور واعتبارات نفسية)[٤] كما سيتضح من خلال تحليل أمثلتها في هذه السورة المباركة . قال تعالى :

{ وإذا جــاءَهُمْ أمرٌ منَ الأمنِ أو الخوفِ أذاعوا بهِ ولوْ ردُّوهُ إلى الرســولِ وإلى أولي الأمرِ منهُمْ لعلمَهُ الذينَ يستنبطونَهُ منهُمْ ولولا فضلُ اللهِ عليكُمْ ورحمتُهُ لاتَّبعتُمُ الشيطانَ إلاّ قليلاً }[٥] .

الآيـــة الكـــريمة تـــنعي على فئة من ضعفة المسلمين إذاعتهم لأنباء تخـــص الإســـلام والمســـلمين قبل تثبتهم منها ، وترشدهم إلى ما هو أحق وأجدر بهم في مثل هذه المواقف ، وذلك رد ما يشكل عليهم فهمه أو يغلب عليهم فيه الشك إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – وإلى كبار الصحابة والعلماء ، فهم أولي الأمر[٦] .

١ـ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص١٩٦ ، بتصرف .

٢ـ الاســـتعارة المكـــنية : هـــي ما حذف فيها المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه . وقد حدد الخطيب القزويني معالمها بقوله : قد يضمر التشبيه في النفس فلا يصرح بشيء من أركانه سوى لفظ المشـــبه ، ويـــدل عليه بأن يُثبَت للمشبه أمر مختص بالمشبه به ، من غير أن يكون هناك أمر ثابت حساً أو عقلاً أجري عليه اسم ذلك الأمر ؛ فيسمى التشبيه بالكناية أو مُكَنِّياً عنها ، وإثبات ذلك الأمر للمشبه استعارة تخييلية .

انظر (الإيضاح في علوم البلاغة) ، ص٢٧٧ .

٣ـ انظـــر (البيان في ضوء أساليب القرآن) للدكتور عبد الفتاح لاشين ، ص٢١٧ ، دار المعارف لنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥م .

٤ـ انظر (التصوير البياني) للدكتور محمد أبو موسى ، ص٢٤٦ .

٥ـ الآية (٨٣) .

٦ـ انظر تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٥٥٧ .

هــذا هو المراد من الآية ، ولكن القرآن الكريم عبَّر عن هذا المعنى باستعارة مكنية رائعة ، إذ إن الاستنباط حقيقته النَّبْطُ ، وهو أول الماء الذي يخــرج مــن البـئر عند الحفر[١] ، وهو هنا مجاز في العلم بحقيقة الشيء ومعــرفة عواقــبه ، شــبه الخــبر الحادث بحفير يطلب منه الماء ، وذِكْرُ الاســتنباط تخييلٌ[٢] . فالمشبه الخبر الحادث وهو المستعار له ، والمشبه به حفيــر البـئر الذي يخرج منه الماء ، وهو المستعار منه ، أما وجه الشبه الجامع فهو خروج الشيء من مصدره ونبعه .

وكــني عن هذا المعنى بأن حذَفَ المشبه به وأتي بشيء من لوازمه وهــو الاستنباط ليُسنَد إلى المشبه على سبيل الاستعارة المكنية ، ويصاحب المكــنية دائماً استعارة تخييلية ، وذلك في قرينتها وهي هنا : { يستنبطونه مــنهم } ، حيــث شبه التثبت من الخبر برده إلى الرسول – صلى الله عليه وســلم – وأولي الأمر باستنباط الماء من حفيره على سبيل التخييل والقرينة المانعــة مــن إرادة المعنى الأصلي للاستنباط استحالة إضافته إلى ضمير الخبر ، ثم ترشيح الاستعارة بالجار والمجرور (منهم) ، أي : من الرسول وأولي الأمر .

كما أنني أجد في التركيب استعارة ثالثة ، وهي استعارة تمثيلية يمكن إجــراؤها عــلى الــنحو الــتالي : شُبِّهَتْ هيئة الباحثين عن صحة الأخبار والتثــبت مــنها بحال المنقبين عن الماء حتى ينبط من قعر البئر ، والجامع بينهما الصبر والمكابدة والجلد للوصول إلى الخير الحقيقي ، وفيه من الحث والإرشاد ما لا يخفى .

ومن الاستعارات المكنية الرائعة قوله تعالى :

١ــ انظر (لسان العرب) و (المفردات) ، مادة (نبط) .

٢ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص١٤١ .

{ ومَــنْ يخرجْ منْ بَيتِهِ مهاجراً إلى اللهِ ورسولِهِ ثمَّ يدركْهُ الموتُ فقدْ وقعَ أجرُهُ على اللهِ وكانَ اللهُ غفوراً رحيماً }[١] .

الاســتعارة فــي { وقع أجره على الله } ، حيث شبه الأجر بالطائر وحذف المشبه به وأتى بشيء من لوازمه وهو الوقوع على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة المانعة من إرادة الوقوع بمعناه الحقيقي إسناد هذا الوقوع للأجر ، وفي هذه القرينة استعارة تخييلية ، حيث صور ما يُتوهم للأجر من مكان آمن يستقر فيه بالوقوع والاستقرار للطائر بجامع الاختيار الموفق في كلٍ .

ومن هذه الاستعارة قوله تعالى :

{ وقــدْ نــزّلَ عــليكمْ في الكتابِ أنْ إذا سمعْتُم آياتِ اللهِ يُكفرُ بها ويُستهزأُ بها فلا تقعدوا معَهُم حتى يخوضوا في حديثٍ غيرِهِ }[٢] .

الاستعارة في قوله تعالى { يخوضوا في حديث غيره } ، إذ الخوض في أصل اللغة : المشي في الماء[٣] ، فشُبهت محاوراتهم في حديث مجانب للاســتهزاء والكفر بالخوض في الماء ، فالمشبه : المحاورة وهو المستعار لــه ، والمشبه به : المشي في الماء وهو المستعار منه ، والجامع بينهما : الاندفــاع مع مغالبة الفطرة ومكابدتها ، ثم حذف المشبه به وأتى بشيء من لوازمــه وهــو الخــوض على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة المانعة (يخوضوا) في نسبة الخوض إلى الحديث .

وفــي هذه القرينة استعارة تخييلية ، حيث أثبت للمشبه (الحديث أو المحــاورة) صــفة من صفات المشبه به وهو الخوض تخييلاً ، والجامع بيــنهما التخــلص مما يشين . وبلاغة هذه الاستعارة في دلالة خوضهم في

١ــ جزء من الآية (١٠٠) .
٢ــ الآية (١٤٠) .
٣ــ انظر (لسان العرب) ، مادة (خوض) .

المـــاء عـــلى التخلص من الأدران ، أي : أوزار كفرهم واستهزائهم بآيات الله .

ومنه قوله تعالى :

{ وأخذْنا منهمْ ميثاقاً غليظاً }[١] .

المجـــاز فـــي وصـــف الميـــثاق بالغلظ ؛ لأن أصله أن يُستعمل في الأجســـام[٢] . والآيـــة تنعي على اليهود اشتهارهم بنقض العهود والمواثيق حـــتى معـــه سبحانه تبجحاً منهم وكفراً وضلالاً ، قال ابن عاشور : (فأخذ الميـــثاق عليهم : المراد به العهد ، ووصفه بالغليظ أي القوي ، فالغلظ من صـــفات الأجســـام فاستعير لقوة المعنى وكني به عن توثق العهد لأن الغلظ يستلزم القوة)[٣] .

ولإجراء الاستعارة نقول : شبه الميثاق – وهو من المعاني – بالجسم الصلب ، ثم حذف الجسم وهو المشبه به ودل عليه بشيء من لوازمه وهو كـــلمة (غـــليظ) عـــلى سبيل الاستعارة المكنية ، وجامع الاستعارة القوة والرسوخ والصلابة .

وأمـــا الاستعارة التخييلية المترتبة على المكنية في قرينتها ففي نسبة الغلظ للميثاق ، حيث شبه التأكيد على هذه المواثيق بالغلظة تخييلاً ، وقيمة هـــذه الاســـتعارة فـــي دلالتها على عظم تلك المواثيق عند الله وعظم ذنب ناقضيها مع شدة وثوقها وتكرارها والتأكيد عليها .

١ــ جزء من الآية (١٥٤) .

٢ــ انظر (المفردات) للراغب الأصفهاني ، مادة (غلظ) .

٣ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٦ ، ص١٦ .

المطلب الثاني : المجاز العقلي .

المجـــاز العقلي : هو إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأول[1] . وله علاقات كثيرة من أشهرها :

أولاً : المكانية :

وفيها يسند الفعل أو ما في معناه إلى مكان المسند إليه ، ومثالها من سورة النساء قوله تعالى :

{ تــلكَ حــدودُ اللهِ ومَنْ يُطِعِ اللهَ ورسولَهُ يدخلْهُ جناتٍ تجري مِنْ تحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها وذلكَ الفوزُ العظيم }[2] .

المجاز العقلي في قوله تعالى : { تجري من تحتها الأنهار } ، حيث أسند الجريان إلى الأنهار إسناداً مجازياً ، وذلك لأن الأنهار لا تجري ، إنما الذي يجري (ماؤها)[3] . وقد تكررت هذه الصورة نفسها في قوله تعالى :

{ والذينَ آمنوا وعملوا الصالحاتِ سندخلُهُمْ جناتٍ تجري من تحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها أبداً لهُمْ فيها أزواجٌ مطهرةٌ وندخلُهُمْ ظلاً ظليلاً }[4] .

المجـــاز في قوله : { تجري من تحتها الأنهار } ، وغرضه البلاغي المـــبالغة فـــي إظهـــار النعيم الدائم الذي فيه أهل الجنان بإظهار جمال هذه الصورة في عمق وغزارة وسعة وصفاء ، وسرعة جريان ماء تلك الأنهار حتى يخيل للرائي أن النهر برمته يجري وليس الماء فقط .

١ـــ هذا تعريف الخطيب القزويني . والتأول : القرينة ، وهي الأمر الصارف عن أن يكون الإسناد عـــلى حقيقـــته ، وهـــي لفظية أو حالية تمنع من إرادة المعنى الحقيقي ، أما الملابس الذي ذكره فهو العلاقـــات التي تربط الفعل أو ما في معناه (المسند) بالمسند إليه ، وهي علاقات كثيرة ، أشهرها : المكانية والزمانية والمصدرية والسببية والفاعلية والمفعولية .

انظر (الإيضاح) ، ص٢٦ وما بعدها .

٢ـــ الآية (١٣) .

٣ـــ انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٤ ، ص٢٣٣ .

٤ـــ الآية (٥٧) .

ومما جاء موضحاً للعلاقة المكانية قوله تعالى :

{ إلاّ الذينَ يصلونَ إلى قومٍ بينَكُمْ وبينَهُمْ ميثاقٌ أو جاءوكُمْ حَصِرَتْ صدورُهُمْ أنْ يقاتلوكُمْ أو يقاتلوا قومَهُمْ ... }[١] .

الإســناد المجازي في { حصرت صدورهم } ، وهم الذين انحصروا عــن الجهاد ، حيث أسند فعل الحصر إلى الصدور بعلاقة المكانية[٢] ،لأنه عــندما تسيطر على الإنسان حالة شعورية محزنة تتأثر بتلك الحالة أحواله الطــبيعية فــي التــنفس والدورة الدموية وخلافه فيشعر بذلك الضيق الذي يــنعكس مــردوده مرة أخرى على صحته النفسية ليزيدها ضيقاً وحرجاً . وتعرض تلك الفئة إلى هذه الأحوال جعلتهم يحجمون عن الجهاد ، فخاطبهم الذكر الحكيم بتلطف .

ثانياً : المصدرية :

وردت هذه العلاقة في عدة مواقع منها قوله تعالى :

{ واللاتي يأتينَ الفاحشةَ من نسائكُمْ فاستشهدوا عليهِنَّ أربعةً منكُمْ فإنْ شهدوا فأمسكوهُنَّ في البيوتِ حتّى يتوفّاهُنَّ الموتُ أو يجعلَ اللهُ لهُنَّ سبيلاً }[٣] .

المجــاز العقــلي في : { يتوفاهن الموت } ، حيث أسند التوفي إلى المــوت مجــازاً ، والفــاعل الحقيقي هم الملائكة المكلفون بذلك ، وإسناده لــلموت نفسه . قال فيه الألوسي : (لا معنى له إلا أن يقدر مضاف يسند إليه الفعل ، أي : ملائكة الموت ، أو يجعل الإسناد مجازاً لإسناد ما للفاعل

١ــ جزء من الآية (٩٠) .

٢ــ اعتبرها الألوسي علاقة سببية ، وعلل بأن ضيق صدورهم كان سبباً في حصرهم عن الجهاد . انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٥ ، ص١١٠ .

٣ــ الآية (١٥) .

الحقيقي إلى أثر فعله)[١] والفاعل هم الملائكة وأثر فعلهم هو الموت . وفيه تهويل للموت وإبراز له في صورة من يتولى قبض الأرواح وتوفيها[٢] .

وقد تكررت هذه الصورة في عدة مواضع منها قوله تعالى :

{ حتى إذا حضرَ أحدَهُمُ الموتُ قالَ إنِّي تبتُ الآن ... }[٣] .

وكذا قوله تعالى :

{ أينما تكونوا يدركْكُمُ الموتُ ولوْ كنتُمْ في بروج مشيدةٍ ... }[٤] .

ففي الأولى أسند الحضور للموت إسناداً حكمياً ، وهو للملائكة ، ولو أسند إليهم وهم رمز للخير ما ظهرت مشاعر المحتضر جلية واضحة حيث شاهد الأحوال التي لا يمكن معها الرجوع إلى الدنيا بحال من الأحوال وهو يعاين ملك الموت وانقطع عنه حبل الرجاء ، فكل شيء[٥] أمامه موت حتى الملك ، لا محالة وهو فاعله .

أمـــا قوله تعالى :{ أينما تكونوا يدرككم الموت } فهو صورة عجيبة حيث يرسم هذا الإسناد فرار الإنسان الدائم الدؤوب ومطاردة الموت العنيدة لـــه ، ومـــع أن الفـــاعل هم الملائكة إلا أن إسناد الفعل للموت فيه تهويل وتفظيـــع يؤدي إلى الحذر من ارتكاب ما يغضب الله والسعي إلى الصلاح الدائم طالما الإنسان في مطاردة مستمرة مع الموت .

ثالثاً : المفعولية .

من أمثلتها قوله تعالى :

{ فكيف إذا أصابتهم مصيبةٌ بما قدَّمَتْ أيديهِمْ ... }[٦] .

١ـ انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٤ ، ص٢٣٥ .

٢ـ انظر (إرشاد العقل السليم) ، ج١ ، ص٤٩٥ .

٣ـ جزء من الآية (١٨) .

٤ـ جزء من الآية (٧٨) .

٥ـ انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٤ ، ص٢٣٩ .

٦ـ جزء من الآية (٦٢) .

الفـــاعل الحقيقي للفعل (أصاب) هو الجبار المنتقم سبحانه ، أي : (أصابهم الله بمصيبة)[١] ، وإسناد الفعل إلى مصدره الواقع مفعولاً به فيه من التهويل الشيء العظيم ، حيث جُعلت المصيبة نفسها هي المتربصة لهم تـــريد فرصة للانقضاض عليهم جزاء ما قدمت أيديهم . وتكررت الصورة نفسها في قوله تعالى :

{ وإنَّ مـــنكُمْ لمنْ ليُبطِّئنَّ فإنْ أصابتكُمْ مصيبةٌ قالَ قدْ أنعمَ اللهُ عليَّ إذْ لمْ أكُنْ معهُمْ شهيداً }[٢] .

وأظـــن أن فـــي إسناد الفعل إلى المصيبة على طريقة المجاز العقلي هاهـــنا تلطف بالمخاطبين حيث لم يشأ المولى أن يسند له سبحانه هذا الفعل صراحة لما فيه من ثقل على نفوس المؤمنين وهم أهل الله وخاصته .

ويظهـــر هذا الإكرام والتلطف جلياً في الآية التي تليها مباشرة ، قال تعالى فيها :

{ ولـــئنْ أصابكُمْ فضلٌ منَ اللهِ ليقُولُنَّ كأنْ لمْ تكُنْ بينَكُمْ وبينَهُ مودةٌ يا ليتني كنتُ معهمْ فأفوزَ فوزاً عظيماً }[٣] .

والإسناد الحكمي في قوله تعالى : { أصابكم فضل من الله } ، حيث أُسند الفعل إلى فضل اللهِ تعظيماً وإجلالاً لهذا الفضل ، (والمراد منه الفتح والغنيمة)[٤] ، وهو لا شك فضل عظيم من عنده سبحانه .

ومنه قوله تعالى :

{ يـــا أيهـــا الـــناسُ قدْ جاءكُمْ برهانٌ مِنْ ربِّكُمْ وأنزلْنا إليكُمْ نوراً مبيناً }[٥] .

١ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص١٠٧ .

٢ــ الآية (٧٢) .

٣ــ الآية (٧٣) .

٤ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص١٠٧ .

٥ــ الآية (١٧٤) .

أســـند المـــولى فعل المجيء للبرهان – مع أنه في الحقيقة مفعولٌ – عـــلواً لشأن هذا البرهان ، حتى إنه في منزلة المريد المتصرف وحده ، مع أن من جاء به هو رب العالمين . ولو جرى على حقيقته لكان التركيب : قد جئناكم ببرهان . ونظير هذه الآية : وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً } ، ولكن عدل إلى المجاز العقلي بعلاقة المفعولية .

رابعاً : السببية .

مما جاء في سورة النساء مصوراً لهذه العلاقة قوله تعالى :

{ أو ما ملكَتْ أيمانُكُمْ ... }[١] .

وتكرر هذا في قوله تعالى :

{ والمحصناتُ من النساءِ إلاّ ما ملكَتْ أيمانُكُمْ ... }[٢] .

وكذا في قوله تعالى :

{ ومَنْ لمْ يستطِعْ منكُمْ طولاً أنْ ينكِحَ المحصناتِ المؤمناتِ فمن ما ملكتْ أيمانُكُمْ من فتياتِكُمُ المؤمناتِ ... }[٣] .

أســـند فيهـــا جميعـــاً التملك إلى الأيدي مجازاً عقلياً ؛ لأنها سببه ، والغرض من هذا المجاز تصوير هذه الفئة من النساء بصورة الأسير الذليل الـــذي لا يملك لنفسه شيئاً ؛ حثاً على التلطف بهن والإحسان لهم خصوصاً وأنْ ليس لهن من الحقوق مثل ما للحرائر .

وتظهر هذه الصورة من المجاز الحكمي جلية في قوله تعالى :

{ ولكُـــلٍّ جعلْـــنا مواليَ ممّا تركَ الوالدانِ والأقربونَ والذينَ عقدتْ أيمانُكُمْ فآتوهُمْ نصيبَهُمْ إنَّ اللهَ كانَ على كلِّ شيءٍ شهيداً }[٤] .

١ــ جزء من الآية (٣) .

٢ــ جزء من الآية (٢٤) .

٣ــ جزء من الآية (٢٥) .

٤ــ الآية (٣٣) .

قـال فيهـا ابن عاشور : (الأيمان جمع يمين إما بمعنى اليد ، أسند العقـد إلى الأيـدي مجـازاً ؛ لأنها تَقَارُن المتعاقدين ، لأنهم يضعون أيدي بعضهم في أيدي الآخرين ، علامة على انبرام العقد ، ومن أجل ذلك سُمّي العقـد صفقة أيضاً ، لأنه يصفق فيه اليد على اليد ، فيكون من باب { أو ما ملكت أيمانكم } ، وإما بمعنى القسم لأن ذلك كان يصحبه قسم ، ومن أجل ذلك سمي حلفاً وصاحبه حليفاً ، وإسناد العقد إلى الأيمان بهذا المعنى مجازٌ أيضـاً ، لأن القسم هو سبب انعقاد الحلف)[١] . وفي كلا التقديرين سواء كـان الأيمـان : الجارحة أو كانت بمعنى القسم[٢] فهي سبب العقد وليست فاعله الحقيقي لأن الفاعل الحقيقي هم المخاطبون بالآية .

وغايـة هـذا المجـاز البلاغية : دلالته الحسية على عظم شأن هذه العقـود ، وكذلـك ما أُسندَتْ له – للحد الذي كانوا يتوارثون بها في بداية الإسلام حتى نُسخ بعد ذلك لحديث أم المؤمنين أم سلمة – رضي الله عنها – قالت : إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال " لا حلف في الإسلام ، وما كان من حلف في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة "[٣] ، ولكن رغم نسـخ الـتوارث بالحلف أمروا أن يوفوا بالعهود والعقود[٤] وذلك عند الله عظيم .

١ـ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص٣٥ ، ٣٦ .

٢ـ انظر (الدر المصون) ، ج٢ ، ص٣٥٧ .

٣ـ انظر تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص٤٩١ .

وقد روى أحاديث كثيرة من طرق مختلفة تؤيد ذلك .

٤ـ المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

خامساً : الفاعلية .

منها قوله تعالى :

{ وقُلْ لهُمْ في أنفسِهِمْ قولاً بليغاً }[١] .

وصف القول بكونه بليغاً بمعنى بالغاً ، ولكن لما كان المراد تعظيم هذا القول لاحتوائه على النصح والتوجيه عُدِلَ به من الحقيقة إلى المجاز .

ومنه قوله تعالى :

{ يسألُكَ أهلُ الكتابِ أنْ تُنَزِّلَ عليهِمْ كتاباً من السماءِ فقدْ سألوا موسى أكبرَ من ذلكَ فقالوا أرِنا اللهَ جهرةً فأخذتْهُمُ الصاعقةُ بظلمِهِمْ ... }[٢] .

المجاز في قوله تعالى : { فأخذتهم الصاعقة } ؛ لأن الآخذ هنا هو الله ، والأخذ هو الموت[٣] وأسند مجازاً إلى الصاعقة التي أرسلها الله جل جلاله من السماء ، وهي كما قال المفسرون : (نار جاءتهم من السماء)[٤] فأهلكتهم . والقيمة البلاغية لهذا الإسناد ما تحدثه لفظة صاعقة من الإرهاب والزجر لبني إسرائيل[٥] ولكل عاص متعنت مثلهم .

١ـ جزء من الآية (٦٣) .

٢ـ جزء من الآية (١٥٣) .

٣ـ أخرج ابن المنذر عن ابن جرير قال : الصاعقة الموت ، أماتهم الله تعالى قبل آجالهم عقوبة بقولهم ما شاء الله تعالى أن يميتهم ثم بعثهم .

انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٦ ، ص٦ .

٤ـ انظر (إرشاد العقل السليم) ، ج١ ، ص٦٠١ .

وكذا (روح المعاني) ، م٢ ، ج٦ ، ص٦ .

٥ـ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٦ ، ص١٥ .

المبحث الثالث

الكناية

المطلب الأول : الكناية عن الصفة .

المطلب الثاني : الكناية عن الموصوف .

المطلب الثالث : الكناية عن النسبة .

المبحث الثالث : الكناية .

مدخل :

الكناية في اللغة : (أن تتكلم بشيء وتريد غيره . وقد كنيت بكذا عن كذا – أو كنوت – إذا تركت التصريح به)[١] .

وفـــي الاصطلاح : هي (لفظ أريد به لازم معناه ، مع جواز إرادة معناه حينئذٍ)[٢] . وقيد الكناية خلوها من قرينة تمنع إرادة المعنى الأصلي ، فالمعنيان واردان إلا أن أحدهما مستتر والآخر ظاهر[٣] .

وقسمت الكناية ثلاثة أقسام هي :

١ـ انظر (لسان العرب) ، مادة (كنى) .

٢ـ انظر (الإيضاح) للخطيب ، ص٢٨٦ .

فسرها الإمام عبد القاهر بقوله : أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود ، فيومئ به إليه ، ويجعله دليلاً عليه ، مثال ذلك قولهم : " هو طويل النجاد " يريدون : طويل القامة .

انظر (دلائل الإعجاز) ، ص٦٦ .

٣ـ أوضـــح ذلك العلوي – رحمه الله – معللاً سبب التسمية ، قال : واشتقاقها من الستر . وقال : كـــنيت الشيء إذا سترته ، وإنما أجري هذا الاسم على هذا النوع من الكلام لأنه يستر معنى ويظهر غيره ، فلا جرم سميت كناية .

انظـــر (الطراز) للعلوي اليمني ، ج١ ، ص٣٦٦ . دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة بدون ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .

المطلب الأول : الكناية عن الصفة[1] .

من الكناية عن الصفة قوله تعالى :

{ وإنْ أردتُــمُ اســتبدالَ زوجٍ مكانَ زوجٍ وآتيتُمْ إحداهنَّ قنطاراً فلا تأخذوا منهُ شيئاً أتأخذونَهُ بهتاناً وإثماً مبيناً }[2] .

الكناية في { آتيتم إحداهن قنطاراً } وهي كناية عن الكثرة ، قال ابن كــثير : (وفي هذه الآية دلالة على جواز الإصداق بالمال الجزيل ، وقد كان عمر بن الخطاب نهى عن كثرة الإصداق ، ثم رجع عن ذلك)[3] .

١ــ فيها يذكر الموصوف وتنسب له صفة غير مرادة بعينها وإنما المراد لازمها .

وقــد نظــر المتأخرون إلى هذا الضرب من الكناية – كناية عن الصفة – من زاوية قرب المعنى المراد من المرادف الهادي إليه أو بعده ، وقسموها من هذه الناحية إلى كناية قريبة : وهي ما ينتقل منها إلى المقصود من غير واسطة ، مثل (طويل النجاد) فإن طول القامة وراءه مباشرة .

وكــناية بعيــدة : وهي التي يكون بين المعنى المباشر للتركيب والمعنى المراد واسطة مثل (كثير الرماد) كناية عن الكرم ودون الوصول إلى هذه الصفة انتقالات كثيرة ؛ لأن كثرة الرماد من كثرة الإحراق وكثرة الطبخ وكثرة الأكلة وكثرة الضيفان المنبئ عن الكرم .

انظر (التصوير البياني) للدكتور محمد أبي موسى ، ص٣٧٦ – ٣٨٤ .

٢ــ الآية (٢٠) .

٣ــ انظر تفسير ابن كثير ، ج٢ ، ص٤٦٧ .

ذكــر ابن كثير بأحاديث موثقة قصة عمر بن الخطاب مع المرأة التي راجعته في نهيه عن كــثرة الصــداق ، قال على لسان عمر بن الخطاب : " فلأعرفن ما زاد رجلاً في صداق امرأة على اربعمائــة درهم . قال : ثم نزل ، فاعترضته امرأة من قريش فقالت : يا أمير المؤمنين نهيت الناس أن يــزيدوا فــي مهر النساء على اربعمائة درهم ، قال : نعم ، فقالت : أما سمعت ما أنزل الله في القرآن ؟ قال : وأي ذلك ؟ فقالت : أما سمعت الله يقول { وآتيتم إحداهن قنطاراً } الآية . قال : فقال الــلهم غفراً ، كل الناس أفقه من عمر . ثم رجع فركب المنبر فقال : أيها الناس إني كنت نهيتكم أن تزيدوا ... فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب " .

انظر تفسير ابن كثير ، ج٢ ، ص٤٦٨ .

ومــن الكناية عن الصفة قوله تعالى : **{ أو جاء أحد منكم من الغائط }** الآية (٤٣) كناية عن قضاء الحاجة .

انظــر (تحريــر التحــبير) ، ص١٤٣ ، تحقيق حنفي محمد شرف ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٣٨٣هــ . وكذا قوله : **{ لامستم النساء }** .

ومنه قوله تعالى :

{ وكيفَ تأخذونَهُ وقدْ أفضى بعضُكُمْ إلى بعضٍ وأخذنَ منكُمْ ميثاقاً غليظاً }[١] .

الكناية في قوله تعالى : { وقد أفضى بعضكم إلى بعض } ، قال ابن أبي الإصبع المصري[*] : (يريد به ما يكون بين الزوجين من المباضعة)[٢] ؛ لأن الكلمة أتت من الفضاء : وهو المكان الواسع ، ومنه أفضى بيده إلى كذا ، وأفضى إلى امرأته : في الكناية أبلغ وأقرب إلى التصريح من قولهم : خلا بها[٣] . والمعنى يدل على قطع مسافات الفضاء بين الزوجين كناية عن شدة قربهما من بعض .

ومنه قوله تعالى :

{ ذلكَ لمنْ خشيَ العنتَ منكُمْ وإنْ تصبروا خيرٌ لكُمْ واللهُ غفورٌ رحيمٌ }[٤] .

أشارت الآية إلى إباحة زواج الإماء عند شدة الرغبة في النكاح ، مع عدم استطاعة التزوج من الحرائر . والعنت والمعانتة كالمعاندة ، لكن المعانتة أبلغ ؛ لأنها معاندة فيها خوف وهلاك . ولهذا يقال : عنت فلان إذا وقع في أمر يخاف منه التلف[٥] . فاتجه المعنى هنا إلى كناية الخوف من الوقوع في الفاحشة لشدة مكابدته أمر الشهوة .

١ـ الآية (٢١) .

* هو عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر المعروف بابن أبي الإصبع ، عالم وناقد وشاعر ، له عدة مؤلفات منها (بديع القرآن) ، (تحرير التحبير) ، (الخواطر والسوانح في أسرار الفواتح) ، توفي سنة أربع وخمسين وستمائة للهجرة .

انظر مقدمة (تحرير التحبير) .

٢ـ انظر (تحرير التحبير) ، ص١٤٣ .

٣ـ انظر (المفردات) ، مادة (فضا) .

٤ـ جزء من الآية (٢٥) .

٥ـ انظر (المفردات) ، مادة (عنت) .

والكـــناية عـــن الصفة جاءت فاضحة لستر المنافقين ومخرجة خباء نفوسهم في قول الله تعالى :

{ أولـــئكَ الذينَ يعلمُ اللهُ ما في قلوبِهِمْ فأعرضْ عنهُمْ وعِظهُمْ وقُلْ لهُمْ في أنفسِهِمْ قولاً بليغاً }(١) .

تشتمل الآية الكريمة على كنايتين عن صفة : الأولى في قوله تعالى : { يعـــلم الله ما في قلوبهم } ، وما في قلوب هذه الفئة الضالة هو النفاق ، كـــني عنه بالتركيب السابق لأغراض بلاغية عظيمة ، منها عدم التصريح بنفاقهم (حتى يبقوا على نيران الوجل)(٢) . والثانية في قوله تعالى :{ وقل لهم في أنفسهم } ، أي : قل لهم خالياً بهم لا يكون معهم أحد لأنه أدعى إلى قبول النصيحة(٣) ، وذلك رجاء هدايتهم وإسلامهم . واختيار { في أنفسهم } بـــدل خاليـــاً بهـــم يرشد إلى معان شتى تعاضد الموقف وتصوره ؛ لما في حرف الجر (في) من معنى الظرفية التي تعبر عن الكتمان المناسب لحال النفاق وحال النصح معاً .

ومن هذا القبيل قوله تعالى :

{ وللهِ ما في السمواتِ وما في الأرضِ وكفى باللهِ وكيلاً }(٤) .

الســـياق كله كناية عن التمكن والتصرف بالإيجاد والإعدام(٥) التامين لله سبحانه وتعالى في كافة خلقه .

ومنه قوله تعالى :

{ فإنَّ اللهَ كانَ بما تعملونَ خبيراً }(٦) .

١ــ الآية (٦٣) .

٢ــ انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٥ ، ص٦٩ .

٣ــ انظر المرجع السابق .

٤ــ الآية (١٣٢) .

٥ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص٢٢٠ .

ومثل هذه الآية كثير جداً في القرآن عامة ، ومنها في سورة النساء أيضاً الآية (١٣١) .

٦ــ جزء من الآية (١٣٥) .

سـياق الآيـة يطـلب التقوى وإخلاص الشهادة والنية وعدم اتباع الهوى ، وهذه أمور قد تخفى على الناس فينخدعوا بالمظاهر وينشأ عن ذلك ضـرر عظيـم في المجتمع ، لكن ما يخفى على الناس لا يخفى على الله ؛ لأنـه عـليم خبير به ، وسيجازي كلاً بعمله . إذن لا بد من الردع لصلاح الأمـة ، فكان هذا التذييل الذي هو كناية عن الوعيد والتهديد ؛ لأنه الخبير بفـاعل السوء ، وهو قدير لا يعوزه أن يعذبه على ذلك . وزاد المعنى قوة تأكيد الجملة بـ (إن) و (كان)[١] وهذا اللون من الكناية كثير جداً[٢] .

١ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص٢٢٨ .

٢ــ منه قوله تعالى :

{ أم يحسدونَ الناسَ على ما آتاهمُ اللهُ من فضلِهِ ... }

إلى قوله تعالى :

{ وكفى بجهنم سعيراً } الآية (٥٤) .

وهذا التذييل كناية عن الوعيد الشديد . ومنه قوله تعالى :

{ ألم ترَ إلى الذينَ قيلَ لهُمْ كُفُّوا أيديكُمْ ... } الآية (٧٧) .

وكف اليد كناية عن ترك القتال .

المطلب الثاني : الكناية عن الموصوف[١] .

وأمثلــتها فــي سورة النساء قليلة ، بعكس الكناية عن الصفة ، ومن أمثلتها في سورة النساء قوله تعالى :

{ ألــمْ تــرَ إلى الذيــنَ يُزكُّونَ أنفسَهُمْ بلِ اللهُ يُزكِّي مَنْ يشاءُ ولا يظلمونَ فتيلاً }[٢] .

الكــناية في (فتيلاً) ، والفتيل : المفتول ، وسمي ما يكون في شق النواة فتيلاً لكونه على هيئة الحبل المفتول ، وهو ما تفتله بين إصبعيك من خيــط أو وسخ ، ويضرب به المثل في الشيء الحقير[٣] . وذكر هنا كناية عــن الشــيء الحقيــر أو الصغير ، وفيه دلالة حسية على أن الله سبحانه وتعالى لا يظلم الناس فتيلاً ولا شيء دونه في الصغر ، فكيف بما فوقه[٤] .

ومنها قوله تعالى :

{ ولا تجــادِلْ عــنِ الذينَ يختانونَ أنفسَهُمْ إنَّ اللهَ لا يحبُّ مَنْ كانَ خوَّاناً أثيماً }[٥] .

نهى المولى سبحانه نبيه محمداً – صلى الله عليه وسلم – وأمته من بعــده عن أمر لو تفشى في المجتمع لآل إلى بوار ؛ وذلك عدم التثبت من الحق والدفاع عن المذنبين . وقد كنى عنهم بصفة تُظهر شدة ضررهم على أنفسهم والمجتمع { الذين يختانونَ أنفسهم } ، وقد قصد بهم طعمة وقومه إذ

١ــ فيهــا تذكــر الصــفة والنســبة ولا يذكر الموصوف بل يتوصل إليه بالصفة المذكورة لأنها من خصائصه . انظر (الإيضاح) ، ص٢٨٦ .

وكذا (مختصر السعد) ضمن (شروح التلخيص) ، ج٤ ، ص٢٤٨ .

٢ــ الآية (٤٩) .

٣ــ انظر (المفردات) للراغب الأصفهاني ، مادة (فتل) .

٤ــ انظر (المحرر الوجيز) ، ج٢ ، ص٦٦ ، بتصرف .

٥ــ الآية (١٠٧) .

ســـرق وأراد قومه التستر عليه ورموا غيره بذنبه فخدعوا الرسول بتزكيته حتى دافع عنه[١] ، لكن إن غُمَّ على رسول الله الأمر لبشريته فالله سبحانه لا تخــفى عليه خافية فكشف أمرهم وعاتب نبيه وأكد على بغضه سبحانه لمن اتصــف بالخيانة في قوله تعالى : { إنَّ الله لا يحب من كان خوّاناً أثيماً } ، وهي كناية أخرى عن طعمة ومن اتصف بصفته إلى يوم الدين .

ومن هذا القبيل قوله تعالى :

{ فــإذا قضيتُمُ الصلاةَ فاذكروا اللهَ قياماً وقعوداً وعلى جنوبِكُمْ فإذا اطمأننْتُمْ فأقيموا الصلاةَ إنَّ الصلاةَ كانَتْ على المؤمنينَ كتاباً موقوتاً }[٢]

وكــناية الموصوف في قوله تعالى :{ فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة } وهـــي كناية عن أيام السلم ، لأن الآية أتت بعد آيات تصف صلاة الخوف وتؤكد شدة حاجة النفس إلى الاطمئنان بذكر الله ، فناسب أن تذكر أيام السلم بهـــذه الصفة ، أي : (فإذا رجعتم من سفركم إلى حضركم فأقيموها تابعة أربعاً)[٣] .

ومنه قوله تعالى :

{ إنْ يدعونَ مِنْ دونِهِ إلاّ إناثاً وإنْ يدعونَ إلاّ شيطاناً مريداً }[٤] .

الكــناية المطــلوب بهـــا الموصوف في (إناثاً) ، حيث (عبر عن الأصـــنام بالإنـــاث لما روي عن الحسن أنه كان لكل حي من أحياء العرب صـــنم يعـــبدونه ويسمونه أنثى بني فلان لأنهم يجعلون عليه الحلي وأنواع الزينة كما يفعلون بالنسوان ، أو لما أن أسماءها مؤنثة)[٥] .

١ــ انظر (إرشاد العقل السليم) لأبي السعود ، ج١ ، ص٥٨١ وما بعدها .
٢ــ الآية (١٠٣) .
٣ــ انظر (المحرر الوجيز) ، ج٢ ، ص١٠٨ .
٤ــ الآية (١١٧) .
٥ــ انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٥ ، ص١٤٨ .

وأحسب أن التعبير عن معبوداتهم بهذه التسمية وهم المعروف عنهم شدة أنفتهم من النساء تبكيتاً لهم وتنبيهاً على شدة غفلتهم وسخف عقولهِمْ .

المطلب الثالث : الكناية عن النسبة[١] .

من أمثلة الكناية عن النسبة في سورة النساء قوله تعالى :

{ يومَــئذٍ يودُّ الذينَ كفروا وعصوُا الرسولَ لوْ تُسوَّى بِهِمُ الأرضُ ولا يكتمونَ اللهَ حديثاً }[٢] .

الآيــة الكريمة تصف الأحوال النفسية لطغاة الدنيا وعُصاتها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى اللهَ بقلب سليم ، يومئذ يتمنون لو كانوا تراباً مــثل الأرض أو لــو دُسُّوا فيها ولم يبق لهم أثر على سطحها حتى تكون مستوية تماماً بهم ، فيختفي أثرهم . ونسبة أمنيتهم في التسوية للأرض نسبة كــنائية ؛ لأن ما يهمهم هو تسوية أجسادهم بها كما جاء في موضع آخر : **{ يــومَ ينظُرُ المرءُ ما قدَّمتْ يداهُ ويقولُ الكافرُ يا ليتني كنتُ تراباً }[٣]** . فسلك الأسلوبُ (طريقة الكناية عن صيرورتهم تراباً بالكناية المطلوب بها نسبة كقولهم : المجد بين ثوبيه)[٤] .

ومن ذلك قوله تعالى :

{ تجري من تحتها الأنهار ... }[٥] .

جعــل الحــق تبارك وتعالى جريان الأنهار تحت الجنات كناية عن الــرفعة لهــذه الجــنات ، ثم إن في هذا أيضاً كناية عن نسبة الرفعة لمقام المنعمين بهذه الجنات . وقد ورد هذا في آيات كثيرة منها قوله تعالى :

١ــ هي إثبات الصفة لغير الموصوف أو نفيها عن غيره مع أن المراد إثباتها له أو نفيها عنه .
انظــر (عــروس الأفــراح) لــبهاء الدين السبكي ضمن (شروح التلخيص) ، ج٤ ، ص ٢٥٨ .

٢ــ الآية (٤٢) .

٣ــ الآية (٣٠) ، سورة النبأ .

٤ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص٥٩ .

٥ــ جزء من الآية (٥٧) .

{ وجعلْنا الأنهارَ تجري مِنْ تحتِهِمْ ... }[١] .

وكذا قوله تعالى :

{ ونزعنا ما في صدورِهِمْ مِنْ غلٍّ تجري مِنْ تحتِهِمُ الأنهارُ ... }[٢]

وقوله :

{ تجري مِنْ تحتِهِمُ الأنهارُ في جناتِ النعيمِ ... }[٣] .

وقوله تعالى :

{ أولئك لهُمْ جناتُ عدنٍ تجري من تحتِهِمُ الأنهارُ ... }[٤] .

وإن كـــان ما جاء بنسبة جريان الأنهار تحت الجنات كثير جداً أيضاً والله أعلم بجناته وهو الغفور الرحيم .

ومن الكناية عن النسبة قوله تعالى :

{ ومَـــنْ يُطِـــعِ اللهَ والرســـولَ فأولئكَ مع الذينَ أنعمَ اللهُ عليهِمْ منَ النبيّينَ والصديقينَ والشهداءِ وحَسُنَ أولئكَ رفيقاً }[٥] .

نســـب صـــراحة إنعـــام الله عـــلى النـــبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين ؛ ليكون ذلك كناية عن نسبته إلى من هم معهم ؛ لأن من يكون مع المتنعم يفوز بتلك النعم ، ولكن خصهم الحق بالذكر في درجة من النعم لا يضـــاهيها حد ونعمهم جديرة بأن تكون هدفاً يسعى المؤمن الطائع جهده للوصول إليها .

وبعد هذه النزهة الرائعة مع بعض صور البيان في القرآن الكريم من خـــلال بعض مواقعه في سورة النساء نخلص إلى جملة سمات تميزت بها هذه الصور البيانية ، منها :

١ـ جزء من الآية (٦) ، الأنعام .

٢ـ جزء من الآية (٤٣) ، الأعراف .

٣ـ جزء من الآية (٩) ، يونس .

٤ـ جزء من الآية (٣١) ، الكهف .

٥ـ الآية (٦٩) .

١ـ أن التعـبير القـرآني بعامة يخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية ، مستخدماً الحقيقة أو المجاز على السواء ، ليصل في النهاية إلى تجسـيم المعـاني في صور حسية تنطق بالحركة والظل وتنادي على نفسـها بالـبيان ، ثم تظل تلك الصور عالقة في الذهن لتتزايد اتساعا كلما زدتهـا تأملاً . وقد لفت إلى هذا الزمخشري عند حديثه عن أثر التشبيه في تصـوير المعاني وتشخيصها قائلاً : (تريك المتخيَّل في صورة المحقَّق ، والمتوهَّم في معرض المتيقَّن ، والغائب كأنه شاهد)[١] .

٢ـ كما أن هذه الصور المتناهية في الدقة والبلاغة غير مقيدة بطبقة معيـنة أو بيـئة خاصة ، وإنما هي صور واضحة بيّنة ، فكل مطلع على القرآن له منها نصيب حسب ما آتاه الله من الفطنة والعقل .

٣ـ إنّ هذه الصور تخاطب الوجدان بالقدر الذي تخاطب به العقول حتى تستحوذ على لب الإنسان بسحر عجيب لا يحيط به وصف .

٤ـ إن صور القرآن عناصر أساسية للموضوع وأجزاء رئيسية في الجمـلة وليست مجرد ترف أسلوبي للتأنق ، يتضافر في إخراجها واضحة جلية كل عناصر الجملة بدء من الحرف وصوته حتى نهاية السياق أجمعه .

١ـ انظر (الكشاف) ، ج١ ، ص٥٤ .

وكـذا انظـر (المشـاهد في القرآن الكريم) للدكتور حامد صادق قنيبي ص٣٨٠ . مكتبة المنار ، الزرقاء ، الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤م .

الفصل الخامس

الفنون البديعية

المبحث الأول : المحسنات البديعية المعنوية .

المبحث الثاني : المحسنات البديعية اللفظية .

مدخل :

البديع لغة[١] : من بدَعَ الشيءَ يبدَعُهُ بَدْعاً . وابتدعَهُ : أنشأه وبدأهُ ، والبديع : فعيلٌ بمعنى مفعول : أي المحدث العجيب .

والقرآن كله بوجه عام وسورة النساء بوجه خاص من بديع صنع الله عــز وجــل في الإعجاز البياني اللغوي – كما سأوضح بعد قليل – حيث يتطــلب أداء المعاني فيها ما أورده عز وجل من بديع الألفاظ والمعاني مما يتطلبه المقام .

ولقــد اعــتادت كــتب البلاغة أن تدرس البديع في ظلال عنوانين شــهيرين هما : المحسنات البديعية المعنوية ، والمحسنات البديعية اللفظية . وستسير الدراسة وفق هذا المنهج– بإذن الله – حتى وإن كانت تختلف معه من حيث أن تقسيم المحسنات إلى لفظي ومعنوي يفصل الجسم عن الروح ؛ لأن جمــال الألفاظ يكمن في تعلقها بالمعاني ، وحسن المعاني في تركيبها ، لذلــك نجد اعتراضاً من غير واحد من الدارسين على هذا التقسيم المنهجي الخالي من الواقعية[٢] .

١ــ انظر (اللسان) ، مادة (بدع) .

وكذا (أساس البلاغة) للزمخشري ، مادة (بدع) .

٢ــ انظر (كشف الغموض) ص٢١٨ .

وكــذا (علم البديع) للدكتور بسيوني عبد الفتاح بسيوني ، ج٢ ، ص٥ . الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هــ – ١٩٨٧م .

المبحث الأول

المحسنات البديعية المعنوية

المطلب الأول : الطباق .

المطلب الثاني : المقابلة .

المطلب الثالث : التورية .

المطلب الرابع : التوجيه .

المطلب الخامس : الجمع والتفريق و حسن التقسيم .

المطلب السادس : مراعاة النظير والتناسب والائتلاف .

المطلب السابع : المشاكلة .

المبحث الأول : المحسنات البديعية المعنوية .

المطلب الأول : الطباق .

الطــباق لغة : الموافقة . يقال طابقت بين الشيئين إذا جمعت بينهما على حذو واحد[١] .

وفي الاصطلاح : هو الجمع بين الشيء وضده في الكلام[٢] . وتكمن بلاغــة هــذا الجمع في أن يعتبر الشيء بضده ليوقف على حده[٣] ، إلا أنه يــتجاوز ذلك إلى أهداف أخرى دقيقة يحددها السياق كما سنرى من خلال تحليل نماذجه من سورة النساء المباركة .

أولاً : طباق الإيجاب .

يكون تارة بين اسمين ، ومن أمثلته في هذه السورة قوله تعالى :

{ وآتــوا اليــتامى أموالَهــمْ ولا تتبدَّلوا الخبيثَ بالطيِّبِ ولا تأكلوا أموالَهُمْ إلى أموالِهِمْ إنَّهُ كانَ حُوباً كبيراً }[٤] .

موضع الشاهد : { ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب } ، ومعناه : لا تتبدلوا أمــوال اليــتامى بــأموالكم أو لا تذروا أموالكم الحلال وتأكلوا الحرام من أموالهــم ، أو لا تستبدلوا اختزال أموالهم بحفظها . وقيل إنها بمعنى الجيد

١ــ انظر (اللسان) ، مادة (طبق) .

٢ــ انظــر (كــتاب الــبديع) لابن المعتز ، ص٣٦ ، نشر وتعليق المقدمة والفهارس أغناطيوس كراتشقوفسكي .

وكذا (مفتاح العلوم) ، ص٢٠٠ .

٣ــ انظــر رسالة (البيان في إعجاز القرآن) للخطابي ، ضمن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) تحقيق محمد خلف الله و محمد زغلول سلام ، ص٥٤ .

٤ــ الآية (٢) .

والـــرديء ، إذ كـــان أحدهـــم يأخذ الشاة السمينة من غنم اليتيم ويجعل في مكَانها الشاة المهزولة ، ويقول : شاة بشاة[١] .

والطـــباق بين (الخبيث) و (الطيب) طباق بين اسمين عن طريق الإيجاب ؛ لأن المعنيين المتضادين مثبتان معاً . وروعة هذا الطباق تتجلى فـــي إبـــراز معناه بصورة الاستعارة التصريحية ، حيث شبه الأكل الحرام بالخـــبيث ، وحـــذف المشـــبه وذكر المشبه به لأنه أدعى إلى التنفير منه ، وكذلـــك في ذكر الطيب بدل الحلال فهو أقرب وأحب للنفوس ، كما تكمن بلاغته (في تصوير واقع البيئة أمام الأوصياء وتنفيرهم من ذلك التصرف المشين الذي لا تفلح فيه الرقابة الظاهرية ... وإنما مرده إلى التقوى)[٢] .

وهـــو إضافة إلى هذا طباق مرشّح ، إذ أتى بجانب التضاد فن آخر من فنون البلاغة هو ذكر الخاص بعد العام[٣] ؛ فبعد أن نهى ضمناً عن أخذ مال اليتيم على وجه الإطلاق في قوله :{ وآتوا اليتامى أموالهم } عاد ليذكر هذا الوجه المخصوص من الأخذ وهو الاستبدال . هذا هو القرآن ، تتضافر فيه الفنون البلاغية لتُجلِّي إعجازه غير المتناهي .

ومنه قوله تعالى :

{ مَـــنْ يشفَعْ شفاعةً حسنةً يكُنْ لهُ نصيبٌ منها ومَنْ يشفعْ شفاعةً سيئةً يكنْ لهُ كِفْلٌ منها وكانَ اللهُ على كلِّ شيءٍ مُقيتاً }[٤] .

مجمـــل الآيـــة لبيان أن للنبي – صلى الله عليه وسلم – فيما أمر به وحـــرض عليه من الجهاد وأعمال الخير كافة – حظاً موفوراً من ثوابها ، هو ومن اقتفى أثره واهتدى بهداه إلى يوم الدين ، وبالمقابل كل من ثبَّط عن

١ــ انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٤ ، ص٨٨ .
وكذا تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٤٧٩ .
وكذا (الكشاف) ، ج١ ، ص٢٤٢ .
٢ــ انظر (في ظلال القرآن) ، ج٢ ، ص٢٣٩ .
٣ــ وهو لون من ألوان الإطناب يفيد زيادة التنبيه على الخاص المذكور مرتين .
٤ــ الآية (٨٥) .

الجهاد وعن أعمال الخير ودعا إلى نقيضه فله نصيب من وزرها مساوٍ لها في المقدار[١] .

والطباق في الآية بين (حسنة) و(سيئة) ، وهما صفتان متضادتان للشـفاعة ، والشفاعة الحسنة تكون في البر والطاعة ، فمن شفع في الخير ليـنفع فله نصيب من أجرها عند المولى سبحانه . أما الشفاعة السيئة فهي فـي المعاصي ، ومن يشفع في الشر – كمن سعى بالنميمة والغيبة أو لأي فساد – كان له كفل من وزرها[٢] .

وتضاد معنييهما أدى إلى اختلاف التعبير عن الجزاء (بـنصيب) و(كفل) . لأن النصيب : الحظ من كل شيء خيراً كان أو شراً ولا يشترط فيه وجود المماثل ، بعكس الكفل الذي يستعمل في الشر والشدة أكثر ، وهو في الآية يعني الوزر والإثم وإن كان يعني – في الأصل – الحظ[٣] المماثل لحـظ آخر[٤] ، فلا يقال هذا كفل فلان حتى يكون قد هُيِّءَ لغيره مثله[٥] . وبالـتالي كـان التعبير عن (الجزاء في جانب الشفاعة الحسنة بأنه نصيب إيمـاءً إلى أنـه قـد يكون له – أي الشافع – أجر أكثر من ثواب من شُفِعَ عندَهُ)[٦] ، وفي ذلك حث على قبول الشفاعة الحسنة والإخلاص في السعي مـن أجـلها بما يعود على المستضعفين بالنفع الكبير وعلى المجتمع بالخير العميـم . كما يكون ذكر الكفل في جانب الشفاعة السيئة مدعاة للتنفير منها والله أعلم .

وقد يكون طباق الإيجاب بين فعلين كقوله تعالى :

١ـ انظر تفسير أبي السعود ج١ ، ص٥٥٩ بتصرف .

٢ـ انظر (فتح القدير) للشوكاني ، ج١ ، ص٤٩٢ .

٣ـ انظر (فتح القدير) ، ج١ ، ص٤٩٣ .

٤ـ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص١٤٤ .

٥ـ انظر (لسان العرب) ، مادة (كفل) . وفي التنزيل : { يؤتكم كفلين من رحمته } ، (٤٨) ، الحديد . قيل ضعفين . لأن المادة لا تضعف بنفسها .

٦ـ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص١٤٤ .

{ فــإنْ خفــتُمْ ألاّ تعدلوا فواحدةً أو ما ملكتْ أيمانُكُمْ ذلكَ أدنى ألاّ تعولوا }[١] .

العــول : الميــل في الحكم إلى الجور ، والعَوْلُ : النقصان ، وعالَ الميزان : مالَ[٢] . والعدلُ : ما قام في النفوس أنه مستقيم ، وهو من أسماء الله الحســنى ، فسبحانه لا يميل به الهوى فيجور في الحكم[٣] . والعول في قولــه تعالى :{ ألاّ تعولوا } هو (الميل المحظور المقابل للعدل)[٤] الوارد في قوله تعالى :{ ألاّ تعدلوا } . فالطباق هنا واضح بين الفعلين عن طريق الإيجاب ، إذ المعنيان المتضادان منفيان معاً .

أما إذا كان قوله تعالى :{ تعولوا } بمعنى : يكثر عيالكم فالطباق قائم أيضــاً ، لكنه طباق معنوي أو خفي[٥] ؛ لخفاء التضاد فيه وحاجته إلى نوع من إعمال الفكر والتأمل ، فكثرة العيال تؤدي إلى كثرة المؤونة والإنفاق ، ومــن ثَــمَّ الفقر ، وهو فقر ناتج عن سوء تصرف العائل إذ لم يتحرج من كــثرة الزوجات المنهي عنها في هذه الآية ، ومجموع كل ذلك ظلم العيال بســوء المعاملة والنفقة والتربية . فالجمع هنا بين العدل وما يتعلق بالجور وهو الفقر ، إذ الفقر يتسبب عنه الجور المقابل للعدل . وغرض التضاد في هــذه الآية – كما لا يخفى – تعليل الأمر المنهي عنه . وهو طباق مرشح بتجنيس رائع بين (تعدلوا) و(تعولوا) سيأتي ذكره في حينه .

ومنه قوله تعالى :

١ــ جزء من الآية (٣) .

٢ــ انظر (لسان العرب) ، مادة (عول) .

٣ــ انظر المرجع السابق ، مادة (عدل) .

٤ــ انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٤ ، ص١٩٦ .

٥ــ الطباق المعنوي أو الخفي : هو الجمع بينَ أمر وما يتعلق بمقابله .

انظــر (عــلم البديع) للدكتور عبد العزيز عتيق ، ص٨١ . دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة بدون ، ١٤٠٥هــ ، ١٩٨٥م .

وكذا (البلاغة فنونها وأفنانها) ، ج٢ ، ص٢٧٨ .

{ لــلرجالِ نصيبٌ ممّا تركَ الوالدانِ والأقربونَ وللنساءِ نصيبٌ ممّا تركَ الوالدانِ والأقربونَ ممّا قلَّ منهُ أو كَثُرَ نصيباً مفروضاً }[١] .

الطباق واضح بين الفعلين (قلّ) و(كثر) وطريقه الإيجاب بإثبات المعنيين المتضادين .

تضـــع هـــذه الآية (المبدأ العام الذي أعطى الإسلام به النساء منذ أربعـــة عشـــر قرناً حق الإرث كالرجال – من ناحية المبدأ – كما حفظ به حقـــوق الصـــغار الذين كانت الجاهلية تظلمهم وتأكل حقوقهم)[٢] . وقوله تعـــالى :{ مما قل منه أو كثر } بدلٌ من { مما ترك الوالدان والأقربونَ } ، (وفائدتـــه دفع توهم اختصاص بعض الأموال ببعض الورثة)[٣] ، فإيراد المعـــنيين المتضادين هنا غرضه التسوية بين القلة والكثرة في الموروث ، والـــتأكيد على الأحقية في كافة الأنواع والأصناف عن طريق الكناية ، لذا فهو طباق مرشح أيضاً .

ومما جاء فيه هذا النوع الطباق خفياً قوله تعالى :

{ فـــإنْ كرهـــتموهُنَّ فعســـى أنْ تكرهوا شيئاً ويجعلَ اللهُ فيهِ خيراً كثيراً }[٤] .

وجـــود الخير في الشيء يقتضي حُبَّهُ ؛ لأن النفس مجبولة على حب الخير ، هذا ما سوغ الطباق بين (تكرهوا) و{ يجعل الله فيه خيراً كثيراً }، وهـــو طـــباق معـــنوي خفي جمع بين الكره وما يتعلق بالحب وهو وجود الخير ، إذ وجود الخير يتسبب عنه الحب المقابل للكره .

وغرض هذا الطباق التنبيه على حقيقة الحب والكره ، فكأن المعنى : { فـــإن كرهـــتموهن } فلا تفارقوهن لكراهية الأنفس وحدها فربما كرهت

١ــ الآية (٧) .

٢ــ انظر (في ظلال القرآن) ج٢ ، ص٢٥٧ ، ٢٥٨ .

٣ــ انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٤ ، ص٢١١ .

٤ــ جزء من الآية (١٩) .

النفس ما هو أصلح لها في الدين وأحمد وأدنى إلى الخير وأحبت ما هو بضد ذلك[١] .

ثانياً : طباق السلب :

ومن أمثلته في سورة النساء قوله تعالى :

{ إنَّ اللهَ لا يغفرُ أنْ يُشرَكَ بهِ ويغفرُ ما دونَ ذلكَ لمَنْ يشاءُ ومَنْ يشرِكْ باللهِ فقدِ افترى إثماً عظيماً }[٢] .

وقد تكرر في قوله تعالى :

{ إنَّ اللهَ لا يغفرُ أنْ يُشرَكَ بهِ ويغفرُ ما دونَ ذلكَ لمَنْ يشاءُ ومَنْ يشرِكْ باللهِ فقدْ ضلَّ ضلالاً بعيداً }[٣] .

(أطلق الله تعالى نفي مغفرة الشرك وأثبت مغفرة ما دونه مقرونةً بالمشيئة)[٤] ؛ وذلك لأن الشرك الظلم الذي لا ظلم بعده ، والضلال الذي لا ضلال دونه ، والآية برهان ساطع على وجوب تنزيه العبادة لله سبحانه وتعالى وإخلاص القلب فيها ، كما أنها باب من أبواب فضل الله ورحمته على عباده لما تحمله من بشرى المغفرة من الرب الغفور الرحيم مهما بلغت خطايا العبد ما لم يشرك بالله أحداً إذا شاء سبحانه ذلك ، ولذا أحبها الإمام علي – كرم الله وجهه – ، فقد أخرج الترمذي وحسنه عن علي قال : " أحب آية إليّ في القرآن : { إنَّ الله لا يغفر أن يشرك به .. } الآية "[٥] .

١ــ انظر (الكشاف) ، ج١ ، ص٢٥٨ ، بتصرف .

٢ــ الآية (٤٨) .

٣ــ الآية (١١٦) .

٤ــ انظر (الكافي الشاف) لابن حجر العسقلاني في حاشية ناصر الدين الأسكندري على (الكشاف) ، ج١ ، ص٢٧٣ .

٥ــ انظر (فتح القدير) ، ج١ ، ص٤٧٦ .

وكذا انظر (جامع البيان) للطبري ، م٤ ، ج٥ ، ص٨٠ .

والطباق فيها بين (لا يغفر) و(يغفر) ، وطريقه السلب لأن المعنيين المتضادين أحدهما منفي والآخر مثبت . والغرض من إيراد هذا التضاد ظاهر بقوة خلال السياق ؛ فالشرك أكبر الكبائر ، وأعظم الذنوب إطلاقاً ، ليس هذا فحسب ، بل وإن بينه وبين ما دونه من الكبائر مدى بعيداً يناسب البعد بين المغفرة وعدمها ، فكل ما دونه قابل للمغفرة بمشيئة الله في حال عدم التوبة .

وتأتي نهاية الآية بتقرير لا يقبل الجدل مقروناً بقد ، ومُعَبَّراً عنه بالفعل الماضي ؛ ليؤكد ما أوضحه التضاد من المبالغة في عظم الشرك ، وكفى به إثماً عظيماً .

ومنه قوله تعالى :

{ ولا تهنوا في ابتغاءِ القومِ إنْ تكونوا تألمونَ فإنَّهُمْ يألمونَ كما تألمونَ وترجونَ منَ اللهِ ما لا يرجونَ وكانَ اللهُ عليماً حكيماً }[1] .

بدأت الآية الكريمة بالنهي عن إظهار الضعف أمام العدو والحث على القوة والجلد[2] ، وعُلِّلَ ذلك بقوله تعالى :{ إن تكونوا تألمون فإنهم يألمونَ كما تألمون } ، أي : (ليس ما تكابدون من الألم بالجراح والقتل مختصاً بكم إنما هو أمر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ، ثم إنهم يصبرون عليه ويتشجعون فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع أنكم أولى منهم بالصبر لأنكم { ترجون من الله ما لا يرجزن } من إظهار دينكم على سائر الأديان ومن الثواب العظيم في الآخرة)[3] .

والطباق في الآية بين (ترجون) و(لا يرجون) عن طريق السلب لأن المعنيين المتضادين من لفظ واحد وأحدهما منفي والآخر مثبت .

١ــ الآية (١٠٤) .

٢ــ انظر (فتح القدير) ، م١ ، ص٥١٠ .

٣ــ انظر (الكشاف) ، ج١ ، ص٢٩٦ .

والـــرجاء في اللغة : ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة[١] . وعليه فـــوروده مثبـــتاً فـــي حـــق المؤمنين ومنفياً في حق عدوهم (يكون وعداً للمســـلمين بـــأن الله ناصـــرهم ، وبشارة بأن المشركين لا يرجون لأنفسهم نصـــراً ، وأنهم آيسون منه بما قذف الله في قلوبهم من الرعب ، وهذا مما يفـــت فـــي ساعدهم)[٢] . ومن هنا كان للطباق عظيم الأثر في الحث على الثبات ورجاء النصر .

ومنه قوله تعالى :

{ لنْ يستنكِفَ المسيحُ أنْ يكونَ عبداً لله ولا الملائكةُ المقرَّبونَ ومَنْ يستنكِفْ عن عبادته ويستكبرْ فسيحشرُهُمْ إليه جميعاً }[٣] .

يقالُ : نكفْتُ من كذا واستنكَفْتُ : أنِفْتُ[٤] ، ونَكِفَ الرجلُ من الأمر بالكســـر ، نَكَفـــاً واســـتنكَفَ : أنِفَ وامتنعَ[٥] . وعليه يكون معنى الآية أن المســـيح (لـــن يـــأنف العبودية ولن يتنزه عنها ... ولن يستنكفَ الملائكة المقربون أن يكونوا عباداً لله)[٦] ، فقد (برّأ الله تعالى جهة المسيح – عليه السلام – من أقوالهم)[٧] التي تدعي له الألوهية ، فهو لن يأنف العبودية ولن يتـــنزه عنها ، حاشاه ذلك وهو النبي المرسل ، وكذلك(الذينَ هم في أعلى درجاتِ المخلوقين لا يستنكفونَ عن ذلكَ فكيف سواهم ؟)[٨]

والطباق في الآية بين الفعلين (لن يستنكف) و(من يستنكف) أتى موضـــحاً جـــرم هذه الفئة الضالة التي أنفت من عبادة الله وتعالت عليها ؛

١ـ انظر (المفردات) ، مادة (رجا) .

٢ـ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص١٩٠ .

٣ـ الآية (١٧٢) .

٤ـ انظر (المفردات) ، مادة (نكف) .

٥ـ انظر (لسان العرب) ، مادة (نكف) .

٦ـ انظر (فتح القدير) ، ج١ ، ص٥٤٢ .

٧ـ انظر (المحرر الوجيز) ، ج٢ ، ص١٤٠ .

٨ـ انظر (المحرر الوجيز) ، ج٢ ، ص١٤٠.

(لأنه إذا كان الأفضل وهو المسيح ... عبداً غير مستنكف من العبودية لزم مـــن ذلـــك أن مـــا دونـــه في الفضيلة أولى ألاّ يستنكف عن كونه عبداً لله تعالى)[1] . ، ولذلك استحقوا العذاب الأليم الوارد في قوله تعالى :

{ وأمـــا الذينَ استنكفوا واستكبروا فيعذبُهُمْ عذاباً أليماً ولا يجدونَ لهمْ من دونِ اللهِ ولياً ولا نصيراً }[2] .

وما ورد من نماذج في هذا المطلب وارد على سبيل التمثيل على ما للطـــباق مـــن دور بـــالغ الأهمية في دقة المعنى وتوضيحه لا على سبيل الحصـــر ، وغيـــر الـــوارد لا يخفى على متأمل ، وسبيله ميسر بإذن الله تعالى .

١ــ انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٥ ، ص٣٩ .

٢ــ جزء من الآية (١٧٣) .

المطلب الثاني : المقابلة .

يقـــال في اللغة : قابله : واجهه ، وقابل الشيءَ بالشيءِ عارضه به ليرى وجه التماثل أو التخالف بينهما[١] .

وهي في الاصطلاح : أن يؤتى بمعنيين فأكثر ثم يؤتى بما يقابل هذه المعاني على الترتيب[٢] .

وقـــد اختلف البلاغيون فيها : فبعضهم يجعلها فناً مستقلاً ، والبعض يجعـــلها من الطباق ، وهو الأولى ، يؤكد ذلك ابن رشيق بقوله : (أكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد ، فإذا جاوزَ الطباق ضدين كان مقابلة)[٣] .

وتقسم المقابلة عادة حسب عدد المتضادات ، اثنين باثنين ، أو ثلاثة بثلاثة حتى تبلغ مقابلة ستة معان بستة معان .

أولاً : مقابلة اثنين باثنين :

ومن أمثلتها قوله تعالى :

{ وابتـــلوا اليـــتامى حـــتّى إذا بلغوا النِّكاحَ فإنْ آنستُمْ منهُمْ رُشداً فادفعوا إليهِمْ أموالَهُمْ ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أنْ يكبروا ومَنْ كانَ غنياً فليســتغففْ ومَـــنْ كـــانَ فقيراً فليأكُلْ بالمعروفِ فإذا دفعْتُمْ إليهِمْ أموالَهُمْ فأشهِدوا عليهِمْ وكفى باللهِ حسيباً }[٤] .

موضع المقابلة :{ ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف } . والعفة : حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة ،

١ــ انظر (لسان العرب) ، مادة (قبل) .

٢ــ انظر (مفتاح العلوم) ، ص٢٠٠ .

وكذا (الإيضاح) ، ص٣٠٤ .

٣ــ انظر (العمدة) ، ص٢٥١ .

٤ــ الآية (٦) .

والاستعفاف طلب العفة[١] . فهذا الجزء من الآية (تخصيص لعموم النهي عن أكل أموال اليتامى في الآيتين السابقتين للترخيص في ضرب من ضروب الأكل ؛ وهو أن يأكل الوصي الفقير من مال محجوره بالمعروف ، لأنه إذا لم يُعْطَ وصِيُّهُ الفقير بالمعروف ألهاه التدبير لقوته عن تدبير مال محجوره)[٢] ، وفي هذا مضرة بمال اليتيم تفوق الأكل منه بالمعروف . وهذا الترخيص بالأكل مشروط بالاستعفاف عن أكل شيء منها مقابل القيام عليها – إذا كان الولي غنياً – ، والأكل منها في أضيق الحدود – إذا كان الولي محتاجاً[٣] – ، فقد روي عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أنه قال : " أنزلتُ نفسي من مال الله تعالى منزلة ولي اليتيم ، إن استغنيت استعففت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، وإذا أيسرت قضيته "[٤] .

كل هذا التشديد والتفصيل يشي بما كان سائداً في المجتمع الجاهلي من الجور على أموال اليتامى الضعاف ، وبما كان يحتاج إليه تغيير هذا العرف السائد بطريقة لا تدع مجالاً للتلاعب . وهكذا كان المنهج الرباني ينسخ معالم الجاهلية في النفوس والمجتمعات ، ويثبت معالم الإسلام ، ويجعل الضمان الأخير لتنفيذ التشريع تقوى الله[٥] ، { وكفى بالله حسيباً } .

فالغنى يقابل الفقر (غنياً – فقيراً) اسمين مثبتين ، وطلب العفة معناه الامتناع عن الأكل ، ويقابله الأكل مشروطاً بالمعروف – فعلين مثبتين – ، وهكذا نحصل على مقابلة معنيين بمعنيين مضادين . ولا يخفى أن مقابلة الغنى مع الاستعفاف بالفقر مع الاحتراز في الأكل قد أكّدت على

١ـ انظر (المفردات) ، مادة (عفّ) .

٢ـ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٤ ، ص٢٤٥ .

٣ـ انظر (في ظلال القرآن) ، ج٢ ، ص٢٥٥ .

٤ـ وهذا هو مذهبه رضي الله عنه ، فقد اعتبر الأكل من مال اليتيم عند الحاجة بمثابة الدين ، يجب قضاؤه عند الميسرة .

انظر (إرشاد العقل السليم) ، ج١ ، ص٤٨٦ .

٥ـ انظر (في ظلال القرآن) ، ج٢ ، ص٢٥٥ .

حرمة مال اليتيم مع ما فيها من ترخيص بالمخالطة التي لا تضر بمال اليتيم حتى لا يكون اليتيم في عزلة تضر به نفسياً ومادياً ، وحتى ينشأ عضواً نافعاً لنفسه ودينه ومجتمعه .

ومنه قوله تعالى :

{ واللاّتي تخافونَ نشوزَهُنَّ فعظوهُنَّ واهجروهُنَّ في المضاجعِ واضربوهُنَّ فإن أطعنَكُمْ فلا تبغوا عليهِنَّ سبيلاً ... }[١] .

(النشز : المرتفع من الأرض ، ومنه : نشزَ فلان عن مقره : نبا ، وكلُّ نابٍ ناشزٌ ، ونشوز المرأةِ : بغضها لزوجها ورفعها نفسها عن طاعته)[٢] .

وهذا الداء في المرأة وقف الإسلام منه موقف المعالج ، مبتدئاً بالوعظ كأن يقول لها الزوج : (اتقي الله ، فإن لي عليك حقاً وارجعي عمّا أنتِ عليه)[٣] ، وإذا لم ترتدع بذلك شدد المولى عليها بالهجر اختباراً لصدق رغبتها في زوجها ، فإن اتضح عدم رغبتها فيه فقد رُخِّص للزوج الضرب المقيّد بشروط كعلاج أخير للحفاظ على الكيان الأسري قبل انهياره نهائياً .

والنشوز هنا يقابل الطاعة المشار إليها في قوله تعالى :{ فإن أطعنكم } ، فإذا حصلت الطاعة { فلا تبغوا عليهن سبيلاً } ، والبغي : طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى ، تجاوَزَهُ أم لم يتجاوزه ، يقال : بغيتَ الشيء : إذا طلبتَ أكثر ما يجب[٤] ، والمعنى (لا تطلبوا عليهن الضرب

١ـ جزء من الآية (٣٤) .

٢ـ انظر (المفردات) / مادة (نشز) .

٣ـ انظر (التفسير الكبير) للرازي ، ج١٠ ، ص٩٠ .

٤ـ انظر (المفردات) ، مادة (بغى) .

والهجران طريقاً على سبيل التعنت والإيذاء)[١] . فالتعنت في الإيذاء هو البغي المنهي عنه نصاً ، وعليه تكون المقابلة بين النشوز مع أساليب علاجه ، وبين الطاعة مع النهي عن البغي – هي الطريقة التي وضعت بها هذه الآية قاعدة سليمة للأزواج يتعلمون منها كيفية التعامل مع الزوجات في كل الأوضاع .

والمقابلة بمجموعها تقابل قوله تعالى :

{ فالصالحات قانتاتٌ حافظاتٌ للغيبِ بما حفِظَ اللهُ ... }[٢] .

قال الرازي : (واعلم أنه تعالى لما ذكر الصالحات ذكر بعده غير الصالحات)[٣] لاستيفاء أحوال خلائق النساء في المجتمع المسلم مع تغليب صفة الصلاح فيهن ، وجعل صورة النشوز محدودة معالجة .

وتأتي المقابلة أحياناً لتفيد التفصيل بعد الإجمال مع توضيح المعنى وتأكيده . وفي الموضع التالي تحمل مع ذلك تسلية لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتثبيتاً للمؤمنين . اسمع قوله تعالى حكاية عن بني إسرائيل :

{ فمِنْهُمْ مَنْ آمنَ بهِ ومِنْهُمْ مَن صدَّ عنْهُ وكفى بجهنَّمَ سعيراً }[٤] .

١ـ انظر (التفسير الكبير) ، ج١٠ ، ص٩٠ .

روى عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أنه قال : كنا معشر قريش تملك رجالنا نساءهم فقدمنا المدينة فوجدنا نساءهم تملك رجالهم ، فاختلطت نساؤنا بنسائهم فذئرن على أزواجهن فأتيت النبي – صلة الله عليه وسلم – فقلت له : ذئرت النساء على أزواجهن . فأذنَ في ضربهن ، فطاف بحجر نساء النبي – صلى الله عليه وسلم – جمع من النسوان كلهن يشكون أزواجهن ، فقال – صلى الله عليه وسلم – : " لقد طاف الليلة بآل محمد سبعون امرأة كلهن يشكون أزواجهن ولا تجدون أولئك خياركم " فدل هذا الحديث على أن الأولى ترك الضرب . انظر المرجع السابق .

وجاء في اللسان : ذَئِرت المرأة على بعلِها وهي ذائر : نشزت وتغير خلقُها . وقد ذكر الحديث السابق ، مادة (ذئر)

٢ـ جزء من الآية (٣٤) .

٣ـ انظر (التفسير الكبير) ، ج١٠ ، ص٨٩ .

٤ـ الآية (٥٥) .

الإيمان : (إذعان النفس للحق على سبيل التصديق)[١] ، وهو إظهار الخضوع والقبول فإذا قال قائلٌ : آمنتَ بكذا وكذا فمعناهُ : صدَّقتُ[٢] . و(الصدودُ والصَّدُّ قد يكون انصرافاً عن الشيء وامتناعاً عنه ، وقد يكون صرفاً ومنعاً)[٣] أي : صرف النفس أو صرف الغير. وقد ذكرت من قبلُ أن حرف الجر (الباء) معناه الإلصاق ، كما تأتي للتعدية[٤] ، و(عن) الأصل في معناه المجاوزة[٥] . فهذه الآية بكل ما مر تحكي ماضي بني إسرائيل ({ فمنهم من آمن به } أي بهذا الإيتاء وهذا الإنعام الذي أنعم الله به على آل إبراهيم – عليه السلام – من الكتاب والحكمة ، { ومنهم من صد عنه } أي كفر به وأعرض عنه وسعى في صد الناس عنه)[٦] .

إذن قوبل فعل الإيمان بفعل الصدود ، وقوبل الإلصاق في معنى الباء بالمجاوزة في معنى عن ؛ إذ الإلصاق يدل على أشد القرب والقبول – وهو الإيمان ، وهل ألصق من الإيمان بالقلب – ، والمجاوزة تدل على الابتعاد والنفور ، والكفر بالله والصد عنه أبلغ ما تصوره هذه المقابلة البليغة فقد صورت حال اليهود منذ العهد القديم ، حيث لم يراعوا الفضل ، ولم يحتفظوا بالنعمة ، ولم يصونوا العهد القديم بل كان منهم فريق من غير المؤمنين . ومَن يؤت هذا الفضل كله لا يليق أن يكون من الجاحدين

١ــ انظر (المفردات) ، مادة (أمن) .

٢ــ انظر (لسان العرب) ، مادة (أمن) .

٣ــ انظر (المفردات) ، مادة (صدّ) .

٤ــ انظر (مغني اللبيب) ج١ ، ص١٠١ .
وكذا (معاني الحروف) للرماني ، ص٣٦ .

٥ــ انظر (مغني اللبيب) ، ج١ ، ص١٤٧ .
وكذا (معاني الحروف) ، ص٩٤ .

٦ــ انظر تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص٥١٤ .

الكافرين ، كما أنها تهدف إلى تسلية رسول الله محمد – صلى الله عليه وسلم – وتثبيته على الحق والدفاع عن دينه ، فهو ليس بدعاً من الرسل .

ثانياً : مقابلة ثلاثة معان بثلاثة أخرى :

ومن أمثلتها في سورة النساء قوله تعالى :

{ إنَّ الذينَ كفروا بآياتِنا سوفَ نصليهِمْ ناراً كلَّما نضِجَتْ جلودُهُمْ بدَّلْناهُمْ جلوداً غيرَها ليذوقوا العذابَ إنَّ اللهَ كانَ عزيزاً حكيماً * والذينَ آمنوا وعملوا الصالحات سنُدخِلُهُمْ جناتٍ تجري من تحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها أبداً لهُم فيها أزواج مطهرةٌ وندخلُهُمْ ظلاًّ ظليلاً }[١] .

{ الذينَ كفروا } يقابل { الذينَ آمنوا } ، و{ نصليهم ناراً } يقابل { سندخلهم جنات } إذ أصل الصَّلى الإيقاد بالنار ، يقال : صلي بالنار وبكذا أي : بُلِيَ بها ... وصَلِيَ الكافر النار : قاسى حرها ، وقيل : صَلِي النار : دخل فيها ، وأصلاها غيره[٢] ، وعليه فالصلى دخول إلى النار خاصة ، ووصف العذاب يقابل وصف النعيم ، فالعذاب الذي يكون بإصلاء النار ولإنضاج الجلود وتبديلها لاستمرار العذاب صورة مضادة للنعيم في جريان الأنهار والأزواج المطهرة والظل الظليل . وقيمة هذه المقابلة تكمن في تصوير نعيم الجنة وعذاب النار بصورة حسية واضحة تدفع المتأمل إلى الاختيار الصحيح للفئة التي يرغب أن يكون منها ، والله أعلم .

ومنها قوله تعالى :

{ إنَّ الذينَ يكفرونَ باللهِ ورُسُلِهِ ويريدونَ أن يفرِّقوا بينَ اللهِ ورُسُلِهِ ويقولونَ نؤمنُ ببعضٍ ونكفرُ ببعضٍ ويريدونَ أنْ يتخذوا بينَ ذلكَ سبيلاً * أولئكَ همُ الكافرونَ حقاً وأعتدْنا للكافرينَ عذاباً مهيناً * والذينَ آمنوا باللهِ

١ــ الآيتان (٥٦ ، ٥٧) .

٢ــ انظر (المفردات) ، مادة (صلا) .

ورُسُلِه ولمْ يفرِّقوا بينَ أحدٍ منهُمْ أولئكَ سوفَ يؤتيهِمْ أجورَهُمْ وكانَ اللهُ غفوراً رحيماً }[١] .

فـ { الذين يكفرون } يقابل { الذين آمنوا } ، و{ يريدونَ أن يفرقوا } يقابل { ولم يفرقوا } ، و { أعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً } يقابل { سوف يؤتيهم أجورهم } أي : ينعم عليهم أجر إيمانهم . و (من عادة القرآن الكريم عند التعرض إلى أحوال من أظهروا النِّواء للمسلمين أن ينتقل من صفات المنافقين أو أهل الكتاب أو المشركين إلى صفات الآخرين)[٢] ، وهكذا جيء بآية ({ والذين آمنوا بالله ورسله } إلى آخرها لمقابلة المسيئين بالمحسنين والنذارة بالبشارة على عادة القرآن)[٣] ؛ لإيضاح العاقبة وبيان الفرق الشاسع بين الفريقين إذ بضدها تتضح الأشياء .

ثالثاً : مقابلة أربعة معان بأربعة أخرى :

ومن أمثلتها قوله تعالى :

{ تلكَ حدودُ اللهِ ومَنْ يُطِعِ اللهَ ورسولَهُ يُدخلْهُ جنَّاتٍ تجْري منْ تحتِها الأنْهارُ خالدينَ فيها وذلكَ الفَوزُ العظيمُ * ومَنْ يَعصِ اللهَ ورسولَهُ ويتعدَّى حدودَهُ يُدخلْهُ ناراً خالداً فيها ولَهُ عذابٌ مهينٌ }[٤] .

بدأت الآية الكريمة (بالإشارة إلى الأحكام التي ذُكِرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث)[٥] ، وعقّبت على أنها الحد الفاصل بين السعادة والشقاء ، فالواقف عندها لابد أن يكون طائعاً لله ورسوله ، نائلاً جنانه ، فائزاً بفضله ، وما أعظمها من نعمة من الله على عباده الواقفين عند تلك الحدود ؛ تعظيماً لها ، وامتثالاً وطاعة لمشرعها ، وذلك الفوز

١ــ الآيات (١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢) .
٢ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٦ ، ص٨ .
٣ــ انظر المرجع السابق ، ج٦ ، ص١٢ .
٤ــ الآيتان (١٣ ، ١٤) .
٥ــ انظر (الكشاف) ، ج١ ، ص٢٥٥ .

العظيم . وبمقابل هذه الصورة المشرقة تظهر صورة العصيان المعتمة ، وجزاؤها الردع لمن لم تحده تلك الحدود ، فيتجاوزها طغياناً وكفراً ، فنال مقابل ذلك ناراً خالداً فيها يتذوّق هوان العذاب . لقد أظهرت هذه المقابلة كلاً من هاتين الصورتين بأوضح ما يكون عليه النعيم والفوز العظيم وأبشع ما يكون عليه العذاب المهين ؛ لتحقق مقصداً من مقاصد القرآن الكريم وهو الدعوة إلى إخلاص العقيدة عن طريق الترغيب والترهيب . ومما يثير الاهتمام ذكر النعيم قبل العذاب ، والطاعة قبل المعصية ؛ دليلاً على أنها الفطرة السليمة التي فُطِر عليها الخلق ، وأن المعصية شذوذ مخالف لتلك الفطرة .

ومثله قوله تعالى :

{ إنّما التوبةُ على اللهِ للذينَ يعملونَ السوءَ بجهالةٍ ثمَّ يتوبونَ منْ قريبٍ فأولئكَ يتوبُ اللهُ عليهِمْ وكانَ اللهُ عليماً حكيماً * ولَيستِ التوبةُ للذينَ يعملونَ السيئاتِ حتى إذا حضرَ أحدَهُمْ الموتُ قالَ إنّي تُبْتُ الآنَ ولا الذينَ يموتونَ وهمْ كفارٌ أولئكَ اعتدنا لهُمْ عذاباً أليماً }[1] .

تحدثت الآية الكريمة عن فئتين مذنبتين : إحداهما تعمل السوء بجهالة وإقدام على الذنب دون روية[2] ، ثم يسارعون في التوبة والفرار إلى الله ، أولئك وعدوا القبول تفضلاً منه سبحانه عليهم . هذه هي الصورة الأولى في المقابلة ، مركبة من أربعة عناصر : إثبات التوبة لهذه الفئة تفضلاً من المولى سبحانه وتعالى ؛ لأن ما عملوه من سوء مرده الجهالة ، إما لعدم علمهم بحرمته ، وإما طيشاً منهم وسفهاً ولم تتعمده قلوبهم ، ويدل على ذلك مبادرتهم في الاستغفار والتوبة ؛ اعترافاً منهم بالخطأ وثقة بربهم الغفّار ، وهو أعلم بنواياهم ، حكيم في توبته عليهم . أما الجانب الآخر في هذه المقابلة بعناصرها الأربعة هو نفي قبول التوبة مقابل إثباتها هناك ،

١ــ الآيتان (١٧ ، ١٨) .

٢ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٤ ، ص٢٧٨ ، بتصرف .

وذلك لما هم عليه من حال يناقض القبول : فهم يعملون السوء بإصرار وعدم مبالاة مع تمادٍ واستمرار ، حتى أتتهم لحظة الفراق وغرغرت ، وأنى لهم التوبة بعد ذلك ، فحق عليهم أن يُسلكوا في زمرة الذين يموتون وهم كفار ؛ تأكيداً على عدم قبول توبتهم ، (وأن وجودها كعدمها)[١] ، وهكذا جسمت هذه المقابلة شريحتين من شرائح المجتمع وصورت حالهم ، بكل ما فيها من مقدمات ونتائج ، بهدف تبصرة الواعين وحثهم على المسارعة في التوبة والتطهير من الذنب قبل أن يحل العذاب الأليم .

هكذا نرى أن المقابلة فن بديعي جميل ، فهو لا يعني بحال من الأحوال رص المعاني والألفاظ ، إنما يعني تجسيمها وإبرازها بأوضح ما تكون عليه للعيان .

١ــ انظر (فتح القدير) للشوكاني ، ج١ ، ص٤٣٩ .

المطلب الثالث : التورية .

التورية لغة : مصدر وَرَيْتُ ... وَرَيتُ الشيء وواريَتُه : أَخْفَيْتُهُ ، وتوارى هو : استتر[١] ، ووريت الخبر تورية إذا سترته ، وأظهرت غيره[٢].

واصطلاحاً : هو أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان ، أحدهما قريب ظاهر غير مراد ، والآخر بعيد خفي هو المراد بقرينة[٣] .

هذا المعنى البعيد وُرِيَ عنه بالمعنى القريب ليتوهم السامع لأول وهلة أن المعنى الأول هو المراد ، وليس كذلك . وقد خرجت تورية القرآن من هذا الحد الأخير ، حيث إن المعنيين – القريب والبعيد – مرادان لأن القرآن منزه من التوهم وهو كتاب الله الناصع البيان ، ولكنه يخاطب الناس على قدر عقولهم ، فيفهم منه العالم والفقيه مالا يفهمه الإنسان العادي ، والتورية فيه من هذا الباب .

١ــ انظر (لسان العرب) ، مادة : (وري) .

٢ــ انظر (جواهر البلاغة) للهاشمي ، ص٢٨٨ .

٣ــ انظر المرجع السابق الصفحة نفسها .

وصنفت التورية إلى ثلاثة أضرب :

١ ــ مجردة : وهي التي لم يذكر فيها لازم من لوازم المعنى القريب ، مثل قول أبي بكر رضي الله عنه وقد سئل عن النبي صلى الله عليه وسلم حين الهجرة فقال :" هادٍ يهديني " أراد هادياً يهديني للإسلام ولكنه ورّى عنه بهادي الطريق وهو الدليل في السفر .

٢ ــ مرشحة : وهي التي يذكر فيها لازم المورّى به وهو المعنى القريب ، وهي قسمان :

أ ــ قسم يذكر فيه الترشيح قبلها ، كقوله تعالى :{ **والسماءُ بنيناها بأيدٍ** } ، فاليد هنا القدرة وقد قرنت بالبناء الذي يناسب المعنى القريب ، وهو الجارحة ، ولا يمنع أن الله جلّ وعلا قد بناها بيده الشريفة .

ب ــ قسم يذكر فيها اللازم بعدها .

٣ ــ مبينة : وهي ما قرنت بما يلائم المعنى البعيد .

انظر (علوم البلاغة) للمراغي ، ص٣٠٦ .

ولاشك أن في الوصول إلى المعنى البعيد متعة ذهنية ودقة في فهم النص .

ومن أمثلة التورية في سورة النساء المباركة قوله تعالى :

{ وإنْ خفتُم ألاّ تُقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طابَ لكُمْ منْ النساءِ مثنى وثُلاثَ ورباعَ فإنْ خفتُم ألاّ تعدِلوا فواحدةً أو ما ملكَتْ أَيْمانكُمْ ذلكَ أدْنَى ألاّ تعولوا }[١] .

لفظ التورية : { تعولوا } ، جاء في اللسان[٢] العول : الميل في الحكم إلى الجور ، عال يعول عولاً : جار ومال عن الحق .

وقد يكون هذا هو المعنى القريب لوجود ما يرشحه في أول الكريمة : { وإن خفتم ألا تقسطوا } ، والقسط هو العدل ، ويكون العول مقابلاً له ، وهو الأقرب إلى الذهن ؛ فيكون هنا الميل المحظور المقابل للعدل ، (والعدل أجدر أن يُراعى في المحضن الذي يضم الأسرة)[٣] ، ولكن المفسرين قد وجهوا المعنى أيضاً إلى كثرة العيال ، ودليلهم في ذلك إظهار ميزة الالتزام بالواحدة ؛ لأنه يقال : عال الرجل إذا كثرت عياله ، اسمع أحدهم يقول : (وقد فُسر بأنه لا يكثر عيالكم ، على أنه من عال الرجل عياله يعولهم ، أي مانهم ، فعبّر عن كثرة العيال بكثرة المؤونة على طريق الكناية ، ويؤيده قراءة " أن لا تعيلوا " من عال الرجل إذا كثرت عياله)[٤] ، والكثرة أيضاً مظنة الميل والجور والعجز ، فيكون كثرة العيال هو المعنى البعيد لهذه التورية[٥] ، وقيمتها البلاغية في احتمال ورود المعنيين ، وهو من باب إيجاز القصر .

١ـ الآية (٣) .

٢ـ مادة : (عول) .

٣ـ انظر (في ظلال القرآن) ، ج٢ ، ص٢٥٢ .

٤ـ انظر (إرشاد العقل السليم) ، ج١ ، ص٤٨٢ .

٥ـ قد يكون هذا المعنى البعيد عند البعض هو المعنى القريب وإن كان مبنياً على المعنى الكنائي .

ومثله قوله تعالى :

{ وآتوا النساءَ صدُقاتِهِنَّ نِحلةً فإنْ طبنَ لكُمْ عن شيءٍ منهُ نفساً فكلوهُ هنيئاً مريئاً }[١] .

التورية في قوله (نحلة) ، (وهي عطية على سبيل التبرع ، وهو أخص من الهبة ، إذ كل هبة نحلة ، وليس كل نحلة هبة . واشتقاقه أنه من النَّحْلِ نظراً منه إلى فعله ، فكأنك نحلته أي أعطيته عطية النحل ... ، وسمي الصداق بها من حيث إنه لا يجب في مقابلته أكثر من التمتع)[٢] .

وهذا في اعتقادي المعنى القريب لهذه التورية أي أن هذا الصداق هبة وهدية من الزوج ، أما المعنى البعيد لنحلة فهي هدية وهبة من الله تعالى جعلها المولى حقاً من حقوق المرأة من مال الزوج ، ثم إن هذه الهدية أوعز الله للمرأة أن تعطي منها الرجل شيئاً قليلاً إن أرادت ذلك ليكون قد أخذ هو الآخر هدية من الله ، وكأن هذا التهادي من الله أول بركة تحملها الأسرة عند نشأتها لتقوم بعد ذلك صلة المودة والرحمة المشار إليها بحكمة الزواج في قوله تعالى :

{ ومن آياتِهِ أن خلقَ لكُمْ من أنفسِكُمْ أزواجاً لتسكنوا إليها وجعلَ بينَكُمْ مودةً ورحمةً ... }[٣] .

وقد أكد هذا التواصل الأسري العظيم تذييل الآية بقوله : **{ إنَّ في ذلكَ لآياتٍ لقومٍ يتفكَّرونَ }** ، أي : يلمحونَ إشارات الله عز وجل عند بناء الأسرة المسلمة .

١ـ الآية (٤) .

٢ـ انظر (المفردات) ، مادة (نحل) .

٣ـ الآية (٢١) ، سورة الروم .

ومنه قوله تعالى :

{ يا أيُّها الذينَ آمنوا إذا ضربْتُمْ في سبيلِ اللهِ فتبيَّنوا ولا تقولوا لمَنْ ألقى إليكُمُ السلامَ لستَ مؤمناً تبتغونَ عرضَ الحياةِ الدُّنيا فعندَ اللهِ مغانِمُ كثيرةٌ ... }[١] .

لفظ التورية (ضربتم) ، قال الراغب[٢] : الضرب : إيقاع الشيء على الشيء ، ولتصور اختلاف الضرب خولف بين تفاسيرها كضرب الشيء باليد ، أو العصا ، والسيف ونحوه ، قال تعالى : { فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان }[٣] ، وقال تعالى : { فضربَ الرِّقابِ }[٤] . والضرب في الأرض : الذَّهاب فيها بضربها بالأرجل . قال تعالى : { وإذا ضربتم في الأرض }[٥] ، إذن المعنى المقرر في { ضربتم في سبيل الله } هو الذهاب في الأرض في ما يرضي الله ، وقد يكون هو المعنى القريب عند البعض ، ولكن هل يمنع أن يكون معناها : ضرب الرقاب ، أي : القتل في سبيل الله جهاداً ؟ وهو المعنى المرشح له سبب نزول الآية ، وقوله تعالى { فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً } ، وبذلك يكون الغرض من الكناية جمع المعنيين وتقديمها لله طاعة ومحبة وامتثالاً .

١ــ جزء من الآية (٩٤) .

٢ــ انظر (المفردات) ، مادة (ضرب) .

٣ــ جزء من الآية (٣) ، سورة الأنفال .

٤ــ جزء من الآية (٤) ، سورة محمد .

٥ــ ذكر ابن كثير عن ابن عباس قال : مر رجل من بني سليم بنفر من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – يرعى غنماً له فسلم عليهم فقالوا : لا يسلم علينا إلاّ ليتعوذ منا ، فعمدوا إليه فقتلوه وأتوا بغنمه النبي – صلى الله عليه وسلم – فنزلت الآية : { يا أيها الذينَ آمنوا } إلى آخرها .

انظر تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص٥٣٩ .

المطلب الرابع : التوجيه[١] .

هو إيراد الكلام محتملاً لوجهين متضادين كالمدح والهجاء أو الذم والثناء ، ولا بد أن يكون هذا الاحتمال على حد سواء ، فلو كان أحد الوجهين متبادراً إلى الذهن لم يكن توجيهاً .

ومثاله الوحيد في سورة النساء قوله تعالى :

{ مِنَ الذينَ هادوا يحرِّفونَ الكَلِمَ عن مواضعِهِ ويقولونَ سمعنا وعصينا واسمعْ غيرَ مُسْمَعٍ وراعِنا ليّاً بألسنتِهِمْ وطعناً في الدينِ ولو أنَّهُمْ قالوا سمعنا وأطعْنا واسمع وانظُرنا لكانَ خيراً لهُمْ وأقومَ ولكنْ لعنَهُمُ اللهُ بكفرِهِمْ فلا يؤمنونَ إلاَّ قليلاً }[٢] .

الموضع الأول للتوجيه قولهم { واسمع غير مسمع } ، وهو حال من المخاطب ، أي : اسمع وأنت غير مسمع ، وهو قول ذو وجهين ، يحتمل الذم أي : اسمع منا مدعواً عليك بلا سمعتَ ؛ لأنه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان أصم ... أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه ، ومعناه غير مسمع جواباً فكأنك لم تسمع شيئاً ، أو اسمع غير مسمع كلاماً ترضاه فسمعك عنه نابٍ[٣] .

١ـ انظر (مفتاح العلوم) ، ص٢٠٢ .
وكذا (الإيضاح) ، ص٣٢٨ .
وكذا (شروح التلخيص) ، ج٤ ، ص٤٠٠ .
وكذا (بغية الإيضاح) لعبد المتعال الصعيدي ، ج٤ ، ص٥٤ .
وكذا (علوم البلاغة) للمراغي ، ص٣٢٢ .
وكذا (جواهر البلاغة) للهاشمي ، ص٣٠٧ .
وكذا (علم البديع) للدكتور بسيوني عبد الفتاح ، ج٢ ، ص٦١ .

٢ـ الآية (٤٦) .

٣ـ انظر (الكشاف) ، ج١ ، ص٢٧١ .

وهذا وجه السوء فيه ، ولكنهم أوهموا أنفسهم أن من يسمعهم لا يعرف غرضهم ويتوهم فيه الصلاح ، أي : غير مسمع مكروهاً أبداً .

والموضع الثاني قولهم (راعنا) ، وهو يحتمل : راعنا نكلمكَ ، أي : ارقبنا وانتظرنا ، ويحتمل شبه كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابونَ بها ، وهي (راعينا)[١] . وفي عملهم هذا عمدوا إلى إيصال الأذى إلى الرسول بطريقة خفية لا يؤاخذون عليها ، ولكن الله كشفهم وفضح أمرهم ببيان تحريفهم للكلم .

(وتحريف الشيء إمالته ، كتحريف القلم ، وتحريف الكلام أن تجعله على حرف من الاحتمال فيمكن حمله على الوجهين)[٢] ، وهو ظاهر في قولهم { اسمع غير مسمع } أما قولهم (راعينا) فالغالب فيه هو اللي لأنهم يخرجون الكلمة بطريقة يلوون فيها ألسنتهم حتى تعبر عما أرادوا .

قال الشوكاني : (معنى { لياً بألسنتهم } أنهم يلوونها عن الحق : أي يميلونها إلى ما في قلوبهم)[٣] ، فنهوا عن ذلك لما فيه من المخالفة وسوء الأدب .

وقد عقب الخطيب على هذه الآية تعقيباً لطيفاً ، قال : (فإن قلت : كيف جاءوا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا : { سمعنا وعصينا } ؟ قلت : جميع الكفرة كانوا يواجهونه – صلى الله عليه وسلم – بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء ، ويجوز أن يقولوه فيما بينهم ، ويجوز أن لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جُعلوا كأنهم نطقوا به)[٤] ، ويقصد قولهم : { سمعنا وعصينا } .

١ـ انظر (الكشاف) ، ج١ ، ص٢٧٢ .
٢ـ انظر (المفردات) ، مادة (حرف) .
٣ـ انظر (فتح القدير) ، ج١ ، ص٤٧٥ .
٤ـ انظر (الإيضاح) ، ص٣٢٩ .

وجملة القول في هذا الفن البلاغي أنه (أسلوب يجعل صاحبه في مأمن من المؤاخذة والعقاب لأنه يقول كلاماً يحتمل وجهين . فإذا شاء مال به إلى الذم فينال من مذمومه ، وإذا شاء مال به إلى المدح فينجو من المؤاخذة ويبرأ من الإثم)[١] .

والفرق بينه وبين التورية أن التوجيه يكون أحد معنييه عكس الآخر ، أما التورية فلا . والله أعلم .

١ــ انظر (علم البديع) للدكتور بسيوني عبد الفتاح ، ج٢ ، ص٦٣ .

المطلب الخامس : الجمع والتفريق وحسن التقسيم .

هذه أمور تزيد الأسلوب روعة وبهاء ودقة في الأداء ؛ وذلك لأنها تقوم على تفصيل المعاني وترتيبها وبيان علاقة اللاحق بالسابق سعياً وراء الوضوح والتأكيد . نجدها في الأسلوب القرآني متفرقة كما نجدها مجتمعة ، وناهيك بها عندما تجتمع في نص تجعله ينطق بالحسن وينادي بالإعجاز .

ومما يخص بحثنا :

أولاً : الجمع :

وهو أن يجمع بين شيئين أو أشياء في حكم واحد[١] ، مثاله في سورة النساء قوله تعالى :

{ إنَّ اللهَ يأمُرُكُمْ أنْ تؤدُّوا الأماناتِ إلى أهلِها وإذا حكمْتُمْ بينَ الناسِ أنْ تحكموا بالعدلِ إنَّ اللهَ نِعِمَّا يعظُكُمْ بهِ إنَّ اللهَ كانَ سميعاً بصيراً }[٢] .

لقد جمع الحق تبارك وتعالى بين أداء الأمانات والعدل في الحكومات[٣] في صفة واحدة وهي قوله تعالى : { نِعِمَّا يعظُكُمْ بهِ } . والغرض البلاغي من هذا الجمع بيِّنٌ واضح ، حيث إن الأمرين وإن يبدوا متفرقين فإن معدنهما واحد ؛ فالحكم بالعدل لون من أداء الأمانات إلى أهلها ، أي إعطاء كل ذي حق حقه سواء كان المعطى مادياً أو معنوياً .

١ـ انظر (الإيضاح في علوم البلاغة) ، ص٣١٤ .

٢ـ الآية (٥٨) .

نـزلت الآية في عثمان بن طلحة عندما قبض النبي – صلى الله عليه وسلم – مفتاح الكعبة يـوم فتح مكة ، فدخلها وهو يتلو هذه الآية ، فدعا عثمان ، ودفع إليه المفتاح وقال : " خذوها يا بني طلحة بأمانة الله لا ينزعها منكم إلا ظالم "

انظر (العجاب في بيان الأسباب) لابن حجر العسقلاني ، ج٢ ، ص٨٩١ ، ٨٩٢ .

٣ـ انظر تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص٥٤٠ .

وبالمثل فأداء الأمانات ما هو إلا حكم بالعدل . وهما من أعظم ما أُرشِدْنا إليه ؛ إذ بهما صلاح الدين والدنيا .

ثانياً : التفريق :

وهو إيقاع تباين بين أمرين من نوع واحد[١] . وصوره في سورة النساء كثيرة جداً ، منها ما جاء به تفصيل القول في نوع التوبة المرجى قبولها عند الله سبحانه وتعالى ، وبيان ذلك عن طريق المقارنة بينها وبين نقيضتها ، وذلك في قوله تعالى :

{ إنَّما التوبةُ على اللهِ للذينَ يعملونَ السوءَ بجهالةٍ ثمَّ يتوبونَ مِنْ قريبٍ فأولئكَ يتوبُ اللهُ عليهِمْ وكانَ اللهُ عليماً حكيماً * وليستِ التوبةُ للذينَ يعملونَ السيِّئاتِ حتّى إذا حضرَ أحدَهُمُ الموتُ قالَ إنِّي تُبْتُ الآنَ ولا الذينَ يموتونَ وهُمْ كُفَّارٌ أولئكَ أعتدْنا لهُمْ عذاباً أليماً }[٢] .

التوبة أعظم ما من به الله على أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – والأعظمُ منها تلكَ الفسحةُ الزمنيةُ المتاحة في قبولها ، ولذلك احتيج إلى التفريق المقرون بحسن التقسيم ؛ حتى تبرز معالمها وتتحددَ شروطُها .

والشرط الأول عمل السوء بجهالة ؛ والجهالة عصيان الله خطأً أو عمداً . أخرج ذلك ابن كثير عن مجاهد قال : (من عصى الله خطأً أو عمداً فهو جاهل حتى ينزع عن الذنب)[٣] ، ونزوعه عن الذنب يدل على عدم الإصرار . أما الشرط الثاني فهو نزوع النفس الدائم إلى الإقلاع عن الذنب ، والله سبحانه بإحاطة علمهِ يهيئ لهذا العبد توبةً مقبولة حتى وإن كانت المهلة بينها وبين الموتِ قصيرة[٤] . وحتى يتأكَّدَ ذلك المعنى قوبلت

١ــ انظر (علوم البلاغة) للمراغي ، ص٣١٤ .

٢ــ الآيتان (١٧ ، ١٨) .

٣ــ انظر تفسيره ، ج٢ ، ص٤٦٤ . وقد أورد أحاديث كثيرة تؤيده .

٤ــ انظر تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص٤٦٤ .

هذه الصورة بصورة (من يعمل السوء مصراً عليه – لذلك لم تذكر في هذه الصورة الجهالة – حتى وقع اليأس من الحياة وعاين الملكَ وخرجتْ الروح في الحلق وضاق بها الصدر وبلغت الحلقوم ، وغرغرت النفس صاعدة في الغلاصم فلا توبة مقبولة حينئذ ولات حين مناص)[١] . ويؤكد معنى إصرارهم على الذنب وجرأتهم على ارتكابه هذا الجمع الذي ظهرت فيه كلمة (السيئات) مقابل الإفراد في كلمة (السوء) .

ثالثاً : صحة التقسيم :

وهي ذكر متعدد ثم إضافة ما لكلِ إليه على التعيين[٢] . ومن بديع صحة التقسيم قوله تعالى :

{ فإذا قضيتُمُ الصلاةَ فاذكروا اللهَ قياماً وقعوداً وعلى جنوبِكُمْ فإذا اطمأنَنْتُمْ فأقيموا الصلاةَ إنَّ الصلاةَ كانَتْ على المؤمنينَ كتاباً موقوتاً }[٣] .

لم يترك سبحانه قسماً من أقسام الهيئات إلا أتى به . ومثل هذه الآية قوله تعالى :

{ وإذا مسَّ الإنسانَ الضُرُّ دعانا لجنبِهِ أو قاعداً أو قائماً ... }[٤] .

(ولكن وقعت بين ترتيب الآيتين مغايرة أوجبتها البلاغة ، فتضمن الكلام بها الائتلاف. وذلك أن الذكر يجب فيه تقديم القيام لأن المراد به الصلاة والله أعلم ، والقيام واجب فيها للمستطيع ، والقعود بعده عند العجز عن القيام ، والاضطجاع عند العجز عن القعود . والضر يجب فيه تقديم الاضطجاع ، وإذا زال بعض الضرّ قعد المضطجع ، وإذا زال كلُّ الضرِّ

١ـ انظر تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص٤٦٥ .

٢ـ انظر (علوم البلاغة) للمراغي ، ص٣١٤ .

وتقييد التقسيم بقوله (على التعيين) يخرج اللف والنشر لأنه ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل إليه ليس على التعيين اللفظي وإنما يعتمد فيه على الفطنة .

٣ـ الآية (١٠٣) .

٤ـ الآية (١٢) ، سورة يونس .

قام القاعد فدعا لتتم الصحة وتكتمل القوة ، ويحصل التصرف فإن قلن : هذا التأويل لا يتم إلا إذا كانت الواو هي العاطفة فلِمَ عدل عنها وبها يحصل في الكلام حسن النسق وائتلاف الألفاظ مع المعاني إلى (أو) التي يسقط معها ذلك ؟ قلت : تأثير الضرّ على أقسام : فإن من الضرّ ما يصرع المضرور عند وروده ، ومنه ما يقعده ، ومنه ما يأتي وصاحبه قائم ولا يبلغ به شيئاً من هذه الحالات ، والدعاء عند أول مسّ الضرّ فإن الصبر والجزع عند الصدمة الأولى ، فوجب العدول عن الواو لـ (أو) لتوخّي الصدق في الخبر ، والكلام على ذلك موصوف بالائتلاف وحسن النسق ... فحصل حسن الترتيب وائتلاف الألفاظ بمعانيها ، وترجّحَ مجيء أو على مجيء الواو لما تدل عليه من تعدد المضطرين دون الواو)[١] . والتقسيم في الآيتين صور المعاني بأدق ما يكون عليه التصوير .

ومما جاء فيه حسن التقسيم والجمع والتفريق في سياق واحد يعزز بعضه بعضاً قوله تعالى :

{ تلكَ حدودُ اللهِ ومَنْ يُطِعِ اللهَ ورسولَهُ يُدخلْهُ جنَّاتٍ تجري من تحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها وذلكَ الفوزُ العظيمُ * ومَنْ يعصِ اللهَ ورسولَهُ ويتعدَّ حدودَهُ يُدخلْهُ ناراً خالداً فيها ولهُ عذابٌ مهينٌ }[٢] .

الإشارة التي بدأت بها الآيتين لكل ما تقدم قبلها من أحكام تعم الدنيا والدين ، جمعت جميعها في هذه العبارة : { تلكَ حدود الله } .

ثم بني على هذا الجمع صورتان متضادتان في الهيئة والنتيجة ، صورة من أطاع الله ، وصورة من عصاه ، وهذا هو التفريق .

ثم نجد لكل صورة من الصورتين السابقتين تفصيلات في الهيئة والنتيجة أيضاً ؛ فالمطيع لله جل شأنه لا بد أن يكون مطيعاً لكل ما جاء به

١ــ انظر (تحرير التحبير) لابن أبي الإصبع المصري ، ص١٧٥ .
٢ــ الآيتان (١٣ ، ١٤) .

رسوله الكريم من الأقوال والأعمال تصديقاً وعملاً ، وعندها يستحق الجزاء العظيم بدخول تلك الجنات الموصوفة بأعظم نعمة يمتنها المولى على عباده ألا وهي نعمة الماء الذي جعل منه الخالق كلَّ شيءٍ حيٍ ، حتى حياة الخلود ينبتها الله تعالى بماء من السماء ، ناهيك عن ما تشير إليه من التمتع بالجمال ، فالجنات التي تجري من تحتها الأنهار خضرة ينعم بها المُنَعَّمُ نظرهُ ، وماءٌ يزيد الحياة جمالاً وبهجة ، وذلك الفوز العظيم .

وبالمقابل تقرر الآية الثانية هيئة العاصي ، عصيانه للرب جل جلاله ، وعصيانه للرسول الأمين – صلى الله عليه وسلم – ، وتجرُّؤه على حدود الله ، ولذلك يستحق – بعدل الله سبحانه وحكمته – أن يقذف في نار لا خلاص منها ولا نهاية لها ، وذلك هو العذاب ، وفوق العذاب مهانة هي أشد من النار عذاباً على نفوس المتكبرين . فما أجمل هذا التقسيم !

ومن أوضح صور حسن التقسيم والجمع والتفريق هذه الآية المباركة ، قال تعالى :

{ يوصيكُمُ اللهُ في أولادِكُمْ للذكَرِ مثلُ حظِّ الأنثيينِ فإنْ كُنَّ نساءً فوقَ اثنتينِ فلهُنَّ ثُلُثا ما تركَ وإنْ كانَتْ واحدةً فلها النِّصفُ ولأبويهِ لكُلِّ واحدٍ منهُما السُّدُسُ ممّا تركَ إنْ كانَ لهُ ولدٌ فإنْ لمْ يكُنْ لهُ ولدٌ وورثَهُ أبواهُ فلأمِّهِ الثُّلُثُ فإنْ كانَ لهُ إخوةٌ فلأمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بعدِ وصيَّةٍ يوصي بها أو دينٍ آباؤكُمْ وأبناؤكُمْ لا تدرونَ أيُّهُمْ أقربُ لكُمْ نفعاً فريضةً منَ اللهِ إنَّ اللهَ كانَ عليماً حكيماً }[1] .

أتى الجمع في قوله تعالى : { يوصيكم الله في أولادكم } لعموم لفظ الولد بين الجنسين . ثم يأتي التفريق في قوله تعالى : { للذكر مثلُ حظِّ الأنثيينِ } . ثم يتبع هذا العموم حسن تقسيم بهذه التفصيلات الدقيقة التي أسست علم المواريث .

١ــ الآية (١١) .

فجمعت الآية الكريمة هذه الفنون البديعية الجميلة وسخرتها – كعادة القرآن الكريم – لإيضاح هذه الأمور المهمة ، والتأكيد عليها في أسلوب رائع لا يشعر الإنسان معه بصعوبة المادة العلمية التي احتوتها الآية .

ومما هو بسبيل من ذلك قوله تعالى :

{ الرجالُ قوّامونَ على النساءِ بما فضَّلَ اللهُ بعضَهُمْ على بعضٍ وبما أنفقوا مِنْ أموالِهِمْ فالصالحاتُ قانتاتٌ حافظاتٌ للغيبِ بما حفظَ اللهُ واللاتي تخافونَ نشوزَهُنَّ فعظوهُنَّ واهجروهُنَّ في المضاجعِ واضربوهُنَّ فإنْ أطعنَكُمْ فلا تبغوا عليهِنَّ سبيلاً إنَّ اللهَ كانَ علياً كبيراً }[١] .

لقد جعل المولى – جل ذكره – للرجال حق القوامة على النساء ، وعلّلَ ذلك بسببين هما : الأفضلية لاعتبارات مادية ومعنوية فصلها المفسرون[٢] ، والنفقة .

ثمَّ رتب المولى سبحانه على ذلك تقسيم النساء إلى فريقين : الفريق الأول صالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ، وهذه فئة لها من التكريم ما سوغ للأسلوب القرآني عزلها عما يليها وتعداد هذه الصفات العظيمة لها ، والسكوت عن كيفية التعامل معها يعطي مدى أوسع في تكريمها ؛ لأن السكوت في كثير من الأحيان أبلغ وأدق من الكلام .

أما الفريق الثاني فهن على وشك أن يكنَّ على نقيض الفريقِ الأول ، تلك الفئة المذكورة في قوله تعالى : { واللاتي تخافون نشوزهن } ، ولم يزد على ذلك ، أي لم يعدد لهن صفات سوء تقابل الصفات الحسنة التي ذكرت

١ـــ الآية (٣٤) .

٢ـــ منها صفات حقيقية مثل العلم لأن عقول الرجال وعلومهم أكثر ، والقدرة لأن قدرتهم على الأعمال الشاقة أكمل ، فلهذين السببين حصلت الفضيلة للرجال على النساء في العقل والحزم والقوة . انظر (التفسير الكبير) للرازي ، ج١٠ ، ص٨٨ .

من قبل . والنشوز في اللغة : الارتفاع والعلو[١] ، ونشوز المرأة : الترفع والاستعلاء على الزوج[٢] .

هذا التقسيم يستند في أساسه على الأخلاق وحسن المعاشرة ، والأمر بالنسبة للفريق الأول واضح ، أما الفريق الثاني فإنه قد اقتضت حكمة التشريع أن يكون التعامل معهن على مراحل : أولها الوعظ ، فإذا أطاعت الزوجة فلا سبيل للرجل عليها بالظلم والتعدي . وإن لم يكن الوعظ هو العلاج الناجع لدائها فالترقي معها إلى مرحلة الهجر ، وفيه أذى نفسي شديد ، ولا سبيل للبغي عليها إن أطاعت ، وإلا فالأذى الجسدي هو الطريق الوحيد لعلاجها قبل تدخل الأطراف الأخرى من أهله وأهلها ، وهي المرحلة الأخيرة المذكورة في قوله تعالى :

{ وإنْ خِفتُمْ شقاقَ بينِهِما فابعثوا حكماً مِنْ أهلِهِ وحكماً مِنْ أهلِها إنْ يريدا إصلاحاً يوفِّقِ اللهُ بينَهُما إنَّ اللهَ كانَ عليماً خبيراً }[٣] .

حيث يخرج أمر معالجة الخلاف من محيط الأسرة الصغيرة إلى محيط الأسرة الكبيرة ، وهذا دليل ساطع على قدسية رباط الزوجية ، فإن بقي في النفوس علاقة خير – والله أعلم بها – يوفق الله بينهما ، وإن لم يكن كذلك فالحل الأخير الفراق ، وهو مسكوت عنه هنا أيضاً لترجيح الخير على الشر ، وللتنبيه على أن الصلح أحسن من الطلاق لأنه أبغض الحلال ، وله يهتز عرش الرحمن .

وفي كل ما سبق حسن تقسيم بعد التفريق الرائع الذي قسم فيه مجتمع الزوجات إلى قسمين لا ثالث لهما ، والله أعلم وأحكم .

١ــ انظر (المفردات) ، مادة (نشز) .

٢ــ تتنزه ألفاظ القرآن الكريم عن تسمية هذه الحالة بكلمة خبيثة جرياً على عادة القرآن ، ورفعة وعلواً لشأن المرأة المسلمة حتى في حالة مخالفتها لبعض أحكام الدين ، فتصفها مع هذا بالعلو وليس بالعكس .

٣ــ الآية (٣٥) .

ومما يحتوي هذه الألوان البديعية ظاهرة للعيان قوله تعالى :

{ وما كانَ لمؤمنٍ أنْ يقتلَ مؤمناً إلاّ خطأً ومَنْ قتلَ مؤمناً خطأً فتحريرُ رقبةٍ مؤمنةٍ ودِيَةٌ مسلَّمةٌ إلى أهلِه إلاّ أنْ يصَّدَّقوا فإنْ كانَ مِنْ قومٍ عدوٍ لكُمْ وهوَ مؤمنٌ فتحريرُ رقبةٍ مؤمنةٍ وإنْ كانَ مِنْ قومٍ بينَكُمْ وبينَهُمْ ميثاقٌ فديةٌ مسلَّمةٌ إلى أهلِه وتحريرَ رقبةِ مؤمنة فمَنْ لمْ يجدْ فصيامُ شهرينِ متتابعيْنِ توبةً منَ اللهِ وكانَ اللهُ عليماً حكيماً }[١] .

نفت الآية الكريمة أن يكون في إذن الله وأمره أن يقتل المؤمن أخاه المؤمن بوجه إلا أن يكون ذلك القتل عن غير قصد[٢] وذلك تأكيداً لحرمة دم المؤمن ، وتحقيقاً لأخوة الإسلام .

ثمَّ تُفصِّل الآيات طريق الخلاص من هذا الذنب العظيم – وإن كان ارتكابه عن طريق الخطأ – فتبين أولاً أن كل التقسيمات الواردة في الآية بنيت على اختلاف عقيدة أهل القتيل . وقد أوضح المولى فيها جميع الاحتمالات التي يمكن أن ترد : فإن كانوا مؤمنين فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله ، وإن كانوا غير ذلك فلا حق لهم في الدية ويبقى حق الله الممثل في تحرير رقبة مؤمنة ، والحالة الثالثة أن يكونوا ممن لهم مع المؤمنين عهد وميثاق فلهم الدية مع تحرير الرقبة المؤمنة ، وفي حالة العجز المادي يستبدل تحرير الرقبة بصيام شهرين متتابعين طلباً للتوبة والمغفرة ، ولا يبقى بعد هذا التفصيل أي لبس في تطهير المؤمن من هذا الذنب العظيم .

١ـ الآية (٩٢) .

٢ـ انظر (المحرر الوجيز) ، ج٢ ، ص٩٢ .

المطلب السادس : مراعاة النظير والتناسب والائتلاف .

ومفادها أن تجمع في الكلام بين أمرين أو أمور متناسبة لا بالتضاد[١] . ومنه ما يسمى تشابه الأطراف : وهو أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى[٢] . وأمثلته في سورة النساء كثيرة منها قول الحق تبارك وتعالى :

{ مَنْ يشفعْ شفاعةً حسنةً يكُنْ لهُ نصيبٌ منْها ومَنْ يشفَعْ شفاعة سيِّئةً يكُنْ له كِفلٌ منها وكانَ اللهُ على كلِّ شيءٍ مُقيتاً }[٣] .

كثرت أقوال العلماء في المقصود بالشفاعة ، وجمعها قول الحسن : (الشفاعة الحسنة هي في البر والطاعة والسيئة في المعاصي)[٤] . فمن يشفع شفاعة حسنة خصه المولى سبحانه بنصيب من هذا الحسن . والنصيب هو الحظ المنصوب أي : المُعيَّن[٥] ، وأكثر استعماله في الخير ، (فالجزاء في جانب الشفاعة الحسنة سمي نصيباً إيماءً إلى أنه يكون للشافع من الأجر أكثر من ثواب من شُفِعَ عنده[٦] ، وفيه تناسب وائتلاف لإثارة الهمم في النهوض للشفاعة الحسنة . ويتضح هذا بمقابلتها بجزاء الشفاعة السيئة[٧] ، حيث استبدلت كلمة (نصيب) بكلمة (كفل) وهو النصيب أيضاً ، ولكنه يستعمل كثيراً في الشدة . قال الراغب : (لأن الكفل هاهنا

١ـ بالقيد الأخير يخرج التضاد المسمى طباق أو مقابلة .
انظر (علوم البلاغة) للمراغي ، ص٣٠٠ .

٢ـ المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

٣ـ الآية (٨٥) .

٤ـ انظر (البحر المحيط) ، ج٣ ، ص٣٠٩ .

٥ـ انظر (المفردات) ، مادة (نصب) .

٦ـ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص١٤٤ . بتصرف يسير .

٧ـ إطــلاق الشفاعة على السعي في الشر من باب المشاكلة ، وهو لون بديعي سيأتيك إن شاء الله بعد قليل .

ليس بمعنى الأول ، بل هو مستعار من الكِفْل ، وهو الشيء الرديء واشتقاقه من الكَفَل ، وهو أن الكِفْل بما كانَ مَرْكَباً ينبو براكبه صار متعارفاً في كل شدة)[١] ، فلا يجر على صاحبه إلا سوء المصير .

ومن الائتلاف وتشابه الأطراف قوله تعالى :

{ يريدُ اللهُ أنْ يُخفِّفَ عنكُمْ وخُلِقَ الإنسانُ ضعيفاً }[٢] .

وجّه معظم المفسرين هذا الضعف الذي خُلق الإنسان فيه إلى أمر النساء ؛ لأن الآية أتت في سياق إباحة الزواج من الإماء[٣] . (ثم بعد هذا المقصد تخرج الآية في مخرج التفضل ، لأنها تتناول كل ما خفّف الله به عن عباده ، وجعله الدين يسراً ، ويقع الإخبار عن ضعف الإنسان عاماً ، حسبما هو في نفسه ضعيف يستميله هواه في الأغلب)[٤] ، وله طاقة محدودة لا يستطيع تعديها سواء في أمور الدين[٥] أو الدنيا ، فالله سبحانه خالقه لا يزال مراعياً رفقه بهذا الإنسان الضعيف ، وبهذه الأمة بالذات بإرادته بها اليسر دون العسر[٦] .

ومن جميل ما جاء بهذا الفن البديعي قوله تعالى :

١ــ انظر (المفردات) ، مادة (كفل) . وقال الكِفْل فالسيساء ، وهو العظم الثابي من ظهر الحمار فيقال :" لأحملنَّك على الكفل وعلى السيساء " كناية عن التهديد بركوب المصاعب .

٢ــ الآية (٢٨) .

٣ــ انظر تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص٤٨٠ .

وكذا (الكشاف) ، ج١ ، ص٢٦٤ .

وكذا (البحر المحيط) ، ج٣ ، ص٢٢٨ .

وكذا (فتح القدير) ، ج١ ، ٤٥٦ .

٤ــ انظر (المحرر الوجيز) ، ج٢ ، ص٤١ .

٥ــ انظر تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص٤٨٠ .

ومنها المحاورة التي دارت بين موسى كليم الله – عليه والسلام – ومحمد – صلى الله عليه وسلم – لتخفيف الصلاة .

٦ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص٢٢ .

{ والذينَ آمنوا وعملوا الصالحاتِ سندخلُهُم جناتٍ تجري مِنْ تحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها أبداً لهُمْ فيها أزواجٌ مطهَّرةٌ وندخِلُهُمْ ظلاً ظليلاً }[١] .

نعمة عظيمة يبشر الرحمن بها عباده الصالحين في هذه الآية على قصرها ، منها جريان الأنهار ، والنفوس في الدنيا تتهافت على ذلك مع عظم الفرق بين هذه الأنهار وتلك التي في الجنات . ثم نعمة الخلود ، وهل أحب منها ؟ ثم نعمة الأزواج المطهرة[٢] ، وتتوج تلك النعم الجليلة بنعمة الظل الظليل ، قيل إنه ظل العرش الذي لا يزول[٣] ، وقال ابن كثير : ({ وندخلهم ظلاً ظليلاً } أي : ظلاً عميقاً كثيراً غزيراً طيباً أنيقاً)[٤] . وأخرج ابن جرير عن أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : " إنَّ في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها (شجرة الخلد)"[٥] .

والتناسب المعنوي بين ذلكَ الظلِّ الظليل وبين نعمة الأزواج المطهرة كبير ، حيث إن من أجل النعم على الإنسان وألصقها بالنفس الخلوة في مكان ظليل لا تقع عليه عيون الآخرين ، والله أعلم وأحكم .

ومنه قوله تعالى :

{ واعبدوا اللهَ ولا تشركوا بهِ شيئاً وبالوالدينِ إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكينِ والجارِ ذي القربى والجارِ الجُنُبِ والصاحبِ بالجنبِ وابنِ السبيلِ وما ملكَتْ أيمانُكُمْ إنَّ اللهَ لا يحبُّ مَنْ كانَ مختالاً فخوراً }[٦] .

١ــ الآية (٥٧) .

٢ــ أي : مطهرة من الأقذار والأذى .

انظر تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص٥١٦ .

٣ــ انظر (فتح القدير) للشوكاني ، ج١ ، ص٤٨٠ .

٤ــ انظر تفسير ابن كثير ج١ ، ص٥١٦ .

٥ــ انظر المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

٦ــ الآية (٣٦) .

مراعاة النظير واضحة في تناسب تلك الفئات التي يتناولها الأمر بالإحسان ، مع حسن ترتيب في الأقرب بالنسبة للمأمور ، وإحسانه إليهم بعد إعطاء الخالق حقه من العبادة والشكر دليل قوي على صحة الإيمان والتقوى ، ومن لم يمتثل لأمر الله ونهيه فهو مختال فخور لا يستحق محبة الله له ورحمته به . وهذا من حديث تشابه الأطراف ؛ لأن هذا التذييل { إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً } وثيق الصلة بوجوب الامتثال لما أمر الله به ونهى عنه في مطلع الآية الكريمة ، والمختال الفخور هو ذلك المتكبر على عبادة الله ، ومن كان كذلك فلا خير يرجى منه مع كافة العباد ابتداء بالوالدين حتى الصاحب وابن السبيل وما ملكت اليمين . وهكذا كان التناسب بيّناً واضحاً في ترتيب سياق الآية ، وزاده وضوحاً وجمالاً ائتلاف { مختالاً فخوراً } مع غرض الآية الأساسي ، وائتلاف الكلمتين مع بعضهما ؛ لأن الذي يفخر بنفسه أو بما يمت إليه بصلة لا بد أن يكون مختالاً ، وهما صفتان ذميمتان يكرههما الرحمن بدليل هذه الآية .

ومثله قوله تعالى :

{ ما يفعلُ اللهُ بعذابِكُمْ إنْ شكرتُمْ وآمنتُمْ وكانَ اللهُ شاكراً عليماً }[1] .

سبحانه ، أي منفعة له في عذابكم ؟ بل إيمانكم وشكركم لأنفسكم ، فهو سبحانه يتقبل أقل شيء من العمل وينميه ، فذلك شكر منه لعباده[2] . ثم تنتهي الآية بقوله سبحانه (عليماً) تحذيراً وندباً في نفس الوقت إلى الإخلاص في الإيمان والشكر[3] المذكورين في الآية الكريمة ، وذلك من تشابه الأطراف .

١ـ الآية (١٤٧) .

٢ـ انظر (المحرر الوجيز) ، ج٢ ، ص١٢٨ .

٣ـ قال ابن عطية : والشكر على الحقيقة لا يكون مقترناً بالإيمان ، لكنه ذكر الإيمان تأكيداً وتنبيهاً على جلالة موقعه . انظر (المحرر الوجيز) ، ج٢ ، ص١٢٨ .

المطلب السابع : المشاكلة .

هي لغة : المماثلة . واصطلاحاً ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً[١] . وأمثلتها في سورة النساء كثيرة جداً ، نختار منها قوله تعالى :

{ إنَّ الذينَ يأكُلونَ أموالَ اليتامى ظُلماً إنَّما يأكُلونَ في بُطُونِهِم ناراً وسَيَصلَونَ سعيراً }[٢] .

موضع المشاكلة { يأكلون ناراً } ، عبّر بالنار تجوزاً أولاً ؛ مشاكلة للسعير ثانياً ، وهي مشاكلة نادرة ، لأن المعروف في أكثر أمثلتها أن يُتجوز ثانياً ليشاكل الأول[٣] .

ومنه قوله تعالى :

{ وكيفَ تأخذونَهُ وقدْ أفضى بعضُكُمْ إلى بعضٍ وأخذْنَ منكُمْ ميثاقاً غليظاً }[٤] .

المشاكلة في قوله تعالى : { وأخذن منكم ميثاقاً } ، حيث سميت المواثقة بالعقد أو العشرة أو الولد[٥] بالأخذ مشاكلة لقوله تعالى : { وكيف تأخذونه }[٦] ، وبلاغة هذه المشاكلة في تصوير هذا الميثاق بالشيء الثمين

١ــ انظر (الإيضاح) ، ص٣٠٨ . وزاد الدكتور بسيوني عبد الفتاح : ذكر المعنى بلفظ غيره أو بلفظ مضاد للفظ غيره أو مناسب له ، انظر (علم البديع) ج٢ ، ص٦٤ .

ويقصد من تحقيقاً : أي إطلاق لفظ يمت إلى لفظ الغير بصلة ما .

٢ــ الآية (١٠) .

٣ــ غالباً ما تبنى المشاكلة على الاستعارة أو المجاز المرسل لأنها تسمية الشيء بغير ما وضع له .

انظر (علم البديع) للدكتور بسيوني عبد الفتاح ، ج٢ ، ص٦٩ .

٤ــ الآية (٢١) .

٥ــ انظر (المحرر الوجيز) ، ج٢ ، ص٣٠ .

٦ــ الضمير في تأخذونه عائد على المهر المدفوع عند العقد على الزوجة فلا يحل للرجل أخذه .

انظر المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

الغالي الذي تقبضه الزوجة مقابل عشرتها مع زوجها فيسبغ على الحياة الزوجية الراحة والأمان .

ومما هو منه بسبيل قوله تعالى :

{ فقاتلْ في سبيلِ اللهِ لا تُكَلَّفُ إلاّ نفسَكَ وحرِّضِ المؤمنينَ عسى اللهُ أنْ يكُفَّ بأسَ الذينَ كفروا واللهُ أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلاً }[١] .

سميت قدرة الله على العدو بأساً مشاكلة لما سبقها ، أي :(هو قادر عليهم في الدنيا والآخرة)[٢] . ولكن ظهور هذه القدرة باسم البأس سيدخل الروع والخوف في قلوب الأعداء ، وبالمقابل يطمئن الله به المؤمنين ويشد من عضدهم .

ومثله قوله تعالى :

{ إنَّ المنافقينَ يخادعونَ اللهَ وهوَ خادعُهُمْ ... }[٣] .

فنسبة الخداع إلى الله – جل جلاله – من باب المشاكلة اللفظية ؛ لأنه سبحانه قادر عليهم وسيجازيهم لقاء خداعهم عذاباً أليماً ، ولكن تسمية هذا الجزاء بالخداع فيه ما فيه من التهديد والوعيد والتخويف ، فالذي يعلم أنه سيخدع تضطرب نفسه ويبيت ويصبح في شقاء ، فما ظنك إن كان هذا الخداع ممن يملك عليه أنفاسه ؟

ومن روائع المشاكلة البلاغية قوله تعالى :

{ يسألُكَ أهلُ الكتابِ أنْ تُنزِّلَ عليهِمْ كتاباً من السماءِ فقدْ سألوا موسى أكبرَ من ذلكَ فقالوا أرنا اللهَ جهرةً فأخذتهُمُ الصاعقةُ بظلمِهِمْ ثمَّ اتخذوا العجلَ من بعدِ ما جاءتهُمُ البيناتُ فعفونا عنْ ذلكَ وآتينا موسى سلطاناً مبيناً }[٤] .

١ـ الآية (٨٤) .

٢ـ انظر تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص٥٣٢ .

٣ـ جزء من الآية (١٤٢) .

٤ـ الآية (١٥٣) .

جاء ذكر اليهود بعنوان أهلية الكتاب مشاكلاً سؤالهم الرسول بأن ينزل عليهم كتاباً وما كان مقصدهم إلا التحكم والعنت[١] ، وهذا ما تنبه عليه مشاكلة تسميتهم أهل الكتاب بطلبهم إنزال كتاب من السماء ، حيث لو كان ذلك حجة مسلّمة عندهم لكفاهم كتابهم الذي أُنزل عليهم سابقاً وكان أكبر مدعاة لهم للإيمان والتصديق بهذا النبي الذي أكد كتابهم السابق نبوته .

والأسلوب القرآني يكتفي فقط بذكر المشاكلة عن كل تلك المعاني التي نبهت لها ويلتفت إلى أمور أخرى هي أعظم عند الله ، حيث سألوا موسى – عليه السلام – رؤية الله جهرة ، ثم اتخاذهم العجل إلهاً من دون الله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وفي كل ما سبق كانت المشاكلة تحقيقية ، ولكنها تأتي تقديرية أيضاً ، ومن أمثلتها قوله تعالى :

{ ألم ترَ إلى الذينَ أوتوا نصيباً منَ الكتابِ يؤمنونَ بالجبتِ والطاغوتِ ويقولونَ للذينَ كفروا هؤلاءِ أهدى منَ الذينَ آمنوا سبيلاً }[٢] .

قوله تعالى :{ يؤمنون بالجبت والطاغوت } شاكل قوله تعالى : { أوتوا نصيباً من الكتاب } ، لأن إيتاءهم ذلك يدل على إيمانهم بالله ولكن إيمانهم بالجبت والطاغوت دل على كفرهم بالله سبحانه وتعالى ، فكانت المشاكلة هنا تقديرية ؛ لأن الكلمة المستعملة شاكلت نقيض الكلمة الأولى ، وفي وصفهم بالإيمان بالجبت والطاغوت تأكيد قوي على تأصل الكفر في قلوبهم .

ومن روائع هذا الفن قوله تعالى :

١ــ انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٦ ، ص٥ .

٢ــ الآية (٥١) .

{ إنَّ الذينَ آمنوا ثمَّ كفروا ثمَّ آمنوا ثمَّ كفروا ثمَّ ازدادوا كفراً لمْ يكُنِ اللهُ ليغفرَ لهُمْ ولا ليهديَهُمْ سبيلاً * بشّرِ المنافقينَ بأنَّ لهُمْ عذاباً أليماً }[١] .

المشاكلة التقديرية في قوله تعالى (بشّر) حيث استعملت الكلمة بدل أنذر (على جهة التوبيخ)[٢] والسخرية مجاراة لحالهم الموضحة بالآية الأولى التي تنبئ عن سخريتهم واستهزائهم بالإسلام ؛ لذلك كانوا يترددون بين الإيمان والكفر استهتاراً ، فاستحقوا جزاءً بنفس أسلوب السخرية في إنذارهم بالعذاب بلفظ (بشّر) .

وفي الآية مشاكلتان تقديريتان أخريان : إحداهما في قوله تعالى : { إن الذين آمنوا ثم كفروا } ، هؤلاء هم المنافقون المذكورون في الآية الثانية . والمشاكلة الثانية في جزاء هؤلاء بأن الله لا يغفر لهم ولا يهديهم إلى الجنة ، وهذا هو العذاب الأليم الموجود في بشارة الآية الثانية ، وقد جاءت المشاكلة الأولى على سبيل الاستعارة التمثيلية ، مع ربط مفهوم الآية بقوله تعالى :

{ مذبذبينَ بينَ ذلكَ لا إلى هؤلاءِ ولا إلى هؤلاءِ }[٣] .

حيث شُبّهوا في ترددهم بين الإيمان والكفر بالشيء المعلق في مهب الريح لا يقر له قرار . أما المشاكلة الثانية فقد بُنِيَت على الكناية حيث دل الأسلوب على شدة السخرية بهم .

١ــ الآيتان (١٣٧ ، ١٣٨) .

٢ــ انظر (المحرر الوجيز) ، ج٢ ، ص١٢٥ .

٣ــ الآية (١٤٣) .

المبحث الثاني

المحسنات البديعية اللفظية

المطلب الأول : الجناس .

المطلب الثاني : السجع .

المطلب الثالث : رد العجز على الصدر .

المبحث الثاني : المحسنات البديعية اللفظية .

المطلب الأول : الجناس .

تعــريفه لغة : الجناس في اللغة من الجنس : وهو الضرب من كل شيء ... والجنس أعم من النوع ومنه التجانس والتجنيس يقال : هذا يجانس هذا أي يشاكله[١].

وفــي الاصطلاح : تشابه الكلمتين لفظاً واختلافهما معنى[٢]. وينقسم الجناس قسمين رئيسيين هما :

١ـ الجــناس الــتام : هو ما اتفقت فيه الكلمتان في نوع الحروف وعددها وحــركاتها وترتيــبها . وينقســم ثلاثة أقسام[٣] : جناس التماثل ، والجناس المستوفي ، وجناس التركيب .

٢ـ الجــناس غيــر التام : وهو ما اختلفت فيه الكلمتان في نوع الحروف وعددها أو حركاتها أو ترتيبها وينقسم أربعة أقسام[٤] : الجناس المضارع أو اللاحق ، والجناس الناقص ، وجناس العكس ، والجناس المحرَّف .

١ـ انظر (اللسان) ، مادة : (جنس) .

٢ـ انظر (المفتاح) ، ص٢٠٢ .

وكذا (البديع) لابن المعتز ، ص٢٥ .

وكذا (الإيضاح) ، ص٣٣٣ .

وكذا (شروح التلخيص) ، ج٤ ، ص٤١٢ .

وكذا (البلاغة فنونها وأفنانها) د. فضل حسن عباس ، ج٢ ، ص٢٩٧ .

وكذا (علم البديع) د. بسيوني عبد الفتاح ، ج٢ ، ص١٤٥ .

٣ـ أ ـ جناس التماثل : تكون فيه الكلمتان من نوع واحد : اسمين أو فعلين أو حرفين .

ب ـ الجناس المستوفي : تكون فيه الكلمتان من نوعين مختلفين : اسم وفعل ، أو اسم وحرف .

ج ـ جناس التركيب :يكون فيه اللفظان المتجانسان مركبين ، أو أحدهما مركب والآخر مفرد .

٤ـ أ ـ الجــناس المضارع أو اللاحق : يكون فيه الاختلاف في نوع الأحرف ، فإن كان الحرفان المختلفان متقاربي المخرج سُمِّيَ مضارعاً ، وإن كانا متابعدي المخرج سُمِّيَ لاحقاً .

والقيمة الجمالية للجناس تعود إلى حسن جمعه بين الانسجام الصوتي والانســجام المعنوي عند أداء الغرض الأدبي . وهذا ما نبه إليه الإمام عبد القاهــر بقوله : (أما التجنيس فإنك لا تستحسن تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعاً حميداً ، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيــداً)[١] . وهذا لا شك يعتمد على العفوية والسليقة والحذق ، ولم يفت عبد القاهر هذا أيضاً فقد قال : (ومن هنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه ، وأحقــه بالحسن وأولاه ، ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه ، وتأهب لطلبه ، أو ما هو – لحسن ملاءمته وإن كان مطلوباً – بهذه المنزلة وفي هذه الصورة)[٢] .

وإذا كــانت هــذه الشــروط مما يرفع التجنيس في كلام البشر إلى مصــاف الأساليب الرائعة ، ويجعله فناً تطرب له الأذن ، وينعم به العقل ، فما ظنك به في كتاب الله .

استمع إلى قوله تعالى في سورة النساء المباركة :

{ فإن خفتُمْ ألاّ تعدلوا فواحدةً أو ما ملكَتْ أيمانُكُمْ ذلكَ أدنى إلاّ تعولوا }[٣] .

ب ــ الجناس الناقص : يكون فيه الاختلاف في عدد الأحرف .

ج ــ جــناس العكس : وهو أن تكون إحدى الكلمتين عكس الأخرى بتقديم بعض حروفها على بعض .

د ــ الجناس المحرف : وهو ما اختلف فيه اللفظان في الحركات والسكنات .

انظــر (تحرير التحبير) لابن أبي الاصبع المصري ، تحقيق الدكتور حفني محمد شرف ، ص١٠٥-١٠٨ ، لجنة إحياء التراث الاسلامي ، ١٣٨٣هــ ، القاهرة ، مصر .

وكذا (الإيضاح) ، ص٣٣٣-٣٣٤ .

وكذا (علم البديع) د. بسيوني عبد الفتاح ، ج٢ ، ص١٥١-١٥٦ .

١ــ انظر (أسرار البلاغة) ، ص٧ .

٢ــ انظر (أسرار البلاغة) ، ص١١ .

٣ــ جزء من الآية (٣) .

التجانس في الآية بين (تعدلوا – تعولوا) . وهو جناس غير تام لاحق ، فالعَدْل والعَوْل كلمتان متجانستان اختلفتا في حرف واحد واتحدتا في الوزن وعدد الحروف وهيئاتها وترتيبها ، والحرفان المختلفان هما : الدال والواو ، وهما من مخرجين متباعدين واختلافهما في المخرج أدى إلى تضاد المعنى وإن تجانس اللفظان .

فالعدل : ما قام في النفوس أنه مستقيم[١] وحرف الدال فيه حرف شديد من الحروف النطعية وهو مخرج صلب[٢] . والشدة والصلابة في صوت الحرف ومخرجه تناسب معنى الاستقامة الذي يحمله العدل .

أما العول فهو: الميل في الحكم إلى الجور[٣] . والواو حرف رخو يخرج من أقصى الحنك[٤] مع استدارة الشفتين وهو من المخارج اللينة واللين والرخاوة في صوت الحرف ومخرجه تناسب معنى الميل الذي يحمله العول ؛ إذ لا يميل الشيء إلا إذا كان رخواً ليناً . ومن هنا نرى الدقة المتناهية في انسجام صوت الحرف مع المعنى الذي تحمله الكلمة إضافة إلى التوافق الرائع مع الغرض المقصود من الآية .

ومن الجناس أيضاً قوله تعالى :

{ وإذا جاءَهُمْ أمرٌ مِنَ الأمنِ أو الخوفِ أذاعوا بِهِ ولوْ ردُّوهُ إلى الرسولِ وإلى أولي الأمرِ منهُمْ لعلِمَهُ الذينَ يستنبطونَهُ منهُمْ ولولا فضلُ اللهِ عليكُمْ ورحمتُهُ لاتَّبعْتُمُ الشيطانَ إلاّ قليلاً }[٥] .

١ـ انظر (اللسان) ، مادة : (عدل) .

٢ـ انظر (دراسة الصوت اللغوي) د. أحمد مختار عمر ، ص٢٧٠ ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م . والنطع : الجلد المغطي لأصول الثنايا .

٣ـ انظر (اللسان) ، مادة : (عول) .

٤ـ انظر (علم اللغة العام) د. كمال محمد بشر ، ص٧٠ ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، الطبعة السابعة ، ١٩٨٠م .

٥ـ الآية (٨٣) .

القاعدة العامة في الإسلام أن يأخذ المسلم أمور دينه من مصادرها الصحيحة ، وأن يكون متبعاً لا مبتدعاً ، وحارساً أميناً على قواعد الإسلام وأصوله ، وهذا ما يوجب التحفظ والحيطة والكتمان في كثير من الأمور خاصة إذا تعلق أمر منها بأمن الدولة المسلمة ؛ ولكن ما نزلت في حقه هذه الآية الكريمة جماعة من ضعفة المسلمين كانوا إذا سمعوا شيئاً من أمر المسلمين فيه أمن أو فيه خوف أفشوه وهم يظنون أنه لا شيء عليهم في ذلك ، وكان حرياً بهم ترك إذاعته إلى أولي الأمر فهم أدرى به منهم[١] .

والتجانس يقع بين لفظ (أمر) في كل من التركيبين : (جاءهم أمر – أولي الأمر) ، وكذا بين (أمر – أمن).

أولاً : (الأَمْـرُ : واحـدُ الأمورِ ، يقال : أمْرُ فلانٍ مستقيمٌ وأمورُهُ مستقيمةٌ . والأمْـرُ : الحادثة ، والجمع أمور ولا يكسر على غير ذلك . والأميـر : الملك النافذ أمره ، والجمع أُمَرَاء ، وأَمَرَ علينا يأمُرُ أمْراً وأمُرَ وأمِرَ ، وأولوا الأمر الرؤساء وأهل العلم)[٢] ، فبين أمْر في العبارة الأولى والأمر في العبارة الثانية جناس تام مماثل .

فالأمـر الأول هو الحادثة أو الحدث ، والأمر الثاني : مصدر ضد النهي أو هـو العلم . هكذا نرى أن الكلمتين اختلفتا معنى واتفقتا نطقاً في نوع الحروف وعددها وهيأتها وترتيبها ونوع الكلمة .

وقد أدى هذا التجانس مع ما فيه من عذوبة الصوت معنى عميقاً هو ربط الحوادث بمن هم أقدر على معالجتها .

١ــ انظر (فتح القدير) للشوكاني ، ج١ ، ص٤٩١ ، بتصرف .

٢ــ انظر (اللسان) ، مادة : (أمر) .

ثانيـاً : الجـناس بيـن (أمـر - أمـن) ، وهـو جناس غير تام مضـارع[١] ، فالكلمتان اختلفتا في حرف واحد وكان الحرفان المختلفان - وهمـا الراء والنون - متقاربي المخرج إذ كلاهما يخرج من طرف اللسان مع ما فوق أصول الثنايا العليا[٢] .

وأظن أن هذا التناسب اللفظي هو السبب في تقديم الأمن على الخوف ، وقد يكون منبهاً على أن الأمن هو الأصل في الأمور والخوف طارئ عليها .

كمـا أن الجـناس في هذه الآية رشح للطباق الموجود بين (الأمن والخـوف) ، وهـو طباق بين اسمين عن طريق الإيجاب ؛ لأن المعنيين المتضـادين مثبـتان . وهكذا نرى أن التجانس بين الكلمتين يعمق المعنى ويزيده دقة ووضوحاً مع ما فيه من جمال صوتي .

١ـ يلاحـظ أن السكاكي وضع هذا الجناس في الضرب اللاحق وتبعه في ذلك الخطيب وكثير من الدارسين ، ولكن صاحب (بغية الإيضاح) عقّب عليه قائلاً : " والحق أن هذا أيضاً من المضارع ؛ لأن الراء والنون - انظر مثالنا - من حروف الذلاقة التي تخرج من طرف اللسان " .

انظر (بغية الإضاح) ، ج٤ ، ص٧١ .

٢ـ انظر (مذكرة في التجويد) لمحمد بنهان حسين مصري ، ص٣١ ، دار العليان للنشر والتوزيع ، جدة ، المملكة .

المطلب الثاني : السجع .

الســـجع في اللغة من : (سَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعاً : استوى واستقام وأشبه بعضــه بعضــاً . والسجع : الكلام المقفى ، وسجَعَ : تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن)[١] .

وعــليه فالسجع في اصطلاح البلاغيين هو : (تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد)[٢] .

وهو ثلاثة أضرب : مطرف ، ومتواز ، وترصيع .

١_ السجع المطرف : ما اختلفت فيه الفاصلتان وزناً .

٢_ السجع المتوازي : ما اتفقت فيه الفاصلتان وزناً .

٣_ سجع الترصيع : أن يكون (ما في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها ، مثلما يقابله من الأخرى في الوزن والتقفية)[٣] .

ويقسم السجع[٤] أيضاً حسب حرفه الأخير إلى :

١_ سجع بحروف متماثلة .

٢_ سجع بحروف متقاربة المخرج .

وقــد أحس العلماء بقيمة السجع المعنوية إلى جانب قيمته الصوتية ، فقــال قائلهم : (فأنت لا تجد ... لفظاً اجتلب من أجل السجع ، وترك له ما

١ـ انظر (اللسان) ، مادة : (سجع) .

٢ـ انظر (الإيضاح) للخطيب ، ص٣٤٠ .

وكذا (شروح التلخيص) ، ج٤ ، ص٤٤٥ .

وكذا (سر الفصاحة) للخفاجي ، ص١٦٣ وما بعدها .

وكذا (علوم البلاغة) للمراغي ، ص٣٣٦ .

وكذا (البلاغة فنونها وأفنانها) ، ج٢ ، ص٣٠٣ .

٣ـ انظر (الإيضاح) ، ص٣٤١ .

٤ـ وهناك تقسيم آخر حسب طول القرينة ، فقد تتساوى القرينتان طولاً وقصراً ، وقد تختلفان . وحسنوا ما تساوت قرائنه ثم ما طالت قرينته الثانية أو الثالثة .

انظر (الإيضاح) ، ص٣٤١ .

هـــو أحق بالمعنى منه وأبر به وأهدى إلى مذهبه)[١] ، وذلك لأن (العرب كما تعنى بألفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها وتلاحظ إحكامها بالشعر تارة وبـــالخطب أخـــرى ، وبالأســـجاع التي تلتزمها وتتكلف استمرارها ، فإن المعاني أقوى عندها ، وأكرم عليها واضخم قدراً في نفوسها ... ألا ترى أن المثل إذا كان مسجوعاً لذّ لسامعه فحفظه ... ولو لم يكن مسجوعاً لم تأنس الـــنفس به ولا أنقت لمستمعه ، وإذا كان كذلك لم تحفظه ولم تطالب نفسها باستعمال ما وضع له وجيء به من أجله)[٢] .

والسؤال الذي لا بد منه هنا ، هل تدخل فواصل القرآن الكريم تحت هذا الفن الذي عرفه العرب قديماً ؟

لقد تجاذبت آراء العلماء هذا الموضوع قبولاً ورفضاً فقيل : (إنه لا يقـــال : فـــي القـــرآن أسجاع ؛ وإنما يقال فواصل)[٣] ، (والحق أن منع إطـــلاق ذلك عليه رعاية للأدب فقط ، لأن السجع في الأصل هديل الحمام ونحـــوه ، وقيل : إنه لا شيء في أن يقال في القرآن أسجاع)[٤] ، ولكنها أســـجاع يقتضيها المعنى المراد بالقرينة كما سيتضح من خلال تقديم نماذج سورة النساء المباركة .

أولاً : السجع المتوازي بحروف متماثلة :

أول النماذج قوله تعالى :

{ واللذانِ يأتيانِها منكُمْ فآذوهُما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهُما إنَّ اللهَ كـــانَ توابـــاً رحيمـــاً * إنَّما التوبةُ على اللهِ للذينَ يعملونَ السوءَ بجهالةٍ ثمَّ يتوبونَ مِنْ قريبٍ فأولئكَ يتوبُ اللهُ عليهِمْ وكانَ اللهُ عليماً حكيماً

١ـــ انظر (أسرار البلاغة) ، ص١٣ .

٢ـــ انظر (الخصائص) لابن جنى ، ج١ ، ص٢١٦ وما بعدها .

٣ـــ انظر (الإيضاح) للخطيب ، ص٣٤٢ .

٤ـــ انظر (بغية الإيضاح) لعبد المتعال الصعدي ، ج٤ ، ص٨٢ .

*** وليستِ التوبةُ للذينَ يعملونَ السيِّئاتِ حتّى إذا حضرَ أحدَهُمُ الموتُ قالَ إنِّـي تـبتُ الآنَ ولا الذيـنَ يموتـونَ وهُمْ كُفَّارٌ أولئكَ أعتدْنا لهُمْ عذاباً أليماً }**[١] .

السـجع فـي (رحيماً – حكيماً – أليماً) ، وهو سجع متواز طويل بحروف متماثلة .

وعـند اسـتعراض معاني هذه الفواصل نجد أن معنى قوله تعالى : { إنّ الله كـان تواباً } (مبالغاً في قبول التوبة ، { رحيماً } واسع الرحمة ، والجمـلة فـي معرض التعليل للأمر بالإعراض ، والخطاب هنا للحكام ، ويجوز أن يكون للشهود الواقفين على فعلتهما)[٢] .

وقولـه تعالى : { وكانَ الله عليماً } أي (يعلم بإخلاص من يتوب { حكيمـاً } فـلا يعـاقب الـتائب . والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها)[٣] معلل للحكم فيه .

أمـا قوله تعالى { أولئك } أي (الفريقين المترامي حالهم إلى الغاية القصـوى فـي الفظاعة { أعتدْنا لهم } أي هيأنا لهم ... { عذاباً أليماً } أي مؤلماً موجعاً)[٤] .

وحكمـة الفاصلة الأولى (رحيماً) أن الرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المـرحوم ، وإذا وصـف به الباريء فليس يراد به إلا الإحسان المجرد دون رقـة ، وعـلى هـذا روي أن الرحمة من الله إنعام وإفضال ، ومن الآدميين رقة وتعطف[٥] . وورودها هنا للتأكيد على قبول توبتهما والتعليل للأمر بالإعراض عنهما .

١ـ الآيات (١٦ ، ١٧ ، ١٨) .

٢ـ انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٤ ، ص٢٣٦ .

٣ـ انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٤ ، ص٢٣٩ .

٤ـ انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٤ ، ص٢٤٠ وما بعدها .

٥ـ انظر (المفردات) ، مادة (رحم) .

أمـــا (الحكمة) الواردة في قوله تعالى : { وكان الله عليماً حكيماً } فهي : (إصابة الحق بالعلم والعقل ، فالحكمة من الله تعالى : معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام)[١] . والحال في الآية يقتضي حكمة فريدة من نوعهـا تـأتي بعـد العلم ، لأن العلم بحقيقة الأمور يؤدي إلى الحكمة في معالجـتها ، وصـدق الـتوبة أمر قلبي لا يمكن أن يعلمه إلا الله ، ومن ثَمَّ فالعفو عن التائب لحكمة اقتضاها ذلك العلم ، وربما كان هذا هو السر وراء اختيار لفظة (حكيماً) .

والألـم فـي الفاصلة الثالثة هو (الوجع الشديد ... وعذاب أليم أي مؤلـم)[٢] (يبـلغ إيجاعه غاية البلوغ)[٣] . وإذا تساءلنا عن سبب اختيار صـفة الإيلام للعذاب هنا دون غيرها من الصفات الواردة في القرآن مثل (عظيـم - مهين - شديد - كبير) أو غيرها ، فنجد أن الذنوب المستحقة لهذا اللون من العذاب ذنوب تتعلق بالشهوات ، فبالتالي يكون الإيلام عقوبةً مكافئة لها .

ومـن ثـمَّ نرى أن المعنى قد اقتضى مجيء هذه الكلمات مسجوعة للتعبير عنه بكل هذه الدقة .

ومنه قوله تعالى :

{ الذيـنَ يبخلونَ ويأمرونَ الناسَ بالبخلِ ويكتمونَ ما آتاهُمُ اللهُ من فضلِه وأعتدْنا للكافرينَ عذاباً مهيناً * والذينَ ينفقونَ أموالَهُمْ رئاءَ الناسِ ولا يؤمـنونَ بـاللهِ ولا بـاليومِ الآخرِ ومَنْ يكُنِ الشيطانُ لهُ قريناً فساءَ قريناً }[٤] .

١ـ انظر (المفردات) ، مادة (حكم) .

٢ـ انظر (المفردات) ، مادة (ألم) .

٣ـ انظر (لسان العرب) ، مادة (ألم) .

٤ـ الآيتان (٣٧ ، ٣٨) .

السجع في (مهيناً – قريناً) ، وهو سجع متواز طويل بحروف متماثلة . وليتضح المعنى الذي نقصده لا بد أن نعود أدراجنا إلى الآية السابقة عليه ، أعني قوله تعالى :

{ إنَّ اللهَ لا يحبُّ مَنْ كانَ مختالاً فخوراً }[١] .

ثم تأتي الآية { الذين يبخلونَ } بدلاً من (مَنْ) في { مَنْ كان مختالاً فخوراً } أو صفة لها ، فالبخل والإخفاء من الكفر بنعمة الله[٢] ، (ومن كان كافراً لنعمِهِ فله عذاب مهين يهينه كما أهان النعم بالبخل والإخفاء ... والجملة اعتراض تذييلي لما قبلها)[٣] . وربما كان اختيار الهوان – وهو نقيض العز [٤]– ليقابل ما كان من أمر هؤلاء من الكبر والخيلاء اللذين يكرههما المولى سبحانه وتعالى .

أما قوله تعالى :{ ومن يكن الشيطان } فالمراد به إبليس وأعوانه وأتباعه ، و{ قريناً } صاحباً وخليلاً في الدنيا . { فساء قريناً } لأنه يدعوه إلى المعصية المؤدية إلى النار[٥] . واقترن الشيء بغيره وقارنه قِراناً : صاحَبَهُ ، والقرين المصاحب ، والقَرَنُ بالتحريك : الحبل الذي يشدُّ بهِ الشيئانِ[٦] ، فاختيار القرين دون الصاحب أو الخليل يدل على شدة التلازم والاقتراب الذي لا يتخلله انفصال . وهو تأكيد على إيفاء السجع بتلك المعاني المرادة .

ومثله قوله تعالى :

١ــ جزء من الآية (٣٦) .

٢ــ انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٥ ، ص٢٩ .

٣ــ انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٥ ، ص٣٠ .

٤ــ انظر (لسان العرب) ، مادة (هون) .

٥ــ انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٥ ، ص٣٠ .

٦ــ انظر (لسان العرب) ، مادة (قرن) .

{ ألمْ ترَ إلى الذينَ يزعمونَ أنَّهُمْ آمنوا بما أُنزلَ إليكَ وما أُنزلَ من قبـلكَ يريدونَ أن يتحاكموا إلى الطاغوتِ وقد أُمروا أنْ يكفروا بهِ ويريدُ الشـيطانُ أنْ يُضِـلَّهُمْ ضلالاً بعيداً * وإذا قيلَ لهُمْ تعالَوا إلى ما أنزلَ اللهُ وإلى الرسولِ رأيتَ المنافقينَ يصُدُّونَ عنكَ صدوداً }[١] .

السـجع في (بعيداً – صدوداً) سجع متواز طويل القرينة بحروف متماثـلة ، والمعنى العام لهاتين الآيتين هو (أن المنافقين والذين في قلوبهم مـرض لا يطيعـون الرسـول ولا يرضـون بحكمه ، وإنما يريدون حكم غيره)[٢] ، وهذا ما أطلق القرآن عليه اسم الضلال .

و(ضـلالاً) مصـدر مؤكـد لـلفعل المذكـور ، ووصفه بالبعد للمـبالغة[٣] ، والبعد : ضد القرب . فيكون ضلالهم ضلالاً يصعب الرجوع منه إلى الهدى ، تشبيهاً بمن ضل عن محجة الطريق بعداً متناهياً ، فلا يكاد يـرجى له العود إليها[٤] . ولا يمكن وصف هذا الضلال بلفظ أصدق عليه مـن البعد – كأن يوصف بـ (مبين) مثلاً – ؛ إذ إنه في حق المنافقين ، ونفاقهم غير بيِّن لشدة حرصهم على إخفائه .

وبالمثل نجد الفاصلة الثانية ، فقوله تعالى : { يصدون عنك صدوداً } أي : يعرضـون عـنك إعراضاً أيَّ إعراضٍ ، وهو مصدر مؤكد لفعله ،

١ــ الآيتان (٦٠ ، ٦١) .

وسـبب تـزولها كمـا رواه ابن عطية أنها نزلت في منافق اسمه (بشر)خاصم رجلاً من اليهـود ، فدعـاه اليهودي إلى المسلمين لعلمه أنهم لا يرتشون ، وكان هو يدعو اليهودي إلى اليهود لعلمه أنهم يرتشون ، فاتفقا بعد ذلك على أن يأتيا كاهناً كان بالمدينة فرضياه ، فنزلت هذه الآية فيهما وفي صنيعهما . انظر (المحرر الوجيز) ، ج٢ ، ص٧٢ .

وهـناك روايـات كثيرة قريبة منها ، ولكن جميعها تدل على أن الآية نزلت في المنافقين ، ويؤيده آخر الآية .

٢ــ انظر (التفسير الكبير) للرازي ، ج١٠ ، ص١٥٣ .

٣ــ انظر (ر وح المعاني) ، م٢ ، ج٥ ، ص٦٨ .

٤ــ انظر (المفردات) ، مادة (بعد) .

وتنوينه للتفخيم[١] . والصدود والصَّدُّ : الانصراف والامتناع عن الشيء[٢] ، وهو أشد من الإعراض ، وزاده شدةً تأكيدُهُ بالمصدر مُنَكَّراً ليكون وصفاً صادقاً مبيِّناً لسلوك هؤلاء المنافقين .

ثانياً : السجع المُطَرَّف بحروف متماثلة .

ومن أمثلته قوله تعالى :

{ وإذاً لآتيناهُمْ مِنْ لَدُنَّا أجراً عظيماً * ولهديناهُمْ صراطاً مستقيماً }[٣] .

السجع في (عظيماً – مستقيماً) وهو سجع مطرَّف[٤] قصير القرينة بحروف متماثلة .

إذا نظرنا إلى سياق الآيات نجد أنها تتحدث عن المنافقين وتذكر أنهم لو أمروا بما أُمر به بنو إسرائيل لم يفعله إلا المخلصون ، ولو أنهم فعلوا ما يؤمرون به من متابعة الرسول لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً على الحق والصواب[٥] ، { وإذاً لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً } لا يعرف أحد مبدأه ولا يبلغ منتهاه[٦] . والأجر يوصف في القرآن الكريم بعظيم أو كبير أو كريم أو حَسَنٍ أو غيرها ، ووجه اختيار صفة العظم هنا مبالغة في الكِبَر لزيادة ترغيبهم في طاعة أمر الله ورسوله .

والاستقامة في الفاصلة الثانية تعني : الاعتدال[٧] ، وتقال في

١ـ انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٥ ، ص٦٨ .

٢ـ انظر (المفردات) ، مادة (صدّ) .

٣ـ الآيتان (٦٧ ، ٦٨) .

٤ـ وهو ما اختلفت فيه الفاصلتان وزناً .

٥ـ انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٥ ، ص٧٤ .

٦ـ انظر المرجع السابق ، ص٧٥ .

٧ـ انظر (لسان العرب) ، مادة (قوم) .

الطـــريق الذي يكون على خط مستوٍ وبِهِ شُبِّهَ طريقُ المُحِقِّ[١] . ويوصف الصراط في القرآن بإحدى صفتين هما : الاستقامة والاستواء[٢] ، والسَّوي يقـــال فيمـــا يصان عن الإفراط والتفريط من حيث القدر والكيفية ، ويحمل معنى التمام ، وهذا ما لا يحتاجه السياق لأن الاستقامة هنا معنوية أكثر منها حسية .

ومنه كذلك قوله تعالى :

{ ورُسُـــلاً قَـــدْ قصصْنَاهُمْ عليكَ مِنْ قبلُ ورُسُلاً لمْ نقصُصْهُمْ عليكَ وكَـــلَّمَ اللهُ موسى تكليماً * رُسُلاً مبشِّرينَ ومُنْذِرينَ لئلاَّ يكونَ للناسِ على اللهِ حُجَّةٌ بعدَ الرُّسُلِ وكانَ اللهُ عزيزاً حكيماً }[٣] .

وقع السجع في (تكليماً – حكيماً) ، وهو سجع مطرّف لأن الكلمتين ليستا على نفس الوزن ، وحروفه متماثلة .

ومعـــنى قوله (تكليماً) هنا أن موسى – عليه السلام – سمع كلاماً مـــن عند الله ، بحيث لا يحتمل أن الله أرسل إليه جبريل – عليه السلام – بكـــلام أو أوحى إليه في نفسه[٤] ، وإنما هو كلام يدرك بحاسة السمع[٥] . والإتيان بالمصدر (تكليماً) غرضه بيان حقيقة الحدث بأنه كان حدثاً حسياً وليس وحياً خفياً أو وهماً .

وقولـــــه تعـــالى : { وكـــان الله عزيزاً } أي : لا يغالـــب في أمر يـــريده ، { حكيمـــاً } في جميع أفعاله[٦] . ووجه الحكمة في إرسال الرسل

١ــ انظر (المفردات) ، مادة (قوم) .

٢ــ راجـــع في هذا (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) للدكتور محمد فؤاد عبد الباقي ، مادة (صرط) .

٣ــ الآيتان (١٦٤ ، ١٦٥) .

٤ــ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٦ ، ص٣٨ .

٥ــ انظر (المفردات) ، مادة (كلم) .

٦ــ انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٦ ، ص١٩ .

واضـــح فـــي سياق الآية ، وهو قطع سبيل الحجة على الكافرين وتبكيتهم بالبينة الناصعة التي لا يستطيعون أمامها إنكاراً أو دفعاً .

ثالثاً : السجع بحروف متقاربة .

ومنه قوله تعالى :

{ ويقولـــون طاعةٌ فإذا برزوا مِنْ عندكَ بيَّتَ طائفةٌ منـهُمْ غيرَ الذي تقولُ واللهُ يكتُبُ ما يُبَيِّتونَ فأعرضْ عنهُمْ وتوكَّلْ على اللهِ وكفى باللهِ وكيلاً * أفَـــلا يـــتدبَّرونَ القرآنَ ولوْ كانَ مِنْ عندِ غيرِ اللهِ لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً }[1] .

السجع في (وكيلاً – كثيراً) ، وهو سجع متوازٍ بحروف متقاربة ، والحـــرفان المتقاربا المخرج هما (اللام والراء) ؛ إذ كلاهما من الحروف الذلقية التي تخرج من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا .

وهـــذه الآيـــة تأتي في معرض التحذير من المنافقين وكشف نواياهم الخبيـــثة ، وتوجيـــه الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى تفويض جميع أمـــوره إلى الله ســـبحانه وتعـــالى ولا سيما في شأنهم ، فهو الذي سيكفيه مضـــرتهم وينـــتقم مـــنهم[2] . والتوكل أن تعتمد على غيرك وتجعله نائباً عـنك[3] ، وبما أن الحال فيه تعامل مع المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون فالأمر يحتاج إلى علم الله المحيط بكل شيء ، لذلك أمر الرسول – صـــلى الله عـــليه وسلم – بالإعراض عنهم وتفويض أمرهم إلى الله تعالى والاعتماد عليه في تدبير أمورهم .

١ــ الآيتان (٨١ ، ٨٢) .

٢ــ انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٥ ، ص٩٢ .

٣ــ انظر (المفردات) ، مادة (وكل) .

والكـــثرة في الفاصلة الثانية : نقيض القلة ، وتستعملان في الكميات المنفصـــلة كالأعداد[١] ، فالمراد بـــ (كثيراً) في الآية كثرة عدد المتناقض المختـــلف فـــي كلام غير الله ، ولم يوصف الاختلاف بالعظم مثلاً لأنه قد يستخدم في الأعداد وفي الأمور المتصلة للدلالة على كبر الحجم[٢] ، ولذلك حَسُنَ استخدام الكثرة دون العِظَم في هذا الموضع والله أعلم وأحكم .

ومنه قوله تعالى :

{ ودُّوا لـــو تكفـــرونَ كمـــا كفروا فتكونونَ سواءً فلا تتخذوا منهُمْ أولياءَ حتّى يهاجروا في سبيلِ اللهِ فإنْ تولَّوا فخذوهُمْ حيثُ وجدتموهُمْ ولا تـــتخذوا مـــنهُمْ ولياً ولا نصيراً * إلاَّ الذينَ يصلونَ إلى قومٍ بينَكُمْ وبينَهُمْ ميـــثاقٌ أو جـــاءوكُمْ حصِرَتْ صدورُهُمْ أنْ يقاتلوكُمْ أو يقاتلوا قومَهُمْ ولوْ شـــاءَ اللهُ لسلَّطَهُمْ عليكُمْ فلَقاتلوكُمْ فإنِ اعتزلوكُمْ فلمْ يقاتلوكُمْ وألقَوا إليكُمُ السَّـــلَمَ فمـــا جعـــلَ اللهُ لكُـــمْ عليهِمْ سبيلاً * ستجدونَ آخرينَ يريدون أنْ يأمنوكُمْ ويأمنوا قوْمَهُمْ كلَّما رُدُّوا إلى الفتنةِ أُركِسوا فيها فإنْ لمْ يعتزلوكُمْ ويلقوا إليكُمُ السَّلَمَ ويكفُّوا أيديَهُمْ فخذوهُمْ واقتلوهُمْ حيثُ ثقِفْتُمُوهُمْ وأولئكُمْ جعلْنا لكُمْ عليهِمْ سلطاناً مبيناً }[٣] .

الســـجع في (نصيراً – سبيلاً – مبيناً) سجع متواز طويل القرينة ، والحـــروف مـــتقاربة المخـــرج ؛ لأن (الـــراء واللام والنون) جميعاً من الحروف الذلقية التي تخرج من ذلق اللسان وأصول الثنايا العليا[٤] .

وبتتبعنا معاني الفواصل نجد أن التوافق المعنوي التام بين كل سجعة ومـــا قبـــلها من قرينة يؤكد عدم الإتيان بها لمجرد التوافق الصوتي ، مما

١ـــ انظر (المفردات) ، مادة (كثر) .

٢ـــ انظر (المفردات) ، مادة (عظم) .

٣ـــ الآيات (٨٩ ، ٩٠ ، ٩١) .

٤ـــ انظر (مذكرة في التجويد) ، ص٣١ .

يشعرك بأنها جزء أساسي في المعنى لا يمكن الاستغناء عنه ، وينسيك أمر السجع لشدة التحامها صوتاً ومعنى بما قبلها .

ففـــي الآيـــة الأولى حديث عن وداد الكافرين كفر المؤمنين ، وبيان نهيـــه عز وجل المؤمنين عن موالاتهم بقوله : { ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصـــيراً } ، أي (جانـــبوهم مجانبة كلية ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة أبـــداً)[١] . والـــولاء والتوالي : (أن يحصل شيئان فصاعداً ليس بينهما ما ليـــس منهما ، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان ، ومن حيث النسب ، ومـــن حيـــث الدين ، ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد)[٢] ، والنهي يشمل كل هذه الوجوه ؛ ولذا يكون الولاء هو مطلق الاقتراب ، فقد نهى الله سبحانه المؤمنين عن مجرد الاقتراب منهم والتودد إليهم ، ثم ذكر النصرة : وهـــي العـــون[٣] ؛ لأن نفي العون يكون من باب أولى إذا انتفى التقارب ، وورودها بعد المولاة من باب ذكر الخاص بعد العام ، وفائدته كما لا يخفى التنبيه على ما في الخاص من مزية وإفراده بالاهتمام .

أمـــا السجعة الثانية { فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً } أي : (فما أذن لكم في أخذهم وقتلهم ، وفي نفي جعل السبيل مبالغة في عدم التعرض لهم ؛ لأن مـــن لا يمر بشيء كيف يتعرض له ؟)[٤] . والسبيل : الطريق الذي فيـــه سهولة ، ويستعمل لكل ما يتوصل به إلى شيء خيراً كان أو شراً[٥] . فهـــو صفة للطريق السهلة المرضية ، وسهولة وانحدار الطريق تجعل من اليســـير ســـلوكه ، وفي نفيه مبالغة في عدم التعرض ، لأن النفي إذا كان

١ـ انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٥ ، ص١٠٩ .

٢ـ انظر (المفردات) ، مادة (ولي) .

٣ـ انظر (المفردات) ، مادة (نصر) .

٤ـ انظر (روح المعاني) ، م٢ ، ج٥ ، ص١٠٩ .

٥ـ انظر (المفردات) ، مادة (سبل) .

درجـــات فسبيل البلاغة نفي أدناها لأنه أدعى إلى نفي غيره ، وزاد المعنى تأكيداً تنكير (سبيلاً) الذي يفيد التقليل ، أي : ولا سبيلاً واحداً .

والقريـــنة الثالثة انتهت بقوله تعالى { سلطاناً مبيناً } ، والبيان[١] هو الكشف عن الشيء ، فتكون الإبانة هنا الظهور والوضوح ، ووصف الحجة بـــالظهور أدعى إلى تنفيذ ما تقتضيه – وهو القتل في هذه الآية –، والحجة عادة ما توصف في القرآن الكريم بهذه الصفة .

وهكـــذا يتـــبين أن ورود السجعات ليس لمجرد الزخرف اللفظي أو لجمال الجرس الصوتي – وإن كان ذلك شيئاً مدهشاً في القرآن الكريم – ، ولكـــن فوق ذلك الجمال يكون جمال التناسق المعنوي ، . وقد نبه إلى هذه المـــزية فـــي المحســـنات اللفظية الإمام عبد القاهر – رحمه الله – بقوله : (واعـــلم أن المعنى المقتضي اختصاص هذا النحو بالقبول ، هو أن المتكلم لـــم يَقُـــد المعنى نحو التجنيس والسجع ، بل قاده المعنى إليهما ، وعثر به عـــليهما ، حـــتى لو رام تركهما إلى خلافهما مما لا تجنيس فيه ولا سجع ، لدخـــل مـــن عقـــوق المعنى وإدخال الوحشة عليه في شبيهٍ بما يُنسب إليه المتكلف للتجنيس المستكرَه والسجع النافر)[٢] ، فكأن التجنيس والسجع هما الأصـــل في السياق لا انفكاك عنهما إلا إلى فساد المعنى . وهذا ما لا يتأتى في هذا الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

١ــ انظر (المفردات) ، مادة (بين) .

٢ــ انظر (أسرار البلاغة) ، ص١٤ .

المطلب الثالث : رد العجز على الصدر .

هذا الفن من الفنون البديعية التي فطن لها القدماء ، فقد جعله ابن المعتز أحد الفنون الخمسة الرئيسة للبديع ، وسمّاه : " رد أعجاز الكلام على ما تقدمها " وأشار إلى أنه يرد في النثر كما يرد في الشعر بتمثيله للونين[1] وقد عرّفه المتأخرون من البلاغيين بأنه : " أن يُجعَلَ أحد اللفظينِ المتكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة والآخر في آخرها[2] . وهو من الفنون البديعية التي تجمع بين المحسنات المعنوية والمحسنات اللفظية .

ومثاله من هذه السورة قوله تعالى :

{ ولولا فضلُ اللهِ علَيكُم ورحمَتُهُ لهمَّت طائفةٌ منْهُم أنْ يُضلوكَ وما يُضِلون إلاّ أنْفسَهُم وما يُضرّونَك منْ شَيء وأنْزلَ اللهُ علَيكَ الكتابَ والحِكْمةَ وعلّمَكَ ما لمْ تكُنْ تعلمُ وكانَ فضْلُ اللهِ علَيكَ عظيماً }[3] .

بدأت الآية الكريمة بذكر فضل الله سبحانه وتعالى على نبيه بقوله : { ولولا فضل الله عليك ورحمته } ، ثم خُتمت بذكر الفضل نفسه في قوله جلَّ ذكره : { وكان فضل الله عليك عظيماً } ، وهو من باب رد العجز على الصدر[4] لزيادة التأكيد على أهم معنى دارت حوله الآية – فضل الله على نبيه – ، وذلك لإحباط كيد الكافرين لضلال النبي – صلى الله عليه وسلم – فكان فضله سبحانه عليه بإنزال الكتاب ، وإيتاء النبوة والحكمة ؛ تفصيلاً

١ـ انظر (البديع) ، ص٤٧ وما بعدها .

٢ـ هـذا فـي النـثر أمـا فـي الشعر فهو أن يكون أحد اللفظين في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول ، أو في حشوه ، أو في آخره ، أو في صدر المصراع الثاني .

انظر (بغية الإيضاح) ، ج٤ ، ص٧٤ ، ٧٥ .

وكذا (علم البديع) للدكتور بسيوني عبد الفتاح ، ج٢ ، ص١٨١ ، ١٨٢ .

٣ـ الآية (١١٣) .

٤ـ انظر (التحرير والتنوير) ، ج٥ ، ص١٩٧ .

لوجوه الحق لعصمته من الوقوع في الخطأ[١] فكان فضله عليه عظيماً في الأولى والآخرة .

ومنه قوله تعالى :

{ لكنِ اللهُ يشهدُ بما أنزلَ إليكَ أنزَهُ بعلمِهِ والملائكةُ يشهدونَ وكفى باللهِ شهيداً }[٢] .

الآية وردت في سياق إثبات نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – والرد على من أنكرها من المشركين وأهل الكتاب إذ بدأت بالقول الكريم : { لكن الله يشهدُ } ، (أي وإن كفر به من كفر به ممّن كذبك وخالفكَ فالله يشهد لك بأنك رسوله الذي أنزل عليه الكتاب ، وهو القرآن العظيم . ولهذا قال { أنزله بعلمه } أي فيه علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه)[٣] .

وقـــد رُدَّ العجزُ على الصدرِ في قولهِ تعالى : { وكفى بالله شهيداً } تأكيداً على صدق نبوته وحجة ناصعة البيان في الرد على الجاحدين .

١ــ انظر المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

٢ــ الآية (١٦٦) .

٣ــ انظر تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص٥٩٠ .

ومنه قوله تعالى : **{ إنمّا التوبة على الله للذينَ يعملونَ السوء بجهالةٍ ثمّ يتوبونَ من قريب فأولئكَ يتوبُ الله عليهِمْ وكانَ اللهُ عليماً حكيماً }** ، الآية (١٧) .

وأيضـــاً قوله تعالى : **{ لا يستوي القاعدونَ من المؤمنينَ غيرُ أولي الضررِ والمجاهدونَ فـــي سبيلِ اللهِ بأموالِهِم وأنفسِهِمْ فضّلَ اللهُ المجاهدينَ بأموالِهِمْ وأنفسِهِم على القاعدينَ درجةً وكُلاً وعدَ اللهُ الحُسنى وفضّلَ اللهُ المجاهدينَ على القاعدينَ أجراً عظيماً }** ، الآية (٩٥) .

الخاتمة

الخاتمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

لمّـــا كان إيماني راسخاً بأن أهم ما يجب أن يقضي المرء فيه عمره هـــو مدارســـة كتاب الله الكريم ، التي هي من أجلِّ العبادات ، وأن أنفع ما يُجَـلَّى بـــه هذا الكتاب العظيم فهماً وتفهيماً معرفة أسراره البلاغية ؛ لأنها موطن إعجازه الحقيقي – يمّمتُ صوب القرآن ؛ إذ أن ذلك يُشكّل في نفسي أهـــم باعث على المكابدة والصبر على خوض هذا الغمار في هذه الدراسة التي أتمنى أن ينفعني الله بها وعباده المؤمنين ، فكان وراء اختياري لسورة النســـاء العظيمـــة عدة أسباب ، منها : أنها من أواخر ما نزل من القرآن ، وهـــي من السبع الطوال ، ولما بها من تفصيلات كثيرة أُجملت في ما قبلها من تحقيق للعقيدة ، وتنظيم للمجتمع المسلم في عباداته ومعاملاته ، والكشف عـــن نوايـــا أعـــداء الإســـلام ، والتحذير من مغبة التساهل معهم ، وبناء الشخصـــية المســـلمة القوية ، التي تعتز بدينها وتتمسك به ، فضلاً عن ما تحملـــه مـــن دفاع عن حقوق الضعيفين : المرأة واليتيم ، كما أنها اختصت بعـــلم المواريث . كل ذلك لفتني إلى هذه السورة لفتاً لأجد فيها أعظم متعة تُغـــذي العقل والوجدان معاً فكانت رحلتي معها عبر هذه السنين من أعز ما مضـــى من عمري ، رغم تلك الصعوبات الجمة التي لا أمنها على خالقي ولكني أستعذبها وأتقرب بها إليه سبحانه وتعالى .

وقـــد كان دخولي إلى الدراسة في هذه السورة بتمهيد أوضحتُ فيه عـــن طريق الاستقراء أن معظم علماء البلاغة يُرجّحون أن إعجاز القرآن الكريم في نظمه البلاغي . هذا ما كان أولاً . أما حديثنا ثانياً فقد كان يخص ســـورة النســـاء من حيث فضلها وسبب تسميتها ومحاورها الأساسية ، وما تميزت به من خصائص أسلوبية .

وكـــان الفصل الأول عن نظم المفردات في هذه السورة المباركة ، وقُسّــمَ إلى مبحثين : الأول بلاغة المفردة القرآنية من حيث هيئتها ، وقد حـــاولت الدراسة جاهدة تفهّم هيئة المفردة واستنباط الأسرار البلاغية لهذه الهيــئات المختــلفة ، مــع القيــام بالكثير من الإحصاءات لتلك الهيئات ، وتصنيف أغراضها إلى فئات متقاربة ، فهيئة التعريف أكثر ما ظهرت في هـــذه السورة المباركة في الضمائر ، فورد ضمير الغائب متصلاً ومنفصلاً ثلاثمائـــة مـــرة ، وقـــد خـــدم أغراضاً أهمها : الملكية والتأكيد والتعظيم والتحقير . أما ضمير المخاطب فتردد مائة وإحدى وتسعين مرة ، والغرض الــرئيس منه طلب المواجهة بأمرٍ ما قد يكون للتنبيه والحث أو التكريم أو المــلكية أو الإلــزام ، فقد يأتي لإيقاظ النفس . أما ضمير المتكلم فقد ورد إحدى وخمسين مرة وأكثر ما يصور من أغراض التعظيم والتأكيد وتصوير خلجات النفس والتهديد والوعيد . ويلاحظ أن الغرض المشترك بينها جميعاً هو التأكيد .

أمـــا الـــتعريف بالعلمية فقد تمثل أكثره في لفظ الجلالة ، حيث ورد مائتين وثمانية وثلاثين مرة ، معبراً في كل مرة عن معانٍ عظيمة مع ورود غيره : الجنة أو النار أو الشيطان أو أسماء بعض الأنبياء .

ومـــن المعـــارف اســـم الإشارة ، وهدفه الرئيس تميز المشار إليه بواســـطة الإشارة إليه حساً وذلك ما تحتاجه هذه السورة التي طرحت كثيراً مـــن قضـــايا التشـــريع في مجتمع يتلقى منهجه الأول من القرآن الكريم ، فاحـــتيج فيها إلى ورود اسم الإشارة اثنتين وأربعين مرة موزعاً على أكثر أســـماء الإشارة تداولاً . وقد وزّعت أغراضه البلاغية بين التعليل وإثبات الصفات الواردة بعد اسم الإشارة للمشار إليه أو تعظيم المشار إليه .

وورد الاسم الموصول في هذه السورة أكثر من مائة وخمسين مرة . وبالاســـتقراء وجـــدت الدراســـة أن أهم الأغراض التي حققها هي التعليل والتعميم والإيماء إلى نوع الخبر من فاتحة الكلام .

ثم التعريف بأل ، الذي يكون للجنس والعهد وفي كلا النوعين لفتات بلاغية يُكسبها ذلك التعريفُ السياقَ برمته .

وأخيـــراً الـــتعريف بالإضافة ، فإن شأنه عظيم في كلام العرب لما يحققـــه مـــن اختصـــارات كـــثيرة إضافة إلى أغراض أخرى مثل التعظيم والتحريض على الإكرام أو نقيضه .

كما وقفت الدراسة مع البلاغيين على الخروج عن مقتضى الظاهر ، وأثبـــتت أن لذلك روائع بلاغية مدهشة . كان ذلك في ثلاثة عناصر هي : خروج المُظهر موضع المضمر ، وخروج الضمير موضع الاسم الظاهر ، والالتفات . فدلّ ذلك على شدة مرونة هذه اللغة الحبيبة ، بحيث يمكن إحلال الفرع منها مكان الآخر ، ولا يزداد به الأسلوب إلا جمالاً وتفنناً .

هـــذا حديـــث تعريف المفردة القرآنية ، أما حديث تنكيرها فهو ذو شـــجون ، قُســـم هـــذا المطلب إلى عنصرين ، النكرة دون وصف ، وهي لـــتحقيق الجـــنس أو ذكر واحد فيه ، وكلا الأمرين يحمل أغراضاً بلاغية يحددهـــا الســـياق ، وغالـــباً ما يكون الهدف المبالغة في الوصف والإيهام بالكـــثرة ، مـــع أنه يأتي أيضاً لغرض التقليل والتحقير ، والفيصل في ذلك سياق النص الذي وردت فيه النكرة . ثم النكرة المقيدة بالوصف ، والهدف منها تقرير ما وُصفت به في ذهن المتلقي .

وقد اقتضى السياق بحث المفردة إلى تلمس بلاغتها مفردة ، ومثناة ، ومجموعـــة ، وحـــاولت الدراسة جهدها الكشف عن تمكن كل لفظة بهيئتها التي هي عليها في سياقها حتى إن محاولة إبدالها بغيرها تفسد السياق كله . وكان مثل ذلك في بلاغة التذكير والتأنيث .

والمبحث الثاني في هذا الفصل كان حديثاً عن بلاغة المفردة القرآنية من حيث مادتها ممثلة في مفردات سورة النساء ، وقد اقتصرت الدراسة في هذا المبحث على حروف المعاني من أدوات الشرط والنفي وحروف العطف

والجـر وحـاولت إثـبات أن دقة اختيار الأداة من أخص وجوه الإعجاز البلاغي .

أما الفصل الثاني فقد درس نظم الجملة في مبحثين : الجملة الخبرية والجمـلة الإنشـائية ، وتحت كل منهما مطالب . فالأول : قسم إلى التقديم والـتأخير ، ووقفت الدراسة فيه على مفاتن رائعة لهذا الباب ؛ لأنه – كما قال شيخ البلاغة – باب كثير الفوائد بعيد الغاية . وكشفت الدراسة التحليلية لآيـات هـذه السـورة عن أهم أغراضه وهي : التشويق ، والتخصيص ، وتقويـة الحكـم . ثم درست الجملة من حيث الحذف والذكر ، وكان حذف المسـند إليـه لأحوال كثيرة تنبع من داخل النفس لا يمكن حصرها ، ولكن اجـتهدت الدراسـة في تحديد أهم تلك الأهداف في سورة النساء ، ثم كان حـذف المسند لأغراض أهمها : الاختصاص ، وتقوية الحكم ، كما يحذف احترازاً عن العبث ولدلالة السياق عليه دون قياس معين في علم النحو . ثم يأتي حذف معمولات الجملة ، منها المفعول به ، ويحذف لدلالة السياق عليه ثـم لإثبات معنى الفعل ، كما يحذف للبيان بعد الإبهام ، وقد مثلت الدراسة لحذف حرف الجر وشبه الجملة أيضاً .

أما الذكر فقد كانت أغراضه متنوعة وكثيرة ، سواءً ذكر المسند أو ذكـر المسند إليه ، وأهم تلك الأغراض : زيادة التقرير وتخصيص أحدهما بالآخـر وأحيانـاً يذكر أحدهما تعظيماً لشأن الآخر أو تعظيماً للمفعول به . كمـا يكون الذكر أيضاً للتحقير أو التبرك أو الاستئناس أو لأنه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه .

والمـبحث الثاني في هذا الفصل تناول الجملة الإنشائية في وجوهها المختلفة من استفهام وأمر ونهي وتمنٍ ونداء ، وقد حاولت الدراسة الوقوف عـلى أهم الصيغ والأغراض التي تميز كل لون من تلك الألوان عن الآخر معتمدة بعد الله على تحليل آيات السورة الكريمة ، كما ناقشت هذه الدراسة خـروج هذه الصيغ عن معانيها الأصلية إلى معانٍ بلاغية أخرى ، وإبدال

هذه الصيغ بعضها من بعض ، وكشف كل ذلك عن نكات بلاغية عديدة هي في مكانها في هذا البحث لا تفوت من يطلبها .

وقد أفضى بنا حديث النظم إلى الفصل الثالث حيث نظم الجمل والأفكار ، وقامت الدراسة باستقراء كل ما يتعلق بمباحث الجمل وعلاقتها بعضها البعض ، ولا يخفى أن أهم تلك العلائق التصور المشترك بين الأفكار والمشاعر ، وهو في القرآن قائم على توازن دقيق لا تجد جانباً منه يطغى على الآخر . هذا ما أثبتته الدراسة التحليلية لتلك العلاقات القوية بين جمل النص الواحد ، سواءً في القصر الذي يمثل المبحث الأول وهو جملة في قوة جملتين إحداهما منطوقة مثبتة والأخرى مفهومة منفية غالباً يدل عليها المقام ، أو في الإيجاز والإطناب الذي يمثل المبحث الثاني ، أو الفصل والوصل الذي يمثل المبحث الثالث . وقد تناولت الدراسة المبحث الثاني – الإيجاز والإطناب – على ما اعتادت عليه كتب البلاغة العربية في قيام دراسة خاصة بكل منهما ، مع الاعتقاد التام بمبدأ الملاءمة فهي الأكثر تحقيقاً لبلاغة القرآن الكريم . فالإيجاز قائم على الحذف والقِصر ، وتمثل الحذف في حذف المفردة والجملة وشبهها وأحياناً في الجمل ، ولكل ذلك دقائق بلاغية لا تجليها إلا الدراسة المتأنية . ثم إيجاز القصر ، وله أغراض بلاغية تفوق الحذف أهمية وروعة . ثم الإطناب ، وقد خلص علماء البلاغة في هذا الفن بعد رحلة طويلة من البحث والتحقيق إلى جملة أغراض منها : الإيضاح بعد الإبهام ، وذكر الخاص بعد العام ، والتكرار ، والتذييل ، والاحتراس ، والتتميم ، والاعتراض . ولكل ذلك نكات بلاغية لطيفة . وحديث الإيجاز والإطناب وتقصي مواضعهما في سورة النساء أوقفني على أنه يجب إعادة النظر فيهما وإعادة الفضيلة إلى المساواة خاصة عند دراسة القرآن ، لأنها أظهر في أسلوبه من غيره .

أما المبحث الثاني في هذا الفصل فهو الفصل والوصل ، وقد نال هذا الفن حظاً عظيماً من العناية والاهتمام ، حتى إن الكثير من البلاغيين

أرجعــوا إليه معرفة البلاغة ومرد ذلك – كما قال الشيخ عبد القاهر – إلى غموضه ودقة مسلكه وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معــاني الــبلاغة . وقــد قدمــت الدراسة أمثلة لهذا اللون بقسميه ومعظم فــروعهما فــي سورة النساء المباركة ، وحاولت عن طريق تحليل الآيات الممثلة له الوقوف على النواحي الإعجازية له فقد ظهر أثره جلياً في الوحدة الموضوعية في هذه السورة المباركة .

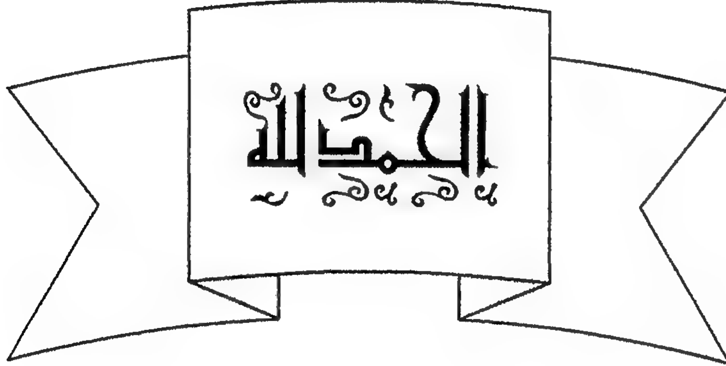
ثــم كــان الفصل الرابع في الصور البيانية المبثوثة في هذه السورة العظيمــة مصنفة إلى ثلاثة مباحث : التشبيه والمجاز والكناية ، وتحت كل مــنها عدة مطالب ، وخرجت الدراسة الاستقرائية لهذه الصور بعدة سمات لها . من بينها أن التعبير القرآني يخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية مستخدماً في ذلك الحقيقة والمجاز ، كما أن هذه الصور المتناهية في الدقــة البلاغية غير مقيدة بطبقة أو بيئة خاصة ، فكل مطلع على القرآن له حــظ عظيــم منها ، وهي تخاطب الوجدان والعقل معاً ، كما أنها عناصر أساسية في صلب الموضوع ، وتعتمد في بيانها على كافة مكونات الأسلوب ابــتداءً بالحــرف وانتهاءً بالسياق التام . وقد قامت بمهمة البيان والإيضاح لكثير من المفاهيم الجديدة في هذه السورة من أجل تنظيم مجتمع قوي يسير بهدي ربه الكريم .

أما الفصل الخامس فهو الفنون البديعية في هذه السورة ، وتمشياً مع مــا اعــتادت عــليه كتب البلاغة قَسّم هذا الفصل إلى مبحثين : المحسنات المعــنوية ، والمحســنات اللفظية ، وإن كان في التقسيم نظر إذ يفصل بين الجسم والروح ، فجمال الألفاظ يكمن في تعلقها بالمعاني ، وهذا ما حاولت الدراسة إظهاره من خلال الدراسة التحليلية لنصوص هذه السورة . وحديث الفــنون الــبديعية مــن الأمور المهمة في مثل هذه السورة ذات الأسلوب التعليمي والنظرة الإرشادية ، فكم قامت هذه الفنون بمهمة المعلم الذي يظهر

الملامـــح الدقيقـــة بـــتقابل الأضـــداد أو تقارب الأشباه والنظائر أو تراوح الأصوات بين الجد واللين ، والشدة والرخاوة .

وأوصي نفسي وكل باحث في البلاغة العربية أن يستقي أصول هذا الفن من نبعه الصافي العذب "القرآن الكريم" .

وآمـــل أن أجـــد يوماً دراسة بلاغية جادة متكاملة لكل سور القرآن الكـــريم . وأحســـب أن هـــذا الجهد له ثماره النافعة بحوله وقوته في الدنيا والآخـــرة . فهذا الجهد وعليه التُّكلان ، وما توفيقي إلاّ بالله ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



الفهارس

أولاً : فهرس آيات سورة النساء

فهرس آيات سورة النساء

الآية	الرقم	الموضوع	الصفحة
		الأمر	٢٨٩
		إيجاز الحذف	٣٣٧
		الفصل	٣٨٣
		الوصل	٣٩١
{ إن الذيـــن يأكــلون أموال اليتامى ... } إلى قولـــــه تعــالى : { وسيصلون سعيراً } .	١٠	نكرة دون وصف	١١٣
		تقديم المسند إليه	١٩٦
		ذكر المسند	٢٥٥
		القصر بإنما	٣١٨
		الإطناب	٣٥٨-٣٥٩
		الفصل	٣٨٣
		الوصل	٣٩٢
		المجاز المرسل	٤١٨
		المشاكلة	٥٠٤
{ يُوصيكم الله في أولادكم ... } إلى قولـــــه تعــالى : { إن الله كان علماً حكيماً } .	١١	تمهيد	٣٠-٣٤
		ضمير المخاطب	٥٩
		التذكير والتأنيث	١٣٣
		أدوات الشرط	١٤٠
		أدوات النفي	١٤٧
		حروف الجر	١٧٣-١٨٨
		حذف المسند إليه	٢٢٩
		حذف المسند	٢٣٥
		ذكر المسند إليه	٢٤٤
		إيجاز الحذف	٣٣٤
		الإطناب	٣٦٠
		صحة التقسيم	٤٩٦
{ ولكم نصف ما ترك أزواجكم ... } إلى قوله تعالى : { والله عليمُ حليم }	١٢	تمهيد	٣٠
		التذكير والتأنيث	١٣٢

الآية	الرقم	الموضوع	الصفحة
		حذف المسند إليه	٢٢٦
		حذف المسند	٢٣٤
		الأمر	٢٨٤
		الإطناب	٣٦١
		المجاز المرسل	٤٢١-٤٢٤
		الاستعارة التصريحية	٤٢٧-٤٣٠
		المجاز العقلي	٤٤٩
		الكناية	٤٥٥
{ يـــريد اللهُ ليبيّنَ لكم ويهديكم سُنَنَ الذيـــن من قبلكم ويتوبَ عليكم واللهُ عليمٌ حكيمٌ } .	٢٦	تمهيد	٢٩
		ضمير المخاطب	٥٦
		تقديم المسند إليه	٢٠٤
		إيجاز الحذف	٣٣٦
{ واللهُ يـــريدُ أن يتوبَ عليكم ويريدُ الذين يتّبعون الشهواتِ أن تميلوا ميلاً عظيماً } .	٢٧	التمهيد	٢٩
		ضمير المخاطب	٥٧
		الاسم الموصول	٨٠
		تقديم المسند إليه	٢٠٤
		الفصل	٣٧٦
		الوصل	٣٩٧
{ يـــريدُ اللهُ أن يخفــف عنكم وخُلِقَ الإنسانُ ضعيفاً } .	٢٨	التمهيد	٢٩
		ضمير المخاطب	٥٧
		حروف الجر	١٧٧
		تقديم المسند إليه	٢٠٤
		الإطناب	٣٥٦
		الفصل	٣٧٦
		مراعاة النظير	٥٠١
{ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا ... } إلى قولـــه تعالى : { إن اللهَ كان بكم	٢٩	ضمير المخاطب	٦٠
		اسم الإشارة	٧٣

الآية	الرقم	الموضوع	الصفحة
{ واللهُ أعلمُ بأعدائكم وكفى باللهِ ولياً وكفى باللهِ نصيراً } .	٤٥	التمهيد	٣٣
		حروف الجر	١٨٢
		ذكر المسند إليه	٢٥٣
		الإطناب	٣٥٨-٣٦١
{ من الذينَ هادوا يحرِّفونَ ...} إلى قولـه تعالى : { فلا يُؤمنونَ إلاّ قليلاً } .	٤٦	ضمير المتكلم	٥٢
		حروف الجر	١٨٠
		حذف المسند إليه	٢٢٤
		الإطناب	٣٥٩-٣٦١
		التوجيه	٤٨٩
{ يا أيها الذينَ أُوتوا الكتابَ ... } إلى قولـه تعالى : { وكانَ أمرُ اللهِ مفعُولاً } .	٤٧	ضمير المتكلم	٤٧
		الاسم الموصول	٧٧
		التعريف بالإضافة	٨٨-٨٩
		نكرة دون وصف	١١٢
		حروف الجر	١٩١
		الأمر	٢٨٥-٢٩٠
		النداء	٣١٠
		الإطناب	٣٥٨
		التشبيه المرسل	٤٠٣
{ إنَّ اللهَ لا يغفرُ أن يُشركَ بهِ ويغفرُ ما دونَ ذلكَ لمن يشاءُ ومن يُشرك باللهِ فقد افترى إثماً عظيماً } .	٤٨	التمهيد	٤٨
		اسم الإشارة	٧٣
		ذكر المسند	٢٥٤
		الطباق	٤٧٢
{ ألم ترَ إلى الذينَ يُزكّونَ أنفسهم بلِ اللهُ يُزكّي مَن يشاءُ ولا يُظلمون فتيلاً } .	٤٩	الاستفهام	٢٧٤
		الفصل	٣٧٢-٣٨٤
		الكناية	٤٥٨
{ انظر كيفَ يفترونَ على اللهِ الكذبَ وكفى به إثماً مبيناً } .	٥٠	الأمر	٢٩٢
		الفصل	٣٧٢

الآية	الرقم	الموضوع	الصفحة
{ الذيــنَ آمنوا يُقاتلونَ في سبيلِ اللهِ ...} إلى قولـــه تعالى : { إنَّ كيدَ الشيطانِ كانَ ضعيفاً } .	٧٦	خروج المظهر موضع المضمر ذكر المسند الفصل	٩٣ ٢٥٩ ٣٧٧
{ ألـــم تـــرَ إلى الذيـــنَ قيلَ لهم كفوا أيديكم ...} إلى قولــــه تعـــالى : { ولا تُظلمونَ فتيلاً } .	٧٧	حروف الجر حذف المسند إليه الإطناب الفصل التشبيه المرسل	١٨٩-١٩٢ ٢٢٧ ٣٥٣ ٣٧٥ ٤٠٥
{ أينما تكونوا يُدرِككُّم الموتُ...} إلى قولــــه تعـــالى : { لا يكـــادونَ يفقهونَ حديثاً } .	٧٨	اسم الإشارة التعريف بالإضافة الالتفات ذكر المسند الاستفهام الفصل المجاز العقلي	٧٤ ٩٠ ٩٩-١٠٥ ٢٥٩ ٢٧٨ ٣٧٥-٣٨٢ ٤٤٧
{ ما أصابكَ مِن حسنةٍ فمِن اللهِ ...} إلى قولــــه : { وكفى باللهِ شهيداً } .	٧٩	الالتفات	٩٩
{ مَن يُطِعِ الرسولَ فقد أطاعَ اللهَ ومَن تولّى فما أرسلناكَ عليهم حفيظاً } .	٨٠	الالتفات ذكر المسند إيجاز الحذف إيجاز القصر المجاز المرسل	١٠٥-١٠٧ ٢٥٤ ٣٣٨ ٣٤٣ ٤١٩
{ ويقولونَ طاعةٌ ...} إلى قولــــه تعـــالى : { وكـــفى باللهِ وكيلاً } .	٨١	الالتفات حروف الجر حذف المسند إليه المجاز المرسل	١٠٥ ١٨٣ ٢٢٢ ٤١٩

الآية	الرقم	الموضوع	الصفحة
		صحة التقسيم	٤٩٤
{ ولا تهنوا في ابتغاء القومِ ...} إلى قولـــه تعالى : { وكانَ اللهُ عليماً حكيماً } .	١٠٤	التعريف بالإضافة ذكر المسند النهي الطباق	٨٩ ٢٥٦ ٣٠٠ ٤٧٣
{ إنَّا أنزلنا إليكَ الكتابَ بالحقِّ لتحكم بيـنَ الـناسِ بمـا أراكَ اللهُ ولا تكنْ للخائنينَ خصيماً } .	١٠٥	الالتفات الإفراد والتثنية والجمع الاستعارة التصريحية	١٠٠ ١٢٦ ٤٣٧
{ واسـتغفرِ اللهَ إنَّ اللهَ كـان غفوراً رحيماً } .	١٠٦	ذكر المسند إليه	٢٤٦
{ ولا تجـادل عـنِ الذيـنَ يختانونَ أنفسهم إنَّ اللهَ لا يُحبُّ مَن كان خوَّاناً أثيماً } .	١٠٧	حروف الجر تقديم المسند إليه الكناية	١٧٨ ٢٠٢ ٤٥٨
{ يسـتخفونَ مِن الناسِ ولا يستخفون مِـن اللهِ وهُـوَ معهم إذْ يُبيِّتونَ ما لا يرضـى مِـن القـولِ وكانَ اللهُ بما يعملونَ مُحيطاً } .	١٠٨	ضمير الغائب المجاز المرسل	٦١ ٤٢٠
{ هاأنتم هؤلاء جادلتم عنهم ... } إلى قولــــه تعـالى : { أمّ مَن يكونُ عليهم وكيلاً } .	١٠٩	الاستفهام	٢٨١
{ ومَن يعمل سوءاً أو يظلمْ نفسَهُ ثُمَّ يستغْفِرِ اللهَ يجدِ اللهَ غفوراً رحيماً } .	١١٠	خروج المظهر موضع المضمر الاستعارة التصريحية	٩٢ ٤٣٣
{ ومَـنْ يكْسَبْ إثماً فإنَّما يكسبُهُ على نفْسه وكانَ اللهُ عليماً حكيماً } .	١١١	القصر بإنما الاستعارة التصريحية	٣١٩ ٤٣٦
{ ومَـنْ يكسبْ خطيئَةً أو إثماً ثُمَّ يَرْمِ بـهِ بريـئاً فقـد احتملَ بُهتاناً وإثماً	١١٢	حروف العطف الاستعارة التمثيلية	١٦٤ ٤٤٠

الآية	الرقم	الموضوع	الصفحة
قَـبلَ مَوتِهِ ويَومَ القِيامَةِ يكونُ علَيهِمْ شهيداً } .		الاسم الظاهر	
{ فَبِظُلمٍ منَ الذينَ هادوا حَرَّمنا عَلَيهِم طَيّبات أُحِلّتْ لهُمْ وبِصَدِّهِمْ عنْ سبيلِ اللهِ كثيراً } .	١٦٠	حروف الجر التقديم والتأخير في المعمولات القصر بتقديم ما حقه التأخير	١٨١ ٢١٦ ٣٢٥
{ وأخذِهِمْ الربا وقدْ نُهوا عنْهُ وأكلِهِم أمـوالَ النـاسَ بالـباطلِ وأعـتدنا للكافرينَ منهُمْ عذاباً أليماً } .	١٦١	ضمير المتكلم	٥٣
{ لكِنِ الراسِخونَ في العِلْمِ .... } إلى قولـه تعالى : { سَنؤْتيهِمْ أجراً عظيماً } .	١٦٢	حذف المسند إليه حذف المسند ذكر المسند الاستعارة التصريحية	٢٢٦ ٢٣٥ ٢٦٤ ٤٣٤
{ إنّا أوحَينا إليكَ ... } إلى قولـه تعـالى : { وآتَينا داودَ زبوراً } .	١٦٣	تقديم المسند إليه حذف المسند حذف المفعول به الإطناب التشبيه المرسل	٢٠٨ ٢٣٣ ٢٤٠ ٣٤٩ ٤٠٤
{ ورُسُلاً قدْ قَصصْناهُمْ عليكَ منْ قَبلُ ورُسُـلاً لمْ نَقْصُصهُم عليكَ وكلّمَ اللهُ موسى تكليماً } .	١٦٤	تقديم المسند ذكر المسند إليه السجع	٢١٢ ٢٥١ ٥٢١
{ رُسُـلاً مُبَشرينَ ومُنْذرينَ لئلا يكونَ للناسِ على اللهِ حُجَّةٌ بعدَ الرُسُلِ وكانَ اللهُ عزيزاً حكيماً } .	١٦٥	التقديم والتأخير في المعمولات السجع	٢١٥ ٥٢١
{ لكِـنِ اللهُ يشْهدُ بما أنْزلَ إليكَ أنزلَهُ	١٦٦	تقديم المسند إليه	٢٠٧

الآية	الرقم	الموضوع	الصفحة
جميعاً } .		الطباق	٤٧٤
{ فأمّا الذينَ آمنوا وعمِلوا الصالِحات ... } إلى قوله تعالى : { ولياً ولا نصيراً }	١٧٣	حذف المسند إليه الطباق	٢٣٠ ٤٧٥
{ يا أيُّها الناسُ قدْ جاءكُمْ بُرهانٌ منْ ربِّكُمْ وأنزَلْنا إلَيكُمْ نوراً مبيناً } .	١٧٤	ضمير المتكلم الالتفات النداء المجاز العقلي	٤٧ ١٠٢ ٣١٣ ٤٤٨
{ فأمّا الذينَ آمنوا باللهِ واعتصموا بهِ فسَيُدْخِلُهُمْ في رحمةٍ منهُ وفضلٍ ويَهدِيهِمْ إلَيه صِراطاً مُستَقيماً } .	١٧٥	النداء المجاز المرسل	٣١٣ ٤٢٣
{ يَستَفتونكَ قُلِ اللهُ يُفتِيكُمْ في الكلالةِ ... } إلى قولـه تعالى : { واللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عليمٌ } .	١٧٦	تمهيد ضمير الغائب تقديم المسند إليه حذف المسند حذف المفعول به ذكر المسند إليه إيجاز الحذف الفصل	٣١ ٦٢ ٢٠٦ ٢٣١ ٢٤١ ٢٥٠ ٣٣٦ ٣٨٣

ثانياً : فهرس آيات القرآن

فهرس آيات القرآن

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
	تــزِرُ وازِرَةٌ وزرَ أخرى ثمَّ إلأى ربِّكُمْ مرجِعُكُمْ فينبِّئكُمْ بما كنتُمْ فيهِ تختلِفونَ } .		
الأعراف	ــ { ونزعــنا مــا في صدورِهِمْ مِنْ غلٍّ تجري مِنْ تحتِهِمُ الأنهارُ ... }	٤٣	٤٦٢
الأنفال	ــ { فاضــربوا فوقَ الأعناقِ واضربوا منهُمْ كُلَّ بَنانٍ } .	٣	٤٨٨
يونس	ــ { تجري منْ تحتِهِمُ الأنهارُ في جنَّاتِ النعيمِ } .	٩	٤٦٢
	ــ { وإذا مسَّ الإنسانَ الضُّرُّ دعانا لجنبِهِ أو قاعِداً أو قائماً } .	١٢	٤٩٤
هود	ــ { كِــتابُ أُحكِمَتْ آياتُهُ ثمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حكيمٍ خبيرٍ }	١	٢٧
	ــ { واســتغفروا ربَّكُمْ ثمَّ توبوا إليهِ إنَّ ربِّي رحيمٌ ودودٌ } .	٩٠	١٠٩
	ــ { وما أنتَ علينا بعزيزٍ } .	٩١	١٩٩
	ــ { يا قومِ أرهطي أعزُّ عليكُمْ من اللهِ }	٩٢	١٩٩
إبراهيم	ــ { ومــا أرســلْنا مِنْ رسولٍ إلاّ بلسانِ قومِهِ ... } .	٤	١٢
النحل	ــ { وضــربَ اللهُ مثلاً قريةً كانتْ آمنةً مطمئنَّةً ... } .	١١٢	٨٦
الإسراء	ــ { وقُــلْ جاءَ الحقُّ وزهَقَ الباطِلُ إنَّ الباطِلَ كانَ زهوقاً } .	٨١	٣٥٣
الكهف	ــ { أولــئكَ لهُمْ جناتُ عدنٍ تجري من	٣١	٤٦٢

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
النجم	ـ { أفرَأيتُمُ اللاتَ والعُزّى } .	١٩	١٣١
القمر	ـ { فطمسنا أعينَهُمْ } .	٣٧	١١٢
الرحمن	ـ { فيهِـنَّ قاصِراتُ الطرفِ لَمْ يَطْمِثهُنَّ إنْسٌ قَبْلَهُم ولا جانّ }	٥٦	٣١٦
الرحمن	ـ { حورٌ مقْصوراتٌ في الخِيامِ }	٧٢	٣١٦
الواقعة	ـ { ولقدْ علمتُمْ النشأةَ الأولى ... } .	٦٢	٢٦٨
الملك	ـ { وهُوَ الذي أنشأكُمْ وجعلَ لكمُ السمعَ والأبصارَ والأفئدةَ ... } .	٢٣	٢٦٨
النبأ	ـ { يـومَ يـنظُرُ المـرءُ ما قدَّمتْ يداهُ ويقولُ الكافِرُ ياليتني كنتُ تراباً }	٣٠	٤٦١
العلق	ـ { فلَنَسْفَعَنْ بالناصِيةِ } .	١٥	٤٢٣
الكافرون	ـ { لَمْ دينُكُمْ ولِيَ دينِ } .	٦	٢١٠
الإخلاص	ـ { قُلْ هوَ اللهُ أحدٌ * اللهُ الصمَدُ } .	١-٢	٩١
	ـ { لمْ يلِدْ ولمْ يولَدْ } .	٣	١٥١

ثالثاً : فهرس التراجم

فهرس التراجم

رابعاً : قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

اسم المرجع
ـ القرآن الكريم
حرف الألف
ـ ابـن الأثير ، ضياء الدين ، (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) ، تحقيق أحمد الحوفي و بدوي طبانة ، ط بدون ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، مصر . ـ الإسـكندري ، ناصـر الديـن أحمد ، (الانتصاف من شبه الكشاف) ضمن كتاب (الكشاف) ، ط بدون ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان . ـ ابـن أبـي الإصـبع ، عبد العظيم بن عبد الواحد المصري ، (تحرير التحبير) ، تحقيق حنفي محمد شرف ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، مصر ، ١٣٨٣م . ـ الأصـفهاني ، الراغب ، (مفردات ألفاظ القرآن) ، تحقيق صفوان عدنان داوودي ، ط٢ ، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م . ـ الألوسـي ، شـهاب الديـن السيد محمود أفندي ، (روح المعاني في تفسير الكتاب العظيـم والسبع المثاني) ، طبعة جديدة ومنقحة ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م . ـ أمين ، بكري شيخ ، (البلاغة العربية في ثوبها الجديد - علم المعاني) ، ط٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٤ . ـ الأنصـاري ، ابن هشام ، (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط بدون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان . ـ الأيوبـي ، ياسـين ، وديـب ، محيي الدين ، (كشف الغموض عن قواعد البلاغة والعروض) ، ط١ ، دار الشمال ، طرابلس ، لبنان ، ١٩٩٠م .
حرف الباء
ـ بازمول ، محمد بن عمر بن سالم ، (تهذيب وترتيب الإتقان في علوم القرآن) ، ط ١ ، دار الهجرة ، الرياض ، السعودية ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م . ـ الـباقلاني ، أبو بكر محمد بن الطيب ، (إعجاز القرآن) ، تحقيق السيد أحمد صقر ، ط٣ ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

اسم المرجع

ــ الــبخاري ، (صــحيح البخاري) ، ط بدون ، درا إحياء التراث العربي ، القاهرة ، مصر .

ــ بسيوني ، بسيوني عبد الفتاح ، (علم البديع) ، ط١ ، ١٤٠٨هــ - ١٩٨٧م .

ــ بشــر ، كمال محمد ، (علم اللغة العام) ، ط٧ ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ١٩٨٠م .

ــ البقاعي ، لإبراهيم بن عمر ، (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) ، ط٢ ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، مصر ، ١٤١٣هــ - ١٩٩٢م .

ــ الــبغدادي ، عبد القادر بن عمر ، (خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب) ، تحقيق عــبد الســلام هــارون ، ط٣ ، الهيــئة المصــرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، ١٩٧٩م .

ــ البيضــاوي ، أبــو الفتح إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة ، (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) .

ــ البيهقي ، (كنز العمال) ، ط٣ ، دار الرسالة ، بيوت ، لبنان ، ١٤٠٩هــ .

حرف التاء

ــ الــتركماني ، (بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب) ، تحقيق عــلي حســين الــبواب ، ط بــدون ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، الأردن ، ١٤١٠هــ - ١٩٩٠م .

ــ التفــتازاني ، ســعد الديــن ، (المختصــر على تلخيص المفتاح) ضمن (شروح التلخيص) ، ط بدون ، دار السرور ، بيروت ، لبنان .

ــ التونجي ، محمد ، (معجم الأدوات النحوية) ، ط٦ ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ١٤٠٠هــ - ١٩٧٩م .

حرف الثاء

ــ الثعالــبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ، (الإعجاز والإيجاز) ، تخــريج الحواشي محمد التونجي ، ط١ ، جامعة حلب ، دار النفائس ، سوريا ، ١٤١٢ هــ - ١٩٩٢م .

اسم المرجع

حرف الجيم

ـ الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ،

أ ـ (البيان والتبيين) ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط٤ ، المجمع العلمي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

ب ـ (حجج النبوة) ضمن كتاب (رسائل الجاحظ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ١ ، دار الجيل ، بيروت لبنان ، ١٤١١هـ-١٩٩١م .

ج ـ (الحيـوان) ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط٢ ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٨٥هـ .

ـ الجرجاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن ،

أ ـ (دلائل الإعجاز) ، تحقيق محمود شاكر ، ط٣ ، مطبعة المدني ، القاهرة ، مصر ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م .

ب ـ (أسـرار الـبلاغة) ، تحقيـق محمـود محمد شاكر ، ط١ ، مطبعة المدني ، المؤسسـة السـعودية بمصـر ، القاهـرة ، مصـر ، جدة ، السعودية ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .

ـ ابن جني ، أبو الفتح عثمان ،

أ ـ (الخصـائص) ، تحقيق محمد علي النجار ، ط٣ مزيدة ومنقحة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، ١٤١٦هـ - ١٩٨٦م .

ب ـ (المحتسـب) ، تحقيـق علي ناصف و عبد الحليم النجار و عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، ط بدون ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، مصر ، ١٣٨٦هـ .

حرف الحاء

ـ الحـاكم ، (المسـتدرك على الصحيحين) ، ط بدون ، دار الباز للنشر والتوزيع ، السعودية .

ـ حجاب ، عبد الفتاح ، (من أسرار التراكيب البلاغية) ، ط١ ، المكتبة التوفيقية .

ـ أبـو حيـان ، محمـد بـن يوسف الأندلسي ، (البحر المحيط) ، ط٢ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

اسم المرجع
ـ الحنفي ، تاج الدين النحوي ، (الدر اللقيط من البحر المحيط) ضمن كتاب (البحر المحيط) ، ط٢ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
حرف الخاء
ـ الخطابي ، أبو سليمان حمد بن محمد ، (بيان إعجاز القرآن) ضمن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، ط٤ ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر . ـ الخطيب ، عبد الكريم ، (الإعجاز في دراسات السابقين) ،ط١ ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٤م . ـ الخفاجي ، ابن سنان ، (سر الفصاحة) ، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي ، ط بدون ، مطبعة محمد علي صبيح ، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م . ـ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، (مقدمة ابن خلدون) ، تحقيق درويش الجودي ، ط٢ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م . ـ ابن خلكان ، (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) ، تحقيق شعيب الأرناؤوطي ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م .
حرف الدال
ـ دراز ، محمد ، (النبأ العظيم) ، ط٣ ، دار القلم ، الكويت ، ١٩٨٨م . ـ الدسوقي ، (حاشية الدسوقي) ضمن (شروح التلخيص) ، ط بدون ، دار السرور ، بيروت ، لبنان . ـ الدينوري ، ابن قتيبة ، (تأويل مشكل القرآن) ، تحقيق السيد أحمد صقر ، ط٢ ، دار التراث ، القاهرة ، مصر ، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م .
حرف الذال
ـ الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، (تهذيب سير أعلام النبلاء) ، تحقيق شعيب الأرنؤوطي ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م . ـ الذهبي ، محمد حسين ، (التفسير والمفسرون) ، ط٢ ، دار الكتب الحديثة ، مصر ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .

اسم المرجع
حرف الراء
ـ الرازي ، محمد بن عمر بن الحسين فخر الدين ،   أ ـ (نهايــة الإيجــاز في دراية الإعجاز) ، تحقيق إبراهيم السامرائي ومحمد بركات أبي علي ، دار الفكر للنشر .   ب ـ (التفسير الكبير) ، ط٣ ، دار إحياء التراث ، بيروت ، لبنان .   ـ الرافعي ، مصطفى صادق ، (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) ، ط٨ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .   ـ الــربيعي ، حامد صالح خلف ، (مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء) ، منشورات معهد البحوث العلمية ، مركز بحوث اللغة العربية ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .   ـ رضا ، السيد محمد رشيد ، (تفسير القرآن الحكيم) الشهير بـ (تفسير المنار) ، ط٣ ، دار المنار ، مصر ، ١٣٧٤هـ .   ـ الرماني ، أبو الحسن علي بن عيسى ،   أ ـ (الــنكت فــي إعجاز القرآن) ضمن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، ط٤ ، دار المغارف ، القاهرة ، مصر .   ب ـ (كــتاب معــاني الحــروف) ، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، ط٢ ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، السعودية ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .
حرف الزاي
ـ الــزجاج ، أبــو إسحاق إبراهيم بن محمد ، (معاني القرآن وإعرابه) ، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي ، ط١ ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .   ـ الزركشي ، (البرهان في علوم القرآن) ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، ط٢ ، مطبوعات جامعة أم القرى . ١٣٩١هـ - ١٩٧٣م .   ـ الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ،   أ ـ (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) ، ط بدون ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .   ب ـ (أساس البلاغة) ، ط بدون ، دار ومطابع الشعب ، القاهرة ، مصر .

اسم المرجع
حرف السين
ـ السبكي ، بهاء الدين ، (عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح) ضمن (شروح التلخيص) ، ط بدون ، دار السرور ، بيروت ، لبنان .
ـ أبو السعود ، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ، (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ، ط بدون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .
ـ السكاكي ، أبو يعقوب يوسف بن محمد ، (مفتاح العلوم) ، ط بدون ، منشورات المكتبة العلمية الجديدة ، بيروت ، لبنان .
ـ السمين ، شهاب الدين أبو العباس بن يوسف الحلبي ، (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون) ، تحقيق علي محمد معوض وعابد أحمد عبد الموجود وجاد مخلوف جاد وزكريا عبد المجيد النوتي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م .
ـ السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ، تقديم محمد زهري النجار ، ط بدون ، دار المدني ، جدة ، السعودية ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
ـ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ،
أ ـ (الإتقان في علوم القرآن) ، ط بدون ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان .
ب ـ (أسرار ترتيب القرآن) ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، ط بدون .
ج ـ (الدر المنثور في التفسير المأثور) ، ط١ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .
د ـ (همع الهوامع شرح جمع الجوامع) ، ط بدون ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .
حرف الشين
ـ الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد ، (فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير) ، ط بدون ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
ـ شيخون ، محمود ، (من أسرار البلاغة في القرآن) ، ط١ ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، مصر ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

اسم المرجع
حرف الصاد
ــ الصابوني ، محمد علي ، أ ــ (صفوة التفاسير) ، ط١ ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م . ب ــ (المواريث في الشريعة الإسلامية) ، ط٥ ، دار الصابوني ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م . ــ صافي ، محمود ، (الجدول في إعراب القرآن وصرفه) ، ط٢ ، دار الرشيد ، دمشق ، سوريا ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م . ــ الصاوي ، أحمد عبد السيد ، (فن الاستعارة) ، ط بدون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، مصر ، ١٩٧٩م . ــ الصعيدي ، عبد المتعال ، (بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح) ، الطبعة النموذجية ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر .
حرف الضاد
ــ ضيف ، شوقي ، أ ــ (الوجيز في تفسير القرآن الكريم) ، ط١ ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر . ب ــ (البلاغة تطور وتاريخ) ، ط٨ ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .
حرف الطاء
ــ طبانة ، بدوي ، (البيان العربي – دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى) ، ط٦ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مصر . ــ الطبري ، محمد بن جرير ، (جامع البيان في تفسير القرآن) ، ط بدون ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .
حرف العين
ــ ابن عاشور ، الطاهر ، (التحرير والتنوير) ، ط بدون ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤م . ــ عباس ، فضل حسن ، (البلاغة فنونها وأفنانها) ، ط١ ، دار الفرقان ، عمّان ، الأردن ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .

اسم المرجع
حرف القاف

ـ القاسـمي ، (محاسـن التأويل) ، ط٢ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

ـ القزويـني ، أبـو عبد الله محمد بن سعد الدين ، (الإيضاح في علوم البلاغة) ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، ط١ ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

ـ قطب ، سيد ،

أ ـ (التصوير الفني في القرآن) ، ط٨ ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

ب ـ (فـي ظـلال القـرآن) ، ط٧ ، دار إحيـاء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م

ـ القنيـبي ، حـامد صـادق ، (المشـاهد في القرآن الكريم) ، ط١ ، مكتبة المنار ، الأردن ، ١٩٨٤م .

ـ القيـرواني ، ابـن رشيق ، (العمدة في صناعة الشعر والنثر) ، تحقيق مفيد محمد قميحة ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

ـ ابن قيم الجوزية ، شمس الدين محمد بن أبي بكر ،

أ ـ (بدائـع الفوائد) ، ضبط نصه وأخرج آياته أحمد عبد السلام ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

ب ـ (الفوائد المشوّق إلي علوم القرآن وعلم البيان) ، ط بدون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

ج ـ (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى) ، تحقيق محمد أحمد الحاج ، ط١ ، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

حرف الكاف

ـ ابـن كثير ، أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي ، (تفسير ابن كثير) ، ط بدون ، دار الفكر ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

اسم المرجع
حرف اللام
ـــ لاشين ، عبد الفتاح ،   أ ـــ (المعـــاني فـــي ضوء أساليب القرآن) ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ١٩٨٥م .   ب ـــ (الـــبيان فـــي ضوء أساليب القرآن) ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ١٩٨٥م .   ـــ لحـــام ، حنان ، (من هدي سورة النساء) ، ط٢ ، دار الهدى ، الرياض ، السعودية ، ١٤٠٩هـــ - ١٩٨٩م .
حرف الميم
ـــ المـــاعوني ، حـــامد ، (المـــنهاج الواضح) ، ط بدون ، مكتبة الجامعة الأزهرية ، القاهرة ، مصر .   ـــ المبرّد ، أبو العباس محمد بن يزيد ، (الكامل في اللغة والأدب) ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، ط بدون ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر .   ـــ ابـــن المثـــنى ، أبـــو عبيدة معمر ، (مجاز القرآن) ، ط بدون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .   ـــ مخلوف ، عبد الرؤوف ، (الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن) ، ط١ ،دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٣م .   ـــ المراغي ، أحمد مصطفى ، (علوم البلاغة – البيان والمعاني والبديع) ، ط بدون ، دار القلم ، بيروت ، لبنان .   ـــ مصـــري ، محمد بنهان حسين ، (مذكرة في التجويد) ، دار العليان للنشر والتوزيع ، جدة ، السعودية .   ـــ ابن المعتز ، عبد الله ، (كتاب البديع) ، نشر وتعليق المقدمة والفهارس أغناطيوس كراتشقوفيسكي ، ط بدون .   ـــ المغـــربي ،ابن يعقوب ، (مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح) ضمن (شروح التلخيص) ، ط بدون ، دار السرور ، بيروت ، لبنان .   ـــ المقدســـي ، شـــرف الدين موسى ، (زاد المستقنع في الفقه) ، ط بدون ، دار الباز للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، السعودية ، ١٣٩٨هـــ - ١٩٧٨م .

اسم المرجع
ــ ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين أحمد بن مكرم ، (لسان العرب) ، ط بدون ، دار صادر ، بيروت ، لبنان . ــ أبو موسى ، محمد محمد ، أ ــ (الإعجاز البلاغي) ، ط١ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤ م . ب ــ (البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري) ، ط٢ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م . ج ــ (خصائص التراكيب) ، ط٣ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر . د ــ (التصوير البياني) ، ط٢ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م . ــ الميداني ، أحمد بن محمد بن أحمد النيسابوري ، (مجمع الأمثال) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط بدون ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا .
حرف النون
ــ النحاس ، (إعراب القرآن) ، تحقيق زهير غازي زاهد ، ط٢ ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، مصر ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م . ــ النسفي ، عبد الله بن أحمد بن محمود ، (تفسير النسفي) ، ط بدون ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان . ــ النيازي ، عبد الكريم ، (القرآن الكريم معجزة وتشريع) ، ط٢ ، مطبوعات نادي مكة الأدبي ، ١٤١٢ هـ .
حرف الهاء
ــ الهاشمي ، (جواهر البلاغة) ، ط بدون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

اسم المرجع
حرف الياء
ـ ياسين ، عبد العزيز أبو سريع ، أ ـ (دراسة الباقلاني للنظم القرآني) ، ط١ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، مصر ، ١٤١٢هـ-١٩٩١م . ب ـ (دراسة الالتفات البلاغي – تراث المصطلح معاصرة المفهوم) ، مجلة الموسم الثقافي لكلية التربية العربية بجامعة أم القرى ، ١٤١٨- ١٤١٩هـ . ج ـ (دراسة الإمام عبد القاهر للفصل والوصل – تحليل ونقد) ، ط١ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، مصر ، ١٤١٣هـ .

خامساً : فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات